

عبد العزيز بن علي الحربي

#28



ذاتُ الأَكْمَامِ

8.10.2018

الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

مقامات أدبيّة

د. عبد العزيز بن علي الدربي



ذَاتُ الْأَكْمَامِ

مقامات أدبية

الطبعة الأولى
١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

ح) عبد العزيز علي الحربي، ١٤٣٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحربي، عبد العزيز علي

ذات الأكمام / عبد العزيز الحربي. - ١٤٣٣هـ

٣٠٨ ص؛ ٢٤×١٧ سم

ردمك: ٢- ٠٦٧٥ - ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨

أ. العنوان

١- المقالات العربية

١٤٣٣/ ٧٤٢٤

ديوي ٠٨١

رقم الإيداع: ١٤٣٣/٧٤٢٤

ردمك: ٢- ٠٦٧٥ - ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م



الإهداء

إلى إخواني وزملائي المجمعين (أعضاء مجمع اللغة العربية
على الشبكة العالمية) حماة اللغة وحُرّاس العربية ..

إلى رفاق الدراسة أيام النشأة الأولى، وإلى الصّدقاء النّبلاء
وغيرهم (من الذين أوحى إليّ ذِكْرَهُمْ طائفةً من الخيال،
وحقائق ممّا استودعه البال) ..

إليهم جميعاً أهدي «ذات الأكمّام» فمن هزّها إليه بيده
ولم يساقطْ عليه من رُطبها، على قوّته وأيّده، فلن يعدّم خيراً ..
من خوصِها وسعفِها وجريدها .. وإتّما هي مثله، كلّ تلك
القامات، خيرٌ ومنافع في كلّ المقامات ..

أبو محمد

مقدمة

أحمدك اللهم حمداً لا منتهى له، وأعوذ بك من شرور النفس والجهالة. وأسبِّح بحمدك حين أقوم، ومن الليل وإدبار النجوم. لك الحمد كله، وبيدك الخير كله. أحمدك .. أنت ﴿الرَّحْمَنُ﴾ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ . وأشكرك .. أنت الربُّ ﴿الْأَكْرَمُ﴾ (٢) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ . وأصلي وأسلم على أفصح معلّم، وأبلغ متكلّم. من زين بكلامه لغة الضادّ، واستعذب بيانه المرتوي والصادّ (١). وتقاصر لجلال بلاغته الأواخر والأوائل، وخضع عند مقامه سبحانه وائل. وصلى الله على آله وأزواجه، ومن مضى على منهاجِه .. أمّا بعد؛

فاللغة العربية هي الجناحُ المُحلّق، والسَّناءُ المتألّق، في سماء الخطاب والمنطق. ما استجنح (٢) بقوادمها (٣) طالِب،

(١) الظمآن، وحذفت الياء للفاصلة، كقوله تعالى: ﴿وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ

بِالْوَادِ﴾ [الفجر].

(٢) اتخذ جناحها مركباً.

(٣) ريش الطائر المُقدّم.

ولا استمسك بخوافيها^(١)، مُطالِبٌ، إلّا نال مراده والمطالِبُ.

أجل .. وكانت سناءه وسَنَاهُ^(٢)، ووفره^(٣) وغِنَاهُ، وجناه المتسوي إناه^(٤). وجوازه يومَ ظَعِنِهِ^(٥) وإقامته، الماضي به إلى تحقيق إمامته. وإنَّ الثَّقَّةَ به لأكبر، وأولى وأجدر. من فقيه لا فقه له في اللسان، ولا رسوخ له في البيان. وكيف يوثق بمن أعرض ونأى^(٦)، وصرف فؤاده عما رأى. من جمال العربية الباهر، ومنطقها السّاحِر، وبديعها الآسِر. أفلا ينظرون إلى علماء المِلَّة، من الصّحابة الأجلَّة، ومَن بعدهم من الأهلَّة. كيف أووا إلى رُكنها الشَّدِيد، واستعذبوا منطقها السَّدِيد. وإلى الإمام الرئيس، محمد بن إدريس. وإلى جبال التّفسير، كمحمد بن جرير. والقاسم بن سلام، وابن قُتَيْبَةَ الإمام. وغيرهم من الحُذَّاق، في كلِّ الآفاق؟

(١) ريش الطائر من الخلف.

(٢) رفعته ونوره.

(٣) ماله الكثير.

(٤) نُضِجُهُ.

(٥) سفره.

(٦) بعد.

قال أبو العيين^(١):

يجب على كل ذي عينين، من عقلاء الثقلين. أن يعرف من العربية طرَفًا، وأن يعلو منها شَرَفًا^(٢). وعلى طالب العلم أن يغوص في بحرها الزخار، ويستقي من سيلها الجرار. وعلى من استشرف إلى الاجتهاد، أن يسبح في محيطها الهاد. كيلا يضل بجهله العباد، ومن يضلل الله فما له من هاد. إنه من لم يلم بالعربية لا ثقة بعلمه، ولا بكتابته ورسمه.

وما هذه المقامات الأدبية، والسجعات الشريفة. إلا لون من ألوان طيفها اللامع، ونغم تلذ له الأسماع، وأغصان ترقص على الإيقاع.. أنشأتها لأهل العلوم، وأرباب الفهوم. وأودعت فيها من العلم فنونه، وجوهره ومكنونه. وعلقت على نحرها دُررًا من الأدب، ولآلى من كلام العرب. وجمعت فيها بين الحقيقة والخيال، وبين التفصيل والإجمال، والحكم والأمثال. وبين

(١) هذه كُنيتي في هذه «المقامات» وهي صادقة على كل امرئ.. وستأتي روايته عن «أبي إسحاق» كنية رجل من الأصحاب، غير معين.. وأما الحشكطي، فهو بطل أسمار «المقامات» العلمية، وحروفه ترمز إلى المذاهب الفقهية، الحاء للأحناف والحنابلة، والشين للشافعي، والكاف لمالك، والطاء للظاهرية، والياء لغيرهم.. والمراد: أنه يجمع المذاهب كلها، ولا يتعصب لأحد منها، ولا من غيرها.

(٢) مكانًا عاليًا.

القول الفصل، والكلام الهزل. وأشربتها أطرافاً من المتون، في كثير من فنون. ليكون حافظها نابغة أقرانه إذا رغب، وابن دريد إذا طرب. وأبا عثمان الجاحظ إذا كتب، وواصل بن عطاء إذا خطب.

وأحمد الله على توفيقه ونفعه، وأسأله أن يبارك فيما رقت^(١) وفي جمعه، وأن يبارك في ثمره إذا أثمر وينعه^(٢).

واسمحوا لي أن أقدم التحية المسكية، والتقدير الزكية. لطائفة من كتبة المقامات، ممن قضى ومات.

السلام عليك يا بديع الزمان، وفتى همذان. وأخا البديهة والإبداع، ورقيق الألفاظ والأسجاع. كفاك فخراً أن تكون للحريري قذوة، ويكون إنشاؤك ليومه غدوة. لقد أصدرت فكت عذيق^(٣) البيان، وأوردت فوافيت جذيل^(٤) التبيان. وسنت لأهل اليراعة^(٥) سنة، فاتخذوا أيمانهم جنة^(٦)، وبروا من أقلامهم الأسنة^(٧). رحمك الله يا بديع، يا صاحب البيان والبديع.

(١) كتبت.

(٢) نضجه واستوائه.

(٣) تصغير عذق، وهو النخلة.

(٤) تصغير الجذل بإسكان الذال، وهو: أصل الشجرة المقطوع.

(٥) القلم.

(٦) وقاية، أي: اتخذوا أيديهم وقاية بما يكتبونه.

(٧) جمع سنان، وهو الرمح.

وسلامٌ على صاحب الحرير، وذو البيان والتحرير. مقاماتك في مكتبي ليلاي، وعفرائي ولُبْناي. لا تمنعني ممّا أريد، وهي أقربُ إليّ من حبل الوريد. وقد قلتُ فيها وفيك، لما كتَبَهُ بنائكَ من فيك. :

يُفَجِّرُ معنى الشَّاردات^(١) خِلالها

بحوراً عذاباً لا تُكدرها الدّلا^(٢)

سألتُ أساطينُ البلاغةِ هل رأوا

مثيلاً لها في الطبع قال الجميع: لا

وسلامٌ على عالمِ المئةِ التَّاسِعةِ^(٣)، وَرَحِمَهُ اللهُ رَحْمَةً واسِعَةً. أفدتَ العالمَ بتصانيفِكَ، ونفعتَهُم بتواليِفِكَ. ولمقاماتِكَ نوعٌ تميّز، بلا تزيّد ولا تحيّر.

وكنْتُ أرجو أن يكشف اللهُ الرّين^(٤)، عن صاحب «مجمع البحرين». فإنّه قد أحسن وأجاد، وتشبّه بالحريريّ فأفاد. ولغيرهم ممّن سبق، تحيةٌ مسكٍ وعبق^(٥).

(١) المعاني المقتنضة.

(٢) جمع ذلّو، أصلها: الدّلاء.

(٣) الإمام السيوطي (ت ٩١١هـ).

(٤) الغشاوة.

(٥) رائحة زكية.

لعلّ ما سَطَّرْتُهُ باليمين، يجمعني بأصحاب اليمين. مع تلك
القامات، بعالي المقامات. بعرضات^(١) القيامة، في دار المُقامة.
أمين أمين. ربّ العالمين.

وكتبه

عبد العزيز بن علي الحربي

(١) جمع عرصة: المكان المستوي.

المَقَامَةُ الْفَارَانِيَّةُ^(١)

قال أبو العينين:

بدا لي عامَ أوَّل، أن أتوقَّل^(٢) وأتجولَّ. في ضَوَاحي مَكَّةَ
 وشِعَابِهَا، وأجْزَاع^(٣) أوديتها ورحابها، وفي جَرَوْلِها وحارة بابها.
 فألَوَيْتُ^(٤) إلى بَيْتِ أَبِي اليُسْرُ، صَدِيقِ العُمَرُ، في العُسْرِ واليُسْرِ.
 عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّايَ، بِدَارًا^(٥) مِنْهُ بادئِ الرَّاي^(٦). وكان بِبَطَاحِ
 مَكَّةَ خَبِيرًا، وَبَجْدَدِهَا^(٧) بصيرًا. فقل لي: ابْتَكِرْ^(٨) الغَدَاةَ إلى
 المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَلَعَلَّكَ تَجِدُهُ في مُصَلَّى المَقَامِ. فَلَقِيْتُهُ عِنْدَ بابِ
 السَّلَامِ، فحيًّا بالسَّلَامِ. وقال: ما أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا، وَلَكِنَّا

(١) «فاران» جبال بمكة والحجاز، جاء ذكرها في التوراة، فيها البشارة بالنبي ﷺ.

(٢) يقال: توقَّل في الجبل: إذا تصعَّد فيه.

(٣) الحِزْع: وسط الوادي، وقيل: منتهاه، وقيل: جانبه.

(٤) عرَّجْتُ.

(٥) مبادرةً منه.

(٦) أي: بلا تفكير ولا تردُّد، وتقرأ الفاصلة بإبدال الهمزة ألفًا لموافقة السَّجْع.

(٧) طرائقها.

(٨) خرج مبكرًا، يقال: بكر وبكر، وباكر، وابتكر، وأبكر.

حُمِّلْنَا بِسَدُكُنَا^(١). وما ولىع به الفؤادُ، في هذا الوادُ. والشَّغْفُ
بَيْتُ اللَّهِ، أَشَدُّ مِنْ شَغْفِ اللَّاهِ^(٢)، بِرَشْيَا^(٣) تِيَّاهُ. فَلَمَّا دَتَوْنَا مِنْ
جَبَلِ خَنْدَمَةٍ^(٤)، قال: أَتَدْرِي أَسْمَاءَ مَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ؟ قلتُ:
لا أدري، فأوقِدْ لي فِكْرِي. فَإِنِّي لا أعرفُ منها إِلَّا مَكَّةَ، وَأَمَّ
الْقُرَى وَبَكَّةَ. والبلدَ وَمَعَادَ^(٥)، والبلدَةَ والوادُ. وَجَمِيعُهَا فِي
الذِّكْرِ، يَا أَبَا الْيُسْرِ. فقال منشداً:

لَأُمِّ الْقُرَى أَسْمَا: رَتَاجٌ وَقَادِسُ
وَكُوْثَى وَأُمُّ الرَّحْمِ بَرَّةٌ وَالْعَذْرَا
وَرُحْمٌ عَرِيشٌ حُرْمَةٌ وَعَرَوْضُهَا
وَحَاطِمَةٌ رَأْسٌ وَعَرْشٌ بِهَا أُخْرَى
وَمُعْطِشَةٌ نَسَّاسَةٌ وَسَبُوحَةٌ
وَالِاسْمُ الَّذِي قَدْ جَاءَ فِي أَوَّلِ الْإِسْرَا^(٦)

-
- (١) سلك بالشيء: لزمه، سَدَكَا وَسَدُكَا، أي: بالتزامنا المُكْثَ فِي مُصْلَانَا.
(٢) اللَّاهُ: اللَّاهِي، وحذفُ الياء جائز.
(٣) الرَّشْيَا: الغزال الصَّغِير.
(٤) سلسلة جبال، تبدأ من شعب عامر.
(٥) بلا ألف؛ لأنه على الحكاية، أو على لغة ربيعة في الوقف على
المنصوب المنوَّن على الألف، بحذف الألف.
(٦) أي: المسجد الحرام.

تَزِيدُ عَلَى لَامٍ^(١) وَإِنْ شِئْتَ فَلتَعُدْ

إِلَى كُتُبِ التَّارِيخِ وَالْمَدَنِ وَالْجُغْرَا^(٢)

ثُمَّ قَالَ: الْيَوْمَ سَوْفَ تَرَى، مَسَاجِدَ أُمِّ الْقُرَى. الَّتِي عُمِرَتْ فِي
الدُّهُورِ الْخَالِيَةِ، فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ، فَاَنْطَلِقْ وَرَائِيَه. هَذَا مَسْجِدُ الْحِنِّ
وَالْحَرَسِ، وَسُمِّيَ مَسْجِدَ الْبَيْعَةِ وَأَنْدَرَسَ^(٣). وَمِنْ دُونِهِ مَسْجِدُ
الشَّجَرَةِ، وَالْأَزْرَقِي ذِكْرَه^(٤). وَالَّذِي عِنْدَ تِلْكَ الْوَكَيْجَةِ^(٥)، هُوَ
مَسْجِدُ خَدِيجَةَ. وَكَانَ فِي شَرْقِ الْمَسْعَى، مَسْجِدُ دَارِ الْأَرْقَمِ
الْوُسْعَى^(٦). وَمَسْجِدُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، فِي الْمِسْفَلَةِ أَوَّلِ الطَّرِيقِ.
وَتَمَّ مَسْجِدُ الْمَعْلَاةِ، تُقَامُ فِيهِ الصَّلَاةُ^(٧). قُلْتُ: مَا أَرُوعَكَ مِنْ
عَالِمٍ أَفْقٍ^(٨)، وَحَاقِظٍ لَبِيقٍ! قَالَ: اَنْطَلِقْ .. اَنْطَلِقْ. قُلْتُ: إِلَى أَيْنَ
بَنَّا؟ قَالَ: إِلَى مَنَى.

(١) أي: تزيد على ثلاثين، واللام في حساب (أبجد) بثلاثين.

(٢) أي: الجغرافيا.

(٣) أي: سُمِّيَ أيضًا بمسجد البيعة، ولكن هذا الاسم ذهب وامحى.

(٤) ذكره في كتابه «أخبار مكة».

(٥) المدخل.

(٦) الواسعة، صفة لـ (دار).

(٧) أي: لا يزال باقيًا إلى اليوم؛ لأنَّ بعض ما ذُكِرَ قد اندثر وهُدِمَ لتوسعة الحرم.

(٨) بلغ الغاية في العلم.

بها مَسْجِدُ الْخَيْفِ الَّذِي تَعْرِفُونَهُ

يَمِينًا وَأَقْصَاهَا بِهَا مَسْجِدُ الْكَبْشِ^(١)

وَأَنَّ بِهَا لِلْمُرْسَلَاتِ^(٢) لِمَسْجِدًا

مُجَاوِرَ خَيْفٍ عَنْ يَمِينِكَ إِذْ تَمْشِي

وَفِي أَطْرَافِهَا^(٣) مَسَاجِدٌ، مَرْفُوعَةٌ لِكُلِّ سَاجِدٍ. كَمَسْجِدِ
عُرْنَةَ^(٤)، وَمَسْجِدِ جَعْرَانَةَ^(٥). وَهُوَ فِي الشَّرَائِعِ، وَمَكَائِهِ ذَائِعٌ،
غَيْرُ ضَائِعٍ. وَمَسْجِدِ التَّنْعِيمِ، عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ. هَذِهِ طَائِفَةٌ
مِنْهَا، وَالْحَدِيثُ عَنْهَا لَا يُنْهَى.

وَانْظُرْ يَا أَبَا الْعَيْنِينَ، إِلَى الْأَخْشَبِينَ. وَإِلَى سَائِرِ الْجِبَالِ، وَهَذِهِ
الْقِلَالُ. كَيْفَ نُصِبَتْ عَلَى الْأَرْضِ، وَكَيْفَ سُلِّسَ بَعْضُهَا
بِبَعْضٍ!!

وَفَارَانَ^(٦) مَكَّةَ مَأْلُوفَةً، وَفِي كُتُبِ التَّوَارِيخِ مَعْرُوفَةٌ. وَاسْتَمِعْ
إِلَى نِظَامِي، وَكُنْ مِنْ أَمَامِي.

(١) يسار الذاهب إلى عرفة قبل (ثبير).

(٢) مسجد المرسلات، معالم مكة للبلاذلي (٢٧٦)، نقله عن ابن ظهيرة.

(٣) أي: في أطراف مكة.

(٤) بعرفة.

(٥) بالشرائع، ومنه أحرم النبي ﷺ بالعمرة.

(٦) أي: جبالها.

جِبَالُ مَكَّةَ: ثَبِيرُ الْأَثْبِرَةِ^(١)

وَالْأَخْشَبَانِ^(٢) وَحِجْرَاءَ^(٣) فَادْكَرَهُ

وَأَظْلَمَ^(٤) ثُمَّ أَلَالَ^(٥) وَكُسابَ^(٦)

سَبْعُ الْبَنَاتِ^(٧) لَبْنَانِ^(٨) وَغُرَابَ^(٩)

وَجِبَلِ الْحَصْنِ حَاصِ^(١٠) وَالسُّودَانِ

وَالْهِنْدِ^(١١) كَبْكَبِ^(١٢) وَثَوْرِ^(١٣) حَانِي

- (١) الأثيرة: جبال، وثبير الأثيرة: أكبرها وهو مشرف على منى، كان أهل الجاهلية لا يفيضون من المزدلفة إلا بعد طلوع الشمس وارتفاعها، ويقولون: أشرق ثبير، كما تُغير.
- (٢) أشهر الأقوال: أنهما قعيقعان وأبو قبيس.
- (٣) يُسمَّى اليوم: جبل النور، وفيه الغار الذي نزل فيه الوحي.
- (٤) جبل يشرف على الجعرانة لهذيل.
- (٥) كغراب، جبل عرفة.
- (٦) جبل مشرف على وادي عُرنة.
- (٧) جبل مشهور في مكة، ليس بعيداً عن المسجد الحرام، قريب من المصافي، لم أجد علّة تسميته بهذا الاسم، ولا متى سُمِّي به.
- (٨) جبلان قريبان من عُرنة.
- (٩) جبل معروف اليوم، غرب مكة، والأغربة جبال كثيرة.
- (١٠) الجبل الذي يُشرف على الزّاهر، من جهة الشرق.
- (١١) جزء من جبل قعيقعان، وكذلك جبل سودان.
- (١٢) جبل ضخّم يشرف على المغمّس.
- (١٣) جبل معروف، قريب من مستشفى التور اليوم، وفيه الغار المذكور في القرآن في شأن الهجرة الذي اختبأ فيه النبي ﷺ وصاحبه أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وإلى اللقاء^(١) يا أبا العنين، يوم الأحد أو الاثنين. لنهيم في كلِّ وادٍ، في أشرف البلاد. وأريك الشَّعاف^(٢) والشَّعاب^(٣)، وأوصيك بالصَّبْر على الصَّعاب. والله يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، ويُصِيبُ بِعَذَابِهِ مَنْ أَسَاءَ. ويهدي إليه مَنْ أَنَابَ، إليه أَدْعُو وإليه متاب، وإليه المَرْجِع والمآب.

(١) اللقاء واللقاء سواء.

(٢) الشَّعاف: جمعُ شَعْفَةٍ، والشَّعْفَةُ من كلِّ شيءٍ أعلاه.

(٣) جمع شَيْعَب: ما بين الجبلين، والطَّرِيق.

العَمَامَةُ الحَرْفِيَّةُ

قال أبو العينين :

جَمَعَ الْقُرْآنَ أَبُو بَكْرُ الصَّدِيقُ، وَجَمَعَ الْقِرَاءَاتِ
عُثْمَانُ^(١) الْوَفِيقُ^(٢). وَاجْتَهَدَ مُجَاهِدٌ^(٣) فَسَبَّحَ^(٤) وَبَنَى، وَجَاءَ
الدَّانِي^(٥) فَأَدْنَى وَدَنَا. وَصَنَّفَ كِتَابَ «التَّيْسِيرِ»^(٦)، الَّذِي نَظَّمَهُ
الْعَلَامَةُ السُّفْسِيرُ^(٧)، الشَّاطِبِيُّ الْكَبِيرُ^(٨). فَسَارَتْ بِأَرْجِهِ^(٩) الرُّكْبَانُ.
وَحَفَظَهُ الشَّيْبُ وَالْوِلْدَانُ. وَقَطَعَ إِلَى النَّاسِ الصَّحَاحِ^(١٠)

(١) ابن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) كالرَّفِيقِ، وَزَنًا وَمَعْنَى.

(٣) أحمد بن موسى التميمي، أبو بكر ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ).

(٤) في كتابه «السَّبعة»، جمع فيه قراءات القراء السبعة (نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحزمة، والكسائي).

(٥) أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ).

(٦) «التيسير في القراءات السبع»، وهو أصل الشَّاطِبِيَّة.

(٧) العبقري الحاذق بصناعته.

(٨) أبو محمد القاسم بن فيرة الرعيني الأندلسي (ت ٥٩٠هـ)، ومن الناس من يخلط بينه وبين أبي إسحاق الشَّاطِبِي، صاحب «الموافقات» (ت ٧٩٠هـ).

(٩) رائحته الطيبة.

(١٠) الصَّحَّاح: ما استوى من الأرض.

والتَّائِفُ^(١)، والفَدَافِدَ والتَّائِفَ^(٢). والأحزَّة^(٣) والمفاوز^(٤)،
والأمايز^(٥) والعشاوز^(٦). قال فيه الإمامُ الثَّيْلُ، مِنْ بَحْرِ
الطَّوِيلِ: :

وَسَمَّيْتُهَا حِرْزَ الْأَمَانِي تَيْمُنًا وَوَجْهَ التَّهَانِي فَاهِنُهُ مُتَقَبَّلًا

وَتَوَالِي قُرَاءِ السَّبْعِ وَالْعَشْرِ، إِلَى أَنْ جَاءَ صَاحِبُ «النَّشْرِ»^(٧).
فَجَمَعَ وَنَقَّحَ، وَحَرَّرَ وَصَحَّحَ. وَنَجَّحَ وَأُنْجَحَ، وَوَفَّى
وَمَا بَلَدَحَ^(٨). وَاخْتِيرَ لِكُلِّ بَدْرٍ نَجْمَانٌ، قَالُونُ وَعُثْمَانُ^(٩). وَقُبِّلُ
وَالْبَزِّي^(١٠)، وَالدُّورِيُّ وَالسُّوسِيُّ^(١١). وَهَشَامٌ وَابْنُ ذَكْوَانَ^(١٢)،

(١) جمع تنوفة: الأرض الواسعة.

(٢) جمع نفنف: ما بين الجبلين.

(٣) جمع حَزِيْز: المكان الغليظ المنقاد.

(٤) جمع مفازة.

(٥) يقال: مكان أَمَعَزَ: إذا صَلَبًا.

(٦) جمع عشوز: الأرض الصُّلْبَة.

(٧) محمد بن محمد بن محمد ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ).

(٨) بلدح: ضرب بنفسه الأرض، ووعد ولم ينجز.

(٩) هما راويا نافع، وعثمان هو ورش.

(١٠) راويا ابن كثير.

(١١) راويا أبي عمرو البصري.

(١٢) راويا ابن عامر.

وشُعْبَةُ وَحَفْصُ بْنُ سُلَيْمَانَ^(١). وَخِلَادٌ مَعَ خَلْفٍ^(٢)، وَاللَيْثُ
وَالدُّورِيُّ الَّذِي سَلَفَ^(٣). فَنَافِعٌ يَجْمَعُ اللُّغَاتِ، وَابْنُ كَثِيرٍ يَصِلُ
الْمِيمَاتِ^(٤). وَأَبُو عَمْرٍو تَوَسَّطَ فِي الْإِخْتِيَارِ^(٥)، وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ
بِالْأَثَارِ. وَتَوَسَّطَ عَاصِمٌ فِي الْمُدُودِ، وَمِيلُهُ إِلَى الْإِمَالَةِ مَحْدُودٌ^(٦).
وَمَا اجْتَمَعَ حَمَزَةٌ وَالْهَمْزَةُ قَطُّ^(٧)، إِلَّا فِي الْوَصْلِ فَقَطُّ. وَصَاحِبُ
السَّرْبَالِ^(٨)، إِلَى الْإِمَالَةِ مِيَالٌ. وَالْجَمِيعُ أَحَاطَ بِهِ الْوَلَا، إِلَّا ابْنَ
عَامِرٍ وَابْنَ الْعَلَا^(٩).

- (١) رَاوِيَا عَاصِمُ بْنُ أَبِي النَّجُودِ.
- (٢) خَلْفٌ وَخِلَادٌ هُمَا رَاوِيَا حَمَزَةُ بْنُ حَبِيبِ الزِّيَّاتِ.
- (٣) أَبُو الْحَارِثِ اللَّيْثُ، وَالدُّورِيُّ - وَهُوَ رَاوِي أَبِي عَمْرٍو كَمَا تَقَدَّمَ -: هُمَا رَاوِيَا الْكَسَائِي.
- (٤) يَقْرَأُ بِصِلَةِ مِيمِ الْجَمْعِ فِي جَمِيعِ الْقُرْآنِ.
- (٥) وَكَانَتْ قِرَاءَةُ أَبِي عَمْرٍو هِيَ الشَّائِعَةُ فِي الْعَالَمِ، ثُمَّ سَارَ النَّاسُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى قِرَاءَةِ عَاصِمٍ مِنْ رِوَايَةِ حَفْصٍ. شَيْءٌ أَرَادَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَاخْتَارَهُ. وَتَتَمَيَّزُ قِرَاءَتُهُ بِمَا لَا يَتَمَيَّزُ غَيْرُهَا. وَقَدْ طُعِنَ فِي حَفْصٍ أَشَدَّ طَعْنٍ، وَلَكِنْ اللَّهُ سَبَّحَانَهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ سَيَحْفَظُ هَذَا الْقُرْآنَ، فَهُوَ مُحْفُوظٌ، سَوَاءٌ رَوَاهُ الْمَجْرُوحُ فِي عَدَالَتِهِ أَمْ الْمَعْدَلُ، بَلْ إِنْ حَفَظَهُ بِمَنْ تُكَلِّمُ فِي عَدَالَتِهِ أَشَدُّ وَأَظْهَرُ.
- (٦) أَمَّا مِنْ جِهَةِ رِوَايَةِ شُعْبَةٍ فَالْإِمَالَةُ فِي مَوَاضِعٍ مَحْدُودَةٍ، وَأَمَّا مِنْ رِوَايَةِ حَفْصٍ فَلَيْسَ لَهُ إِلَّا إِمَالَةٌ ﴿بِحَرْفَيْهَا﴾.
- (٧) وَلِهَذَا قِيلَ: إِذَا قُرِئَتْ لِحَمَزَةٍ فَلَا تَقْفَنَّ لَهُ عَلَى هَمْزَةٍ.
- (٨) هُوَ الْكَسَائِيُّ الَّذِي قَالَ فِيهِ الشَّاطِبِيُّ:
- (٩) وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ الْكَسَائِيِّ نَعْتُهُ لَمَّا كَانَ فِي الْإِحْرَامِ فِيهِ تَسْرِيلاً كَمَا قَالَ الشَّاطِبِيُّ:

أَبُو عَمْرٍو هُمُ الْيَحْصِيُّ ابْنُ عَامِرٍ صَرِيحٌ وَيَاقِيهِمْ أَحَاطَ بِهِ الْوَلَا

وصِحَّةُ الإسنادِ، وَجْهُ النَّحْوِ والرَّسْمُ ركنٌ للصَّحاحِ يَحْوِي

وحارُّ أُولُو الْأَذْهَانِ، فِي حَدِيثِ «أُنْزِلَ الْقُرْآنُ». وَاخْتَلَفُوا فِي
مَعْنَاهُ اخْتِلَافًا، طَوِيلًا سِرْتَانًا^(١). وَأَسْلَخَ مِنَ الصَّوَابِ وَمَا رَسَخَ،
مَنْ قَالَ: هِيَ الْحَالُ وَالْحَرَامُ إلَخ. وَأَبْعَدَ مَنْ قَالَ: هِيَ قِرَاءَةُ
السَّبْعَةِ الرَّجَالِ. وَالْأَقْرَبُ أَيُّهَا الْجَمْعُ، أَنَّهَا لُغَاتُ سَبْعٍ.

وَقَصَّرُ الْإِمَامِ حَفْصُ، لَمْ يَرِدْ فِيهِ نَصٌّ^(٢). وَجَاءَ مِنْ طَرِيقِ
الطَّبِيبَةِ، الْمَنْظُومَةِ الْمُهَذَّبَةِ. وَضُمَّ إِلَى السَّبْعَةِ خَلْفُ، أَبُو جَعْفَرٍ
وَيَعْقُوبُ وَخَلْفُ. وَقَدْ رَوَى الْجَمَاعَةُ عَنْ عَاصِمٍ^(٣)، وَشُعْبَةَ^(٤)
الصَّلَادِمِ^(٥). وَخَرَّجُوا لِابْنِ كَثِيرٍ، وَمَا هُوَ بِصَاحِبِ التَّفْسِيرِ^(٦).
وَإِلَيْكَ مِنَ النَّظْمِ، مَا يَجْبُرُ الْعَظْمُ:
الْمَكُّ وَالشَّامِيُّ قَالَا: قَالَ

سُبْحَانَ رَبِّي عَزَّ وَتَعَالَى!!^(٧)

(١) شديد الطول.

(٢) أي: في «الحرز» وأصله.

(٣) أي روى له أصحاب الكتب الستة وأحمد.

(٤) وكذلك شعبة روى له السبعة.

(٥) الصَّلَادِم: الأسد، والصلب.

(٦) عبد الله بن كثير المكي (ت ١٢٠هـ)، وأما صاحب التفسير فمتأخر
واسمه: إسماعيل (ت ٧٧٤هـ).

(٧) أي: قرأ قول الله سبحانه: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾، ﴿قَالَ سُبْحَانَ رَبِّي﴾.

كِلَاهُمَا سُمِّيَ عَبْدَ اللَّهِ

ذَاكَ صَدُوقٌ^(١)، وهو قد يُضَاهِي

حَمْزَةَ^(٢) نَافِعًا^(٣) وَعَاصِمًا، وَذَا

مُوهَمٌ^(٤)، وَثِقَةٌ شَامٌ^(٥)، كَذَا

هِشَامُهُمْ^(٦)، وَخَلَفٌ^(٧)، وَشَيْبَةُ^(٨)

وَصَالِحٌ^(٩) وَابْنُ الْعَلَاءِ^(١٠)، وَشُعْبَةُ^(١١)

(١) أي: ابن كثير، قال عنه ابن حجر: صدوقٌ.

(٢) حمزة بن حبيب الزيات (ت ١٥٦هـ).

(٣) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي بالولاء المدني (ت ١٦٩هـ).

(٤) عاصم بن أبي النّجود الكوفي (ت ١٢٧هـ)، كان ثقة في القراءات، صدوقاً في الحديث، قال الدارقطني: في حفظه شيءٌ.

(٥) عبد الله بن عامر اليحصبي الشامي (ت ١١٨هـ)، وثقه ابن حجر.

(٦) هشام بن عمار الدمشقي (ت ٢٤٥هـ).

(٧) خلف بن هشام القارئ (ت ٢٢٩هـ).

(٨) شيبه بن نصاح (ت ١٣٠هـ).

(٩) صالح بن زياد السُّوسي الرقي (ت ٢٦١هـ).

(١٠) زيان بن عمار التميمي، أبو عمرو ابن العلاء البصري (ت ١٥٤هـ).

(١١) أبو بكر بن عياش الأسدي الكوفي (ت ١٩٣هـ).

والبزّ عاش (يل) ^(١) من الأعوام

مؤذّنّا بالمسجد الحرام

وشيّئة وثقه نجّل نسأ

ليس له في سفره غير نبأ ^(٢)

(١) أي: عاش البزّي أحمد بن محمد (ت ٢٥٠هـ) أربعين عاماً مؤذّنًا بالمسجد الحرام.

(٢) أي: أن شيبة بن نصاح وثقه النسائي، وأخرج له حديثاً واحداً في الطهارة، باب صفة الوضوء (١/٦٨؛ ح ٩٥)، من طريق: ابن جريج، حدثني شيبة: أن محمد بن علي أخبره، قال: أخبرني أبي علي: أن الحسين بن علي قال: دعاني أبي علي بوضوء، فقرّبته له، فبدأ فغسل كفيه ثلاث مرات قبل أن يدخلهما في وضوئه، ثم مضمض ثلاثاً، واستنثر ثلاثاً، ثم غسل وجهه ثلاث مرات، ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاثاً، ثم اليسرى كذلك، ثم مسح برأسه مسحة واحدة، ثم غسل رجله اليمنى إلى الكعبين ثلاثاً، ثم اليسرى كذلك، ثم قام قائماً فقال: ناولني. فناولته الإناء الذي فيه فضل وضوئه، فشرب من فضل وضوئه قائماً، فعجبت، فلما رأيته قال: (لا تعجب، فإنني رأيت أباك النبي ﷺ يصنع مثل ما رأيته صنعت - يقول لوضوئه هذا - وشرب فضل وضوئه قائماً).

والحديث أخرجه أبو داود معلقاً (١/٢٩)، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي: ح ٩٥).

المَقَامَةُ التَّأْوِيلِيَّةُ

(في علم التفسير)

قال أبو العينين:

الْفَسْرُ: الْبَيَانُ، لَدَى عُلَمَاءِ اللِّسَانِ. وَالتَّفْسِيرُ: كالتَّأْوِيلِ، لَدَى عُلَمَاءِ التَّنْزِيلِ. وَقِيلَ: التَّفْسِيرُ أَعَمُّ، وَهُوَ الْأَتَمُّ^(١). وَإِلَيْهِ مَالُ الْأَصْفَهَانِيِّ، فِي كِتَابِهِ الْمَعَانِي^(٢). وَالتَّرْجَمَةُ نَوْعَانُ: مَبَانٍ وَمَعَانٍ^(٣). وَالْأُولَى مُتَعَدِّرَةٌ، وَالثَّانِيَةُ مُفَسَّرَةٌ. وَالتَّفْسِيرُ: بِالْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ^(٤)، وَبِكَلَامِ الْعَرَبِ وَسَلَفِ الْأُمَّةِ^(٥).

(١) لَأَنَّ التَّأْوِيلَ يَكُونُ فِي الْمَعَانِي، كَتَأْوِيلِ الرُّؤْيَا، وَالتَّفْسِيرُ يَسْتَعْمَلُ فِيهَا وَفِي غَيْرِهَا. وَمَنْ أَهْلُ الْعِلْمِ مَنْ يَفْرُقُ بَيْنَهُمَا فَيَقُولُ: التَّفْسِيرُ يَكُونُ فِي الرُّوَايَةِ، وَالتَّأْوِيلُ بِالذِّرَايَةِ.

(٢) الرَّأْغِبُ الْأَصْفَهَانِيُّ، أَبُو الْقَاسِمِ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، صَاحِبُ «الْمَفْرَدَاتِ» فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ (ت ٥٠٢هـ).

(٣) أَي: تَرْجَمَةٌ حَرْفِيَّةٌ، وَتَرْجَمَةٌ لِلْمَعَانِي، وَهِيَ مُمْكِنَةٌ؛ لِأَنَّهَا كَالْتَّفْسِيرِ.

(٤) السُّنَّةُ.

(٥) أَي: التَّفْسِيرُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْوَاعٍ: تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ، وَبِالسُّنَّةِ، وَبِكَلَامِ الْعَرَبِ، وَبِكَلَامِ السَّلَفِ.

وأكثرهم تفسيراً: الحَبْرُ^(١) وعليُّ، والعُمَرانِ وأبي^(٢). وأنسٌ وزيدٌ^(٣)، والعبادلةُ وابنُ أمِّ عبدٍ^(٤). وجابرٌ والأشعريُّ^(٥)، وعائشةُ زوج النبيِّ.

والرواياتُ عنِ الحَبْرِ كثيرةٌ، وطريقُ معاويةَ بنِ صالحٍ هي الشهيرةُ^(٦)، وطريقُ ابنِ إسحاقَ صاحبِ السِّيرةِ^(٧). وأحسنُ منها طريقُ قيس بنِ مُسلمٍ الكوفيِّ^(٨)، وضعَّفوا طريقَ عطيةِ العوفيِّ^(٩).

(١) بكسر الحاء وفتحها، والأول أفصح، والثاني أشهر، والمراد به: ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أبي بن كعب، والعمران: أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أنسٌ وزيدٌ: أنس بن مالك، وزيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) عبد الله بن مسعود. والعبادلة: عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن عباس - وقد مرَّ ذكره -، وعبد الله بن الزُّبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٥) أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٦) طرق التفسير عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: طريق معاوية بن صالح، عن عليِّ ابن أبي طلحة، عنه.

(٧) طريق محمد بن إسحاق صاحب السِّيرة: عن محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عنه.

(٨) طريق قيس بن مسلم الكوفيِّ، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عنه، أحسنُ من طريق ابنِ إسحاق.

(٩) وأما طريق عطية العوفيِّ فطريقُ جائر.

وطريق الضحّاك؛ لأنها منقطعة^(١)، وطريق مقاتل وهي مُنْصَدَعَةٌ^(٢).

وأما ابن مسعود بن غافل، فطريق الأعمش عن أبي الضحى وعن أبي وائل^(٣). وطريق مجاهد عن أبي معمر^(٤)، والجميع معتبر. وطريق السدي عن مرة، وإو بالمرّة^(٥). ولا تك في شوق، إلى طريق أبي روق^(٦).

وأما أبي فمين طريق أبي جعفر عن الربيع، وهو إسناد غير وضيع^(٧)، بخلاف طريق وكيع. عن حفيد عقيل، إذ الكلام عنه غير قليل^(٨).

(١) وكذلك الضحّاك بن مزاحم طريقة منقطعة.

(٢) ومثلها طريق مقاتل بن سليمان، فقد كذبه غير واحد.

(٣) من أصح الطرق عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: طريق الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عنه.

وكذلك: طريق الأعمش، عن أبي وائل، عنه، يوردها البخاري في صحيحه.

(٤) طريق مجاهد عن أبي معمر، عنه. يوردها البخاري في صحيحه أيضاً.

(٥) طريق السدي الكبير، عن مرة الهمداني، عنه. وهي طريق ضعيفة، يوردها الحاكم.

(٦) طريق أبي روق: عن الضحّاك، عنه. منقطعة.

(٧) طريق أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عنه. لا بأس بها.

(٨) وكيع، عن سفيان، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن الطفيل بن أبي ابن كعب، عنه. وهي دون الأولى.

والمَشْهُورُ بالتفسير في بَلَدِ الْقِبْلَةِ: الْبَحْرُ وَعَطَاءٌ وَعِكْرِمَةُ قَبْلَهُ.
وطاؤوسُ المولى، وكلُّهُمْ كان مولىً^(١).

وفي مدينة النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، زيدُ بن أسلم. وأبو العَالِيَةِ:
ذُو الْمَنَاقِبِ الْعَالِيَةِ. وأمَّا ابْنُ مَسْعُودٍ، في الْعِرَاقِ الْمَنْكُودُ^(٢).
فالْأَسْوَدُ وَمَسْرُوقٌ، وعلْقَمَةُ الصَّدُوقِ. وعامرُ الشَّعْبِيِّ، والحسنُ
البصريُّ، وقتادةُ السَّدُوسِيِّ.

وأوَّلُ قَابِسٍ قَبَسٌ، مالكُ بن أنسٍ^(٣). ولا بِنِ جَبْرِ قَبْلَهُ
صَحِيفَةٌ، مَفْقُودَةٌ لَا مَعْرُوفَةٌ^(٤). وَمِنْ أَوَّلِ مَنْ صَنَّفَ فِي التَّفْسِيرِ:
أَبُو عُبَيْدَةَ^(٥) السُّفْسِيرُ^(٦). وكذا الْفَرَاءُ الْخَطِيرُ^(٧)، وَبَعْدَ ذَلِكَ ابْنُ
جَرِيرٍ. ثُمَّ التَّفْسِيرُ يَكُونُ بِمَنْقُولِ الرَّوَايَةِ، وَبِمَعْقُولِ الدَّرَايَةِ. وَكَثُرَ
فِي الْأَوَّلِ الْأَقَاوِيلُ، وَخَبَرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَأَقْطَابُهُ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ

(١) كلهم كانوا من الموالى: عطاء، وعكرمة، وطاووس رحمهم الله.

(٢) الممنوع من حقه.

(٣) أوَّل من وضعه، بمعنى: جمع بعض رواياته.

(٤) صحيفة في التفسير كتبها سعيد بن جبير التابعي المشهور، بأمر عبد الملك ابن مروان (ت ٨٦هـ).

(٥) أبو عبيدة: مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى (ت ٢٠٩هـ).

(٦) الْقَيْمُ بِالْأَمْرِ الْمَصْلَحَ لَهُ، وَالرَّجُلُ الظَّرِيفُ الْعَبْقَرِيُّ، الْحَاذِقُ بِصَنْعَتِهِ. وَأَخْطَأَ «المعجم الوسيط» إذ جعل معاني السُّفْسِيرِ: معاني للسَّقِيرِ.

(٧) الْفَرَاءُ: يَحْيَى بْنُ زِيَادِ الْفَرَاءِ (ت ٢٠٧هـ)، صَاحِبُ كِتَابِ «مَعَانِي الْقُرْآن».

سَلَامٌ، وابنُ جُرَيْجِ الإمام^(١). وسَيِّدُ الْأَحْبَارِ كَعْب^(٢)، وَكَذَلِكَ وَهَب^(٣).

وَمِنْ خَيْرِ التَّفَاسِيرِ: «جامع البيان» لابن جرير، و«تفسير القرآن» لابن كثير. وكذلك «فتح القدير»، وكتاب «زاد المسير». وكلُّها جَامِعَةٌ بَيْنَ الْمَنْقُولِ، وَصَرِيحِ الْمَعْقُولِ^(٤). وَمِنْ التَّفْسِيرِ بِالْمَأْثُورِ: ابن أبي حاتم و«الدرُّ المَثُورُ».

وَمِنْ تَفَاسِيرِ الرَّأْيِ السَّنْدَرِيِّ^(٥)، تفسير الزَّمْخَشَرِيِّ. وكذلك حَوَاشِيهِ الْعَذَابِ، كَ «حاشية الشَّهَابِ»^(٦). وَمِنْ تَفَاسِيرِ الْأَحْكَامِ: كِتَابُ الْقُرْطُبِيِّ الْإِمَامِ. وَفِي التَّنَاسُبِ وَالتَّدَاعِي: تفسير الْبِقَاعِيِّ^(٧). وَفِي الْقِرَاءَاتِ وَإِعْرَابِ الْقُرْآنِ، تفسير أَبِي حَيَّان^(٨).

(١) عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج (ت ١٥٠هـ، أو بعدها).

(٢) كعب الأحبار (ت ٣٢هـ).

(٣) وهب بن مُنْبَه (ت ١١٤هـ).

(٤) «فتح القدير» للشوكاني، و«زاد المسير» لابن الجوزي، وكلُّ التَّفَاسِيرِ الْأَرْبَعَةِ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي جَمَعْتَ بَيْنَ الدَّرَايَةِ وَالرَّوَايَةِ.

(٥) السَّنْدَرِيُّ: لَهُ مَعَانٍ؛ مِنْهَا: الْجَيِّدُ، وَالرَّدْيُ (ضد)، وَالْجَرِيُّ، وَمِثَالُ ضَخْمٍ.

(٦) «حاشية الشهاب على البيضاوي»، و«تفسير البيضاوي» خلاصة لما في «الكشاف»، وَقَدْ أَطْرَحَ آراءَ الْمُعْتَزَلَةِ، وَذَكَرَ آراءَ الْأَشَاعِرَةِ مَكَانَهَا، وَعَلَيْهِ أَكْثَرُ مِنْ مِثْنِي حَاشِيَةٍ !

(٧) الْمُسَمَّى «نَظْمُ الدَّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الْآيَاتِ وَالسُّورِ».

(٨) الْمُسَمَّى بِـ «الْبَحْرِ الْمَحِيطِ».

وفي الجدَل وإيرادِ الرِّيبِ، «مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ»^(١). وفي عَجَائِبِ الْكَوْنِ الْبَاهِرِ، تَفْسِيرُ «الْجَوَاهِرِ»^(٢).

وَمِنْ أَغْلَاهَا فِي الْبَيَانِ الظَّاهِرِ: تَفْسِيرُ الطَّاهِرِ^(٣). وَمِنْ أَغْلَاهَا عِنْدَ أُولِي الْأَلْبَابِ: تَفْسِيرُ «اللُّبَابِ»^(٤). و«رُوحُ الْمَعَانِي، فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَالسَّبْعِ الْمُثَانِي»^(٥)، وَتَفْسِيرُ «الْمَنَارِ»^(٦)، وَ«أَضْوَاءُ الْبَيَانِ» لِابْنِ الْمُخْتَارِ^(٧).

وَفِي الْمُخْتَصَرَاتِ: تَفْسِيرُ الْإِمَامَيْنِ، الْمَعْرُوفَيْنِ بِالْجَلَالَيْنِ^(٨). وَتَفْسِيرُ السَّعْدِيِّ^(٩)، وَابْنِ جُزَيٍّ الْكَلْبِيِّ^(١٠)، وَ«وَجْهُ النَّهَارِ لِلْحَرْبِيِّ».

- (١) لِلْفَخْرِ الرَّازِيِّ (ت ٦٠٦هـ).
- (٢) مَصْنُوعُهُ: طَنْطَاوِي جَوْهَرِيَّ (ت ١٣٨٥هـ).
- (٣) الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُور (ت ١٣٩٣هـ)، وَتَفْسِيرُهُ: «التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ».
- (٤) «اللُّبَابُ فِي عِلْمِ الْكِتَابِ» لِابْنِ عَادِلِ الْحَنْبَلِيِّ (تُوفِيَ بَعْدَ ٨٠٠هـ)، وَهُوَ مُتَنَزَّعٌ مِنْ ابْنِ كَثِيرٍ وَالدَّرِّ الْمَصُونِ.
- (٥) لِلْأَلُوسِيِّ الْكَبِيرِ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِيِّ الْأَلُوسِيِّ (ت ١٢٧٠هـ).
- (٦) لِرَشِيدِ رِضَا (ت ١٣٥٤هـ).
- (٧) «أَضْوَاءُ الْبَيَانِ فِي إِضْوَاحِ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ» لِلشَّيْخِ مُحَمَّدِ الْأَمِينِ بْنِ مُحَمَّدِ الْمُخْتَارِ الشَّنْقِيطِيِّ (ت ١٣٩٣هـ).
- (٨) تَفْسِيرُ الْجَلَالَيْنِ: الْجَلَالِ الْمَحَلِّيِّ، وَقَدْ فَسَّرَ نِصْفَ الْقُرْآنِ: مِنَ الْكَهْفِ إِلَى آخِرِ الْقُرْآنِ مَعَ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ، وَالباقِي فَسَّرَهُ جَلَالُ الدِّينِ السُّيُوطِيُّ.
- (٩) الْمُسَمَّى «تَفْسِيرَ الْكَرِيمِ الْمُتَانِ فِي تَفْسِيرِ كَلَامِ الرَّحْمَنِ» لِلشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرِ السَّعْدِيِّ (ت ١٣٧٦هـ).
- (١٠) الْمَعْرُوفُ بِ«التَّسْهِيلِ لِعِلْمِ التَّنْزِيلِ»، وَابْنُ جُزَيٍّ: مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْكَلْبِيِّ الْغُرْنَاطِيِّ الْمَالِكِيِّ (ت ٧٤١هـ).

وإنَّ أَصْفَاهَا وَأَنْقَاهَا، وَأَوْسَطَهَا وَأَنْقَاهَا: تَفْسِيرُ أَبِي الْفِدَا^(١)،
فاجْعَلْهُ لَكَ رِدَا، وَصَدَّقْنِي لَكَ الْفِدَا!.

واعْلَمْ أَنَّهُ لَا يُغْنِي سِفْرٌ عَنْ سِفْرٍ^(٢)!! وَإِنَّمَا هِيَ لَالِيٌّ فِي بَحْرٍ.
وَعُقُودٌ مِنْ نُورٍ، عَلَى نُحُورِ الْحُورِ، وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ.

-
- (١) أبو الفداء ابن كثير، تفسيره أصفى التفاسير، وأنقاهها من شوائب
الإسرائيليات والأقوال المنكرة، وهو فيأض بنور الآثار، فلا تعدل عنه
أيها الطالب. وهو كتاب سهل القطاف بحمد الله، ولا تظنن أن طلب
العلم في الكتب العسرة أولى وأنفع!
- (٢) أي: لا يغني تفسير عن تفسير.

المَقَامَةُ التَّفْسِيرِيَّةُ

(من أول الفاتحة إلى آخر الحجر)

قال أبو العينين:

لَقِيتُ عَالِمًا مِنْ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ، لَدَى بَابِ السَّلَامِ. يُشَارُ إِلَيْهِ بِالْبَنَانِ، فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ وَالْبَيَانِ. فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ. جَنَحَ إِلَى عَرَصَةٍ فُصِيحَةٍ، وَاقْتَعَدَ قَعْدَةً مُرِيحَةً، ثُمَّ قَالَ بِعِبَارَةٍ فَصِيحَةٍ. الْحَمْدُ لِلَّهِ حَقَّ حَمْدِهِ، وَتَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ. اللَّهُمَّ يَسِّرْ لِي فِي هَذِهِ السَّاعَةِ، أَنْ أُسَرِّدَ لِهَذِهِ الْجَمَاعَةِ. مَجْمَلَ غَرِيبِ التَّنْزِيلِ، بَيْنَ الْإِجْمَالِ وَالتَّفْصِيلِ. فَلَهَجَ بِلُغَةٍ وَاضِحَةٍ، مُبْتَدَأًا بِسُورَةِ

الْفَاتِحَةُ

﴿الْحَمْدُ﴾: هُوَ الثَّنَاءُ، وَ﴿الذِّكْرُ﴾: هُوَ الْجَزَاءُ. وَالضَّالُّونَ: الْخَارِجُونَ عَنْ طَرِيقِ الْخَيْرَةِ، كَالنَّصَارَى وَأَصْحَابِ

البقرة

اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَرِيدُ، بِمُقْطَعَاتِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ. وَالرِّزْقُ: عَطَاءُ، وَالْغِشَاوَةُ: غِطَاءُ. وَمَعْنَى ﴿يَعْمَهُونَ﴾، يَتَرَدَّدُونَ. وَالصَّيْبُ: الْمَطَرُ

الغزير، والتّقدیسُ: هو التّطهيرُ، والرّغدُ: الكثير. ﴿وَالْفُرْقَانُ﴾: الفارقُ، والبارئُ: الخالقُ. والسّمانی: هو السّلوٰی، وأمّا ﴿الْمَنَ﴾: فحلوى. والرّجسُ: العذابُ الحاضرُ. ﴿الذَّلَّةُ﴾: الصّغارُ، والفارضُ: مُسنّةُ الأبقار. والفاقعُ: النّاصعُ، والتّدارعُ: التّدافعُ. والوشی كالشيّة، في جلدِ الماشيّة، والغُلفُ: في أغطيّة. والخلاقُ: النّصيبُ، في اليومِ العَصيبُ.

وقوله: ﴿فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ أي قَبِلَهُ اللهُ بلا اشتباه

والبديعُ: المبدعُ، والمثابةُ: المَرَجعُ. والعاكِفُ: هو المقيمُ، والحنيفُ: على ملةِ إبراهيم. ومعنى سَفِهَ، جَهَلَ وَتَفَهَ. والصّبغةُ: المِلّةُ المنيعةُ، كالشرعِ والشریعة. والحسرةُ: أشدُّ النّدامة، في يومِ القيامة. ﴿يَبْعُثُ﴾: كيصيحُ، على القولِ الصّحيح. والبأساء: الفقرُ، والضراءُ: الضّرُّ، والبأسُ: قتالُ أهلِ الكُفر. والجَنَفُ: الجورُ والميلُ، والخيطان: النّهارُ واللّيلُ. والرّفثُ: الجِماعُ، وحُكي فيه الإجماعُ. ويشري: يبيعُ، والمهاد: كفراش الرّضيع. والميسرُ: القِمَارُ، والقُرُوءُ: الأطهارُ. والتّربّصُ: الانتظارُ، والإكثانُ: الإضمّارُ. والخَلّةُ: الحُبُّ اللّطيفُ، والسّنةُ: التّومُ الخفيفُ. والقيومُ: القائمُ، وهو الدّائمُ. والإنشازُ: الرّفْعُ، والصّورُ: الجمعُ والضّمُّ، والصّلْدُ: الأملسُ الأصمُّ. والوابلُ: المطرُ إذا غَزُرَ، والطلُّ: إذا نَزَرَ. والرّيحُ: هو الإعصارُ، والأثقالُ: الآصارُ. والسّيدُ: مولی الإنسان، وسيأتي في

آلِ عِمْرَانَ

الدَّابُّ: ما يُعتَادُ، والمُسَوِّمَةُ: ما يُعَلَّمُ مِنَ الْجِيَادِ. والمحَرَّرُ: العَتِيقُ، والسَّيِّدُ: الكَرِيمُ لَدَى فَرِيقٍ، والحَصُورُ: مَنْ لَا يَطِيقُ. والعَاقِرُ: كَالْعَقِيمِ مِنَ الرِّجَالِ، وَمِنْ ذَوَاتِ الْحِجَالِ. والْحَوَارِيُّونَ: مَنْ يَصْطَفِيهِمُ الْأَنْبِيَاءُ، وَالرَّبَّانِيُّونَ: الْعُلَمَاءُ الْحُلَمَاءُ. وَالْأَكْمَةُ: مَنْ يُولَدُ مِنَ الْعَمِيَانِ، وَالْإِبْتِهَالُ: هُوَ الْإِلْتِعَانُ. وَالْحَبْلُ: الْعَهْدُ وَالذِّمَّةُ، فِي تَفْسِيرِ الْأُثْمَةِ. وَيَأْلُو: يُقْصِرُ، وَالْبَرْدُ: مَعْنَى الصَّرُّ. وَالْبَطَانَةُ: الدُّخْلَاءُ، وَالْخَبَالُ: الْإِفْسَادُ فِي الْخِلَاءِ، وَالْعَنْتُ: الْمَشَقَّةُ وَالْبَلَاءُ. وَالْقَرْحُ، كَالْجَرْحِ. وَالْغِلُّ: خِيَانَةُ الْعِبَادِ، وَالزَّحْزَحَةُ: الْإِبْعَادُ. وَالْمِرَابِطَةُ: الْإِسْتِعْدَادُ صَبَاحَ مَسَاءً، وَهُوَ لِلرِّجَالِ وَ

النِّسَاءُ

الرَّقِيبُ: الْحَافِظُ، أَيُّهَا الْحَافِظُ. وَالْحَوْبُ: الْوَحْشَةُ وَالْإِثْمُ، وَفِيهِ الْفَتْحُ وَالضَّمُّ. وَالْعَوْلُ: الْجَوْرُ، وَالصَّدَقَاتُ: الْمُهُورُ. وَالْإِفْضَاءُ: الْمَجَامَعَةُ، وَالطَّوْلُ: السَّعَةُ. وَالْعَنْتُ: الضَّرَرُ، ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾: الرَّفِيقُ فِي السَّفَرِ. وَذُو الْقُرْبَى: الْقَرِيبُ، وَالْجُنْبُ: الْغَرِيبُ. وَالْفَتِيلُ: بِشِقِّ نَوَاةِ التَّمْرَةِ. وَالنَّقِيرُ: النَّقْرَةُ، وَالْقَطْمِرُ: الْقَشْرَةُ. وَالْكَفِيلُ: النَّصِيبُ، وَالْمَقِيتُ: الرَّقِيبُ.

والمراغم: السَّعة والمذهب، والموقوت: المفروض الموجب.
واللي: ميل الحاكم والشهود، في الشهادة و

العُقود^(١)

العقد: هو العهد، والأَمُّ: القصد. والحرم: المحرمون،
والشَّنان: البغض بالفتح والسُّكون^(٢). والموقودة: المضروبة بنحو
الفأس، والنَّطيحة: المنطوحة بالرأس. والمُترديّة: الواقعة من
أعلى، والأزلام: الأقداح كالمعلّى. والنَّصَب: الحِجار،
والمخمصة: الجوع والسَّعار، والجوارح الأطيّار. والأخذان:
الأصدقاء، والثُّقباء: الأُمّاء. وأغرينا، سَلَطْنَا. والتَّوسَّل:،
التَّوَسَّل. والمُهَيِّم: الشَّاهد على الحقيقة. والشَّرعة: الشَّريعة
والطَّريقة. والدائرة في المكروه، لا من جميع الوجوه. والبحيرة:
المشقوقة الأذن، والسَّائبة: المسيئة من البدن. والوصيلة: ما لها
أنثى وذكر، والحام: البعير إذا كبر. وكلّها من

الأنعام

المِدرار، المِغزار. والوقر: الثقل في الأذان، والنَّأي: البعد عن
القرآن. والإبلاس، تسليم النَّفس والياس. والدَّابر، الآخر.

(١) تُسمّى المائدة: العقود أيضاً.

(٢) بفتح النون، وسكونها.

والبُزوغُ: ضدُّ الأفول، يا ذوي العقول. والغمراتُ: السَّكراتُ.
والحُسبانُ: تُحسَبُ به الأوقات. والبينُ: الوصلُ، ويطلق على
الفصل. والمستودعُ في أصلابِ الذُّكرانِ، والمستقرُّ في أرحامِ
النِّسوانِ. والقنوانُ: الأعذاقُ، والخرقُ: الاختلاقُ. والصَّغارُ:
المهانة والذلُّ، والمكانة: الناحية لدى الجُلِّ. والحمولةُ من
الأنعام: الكِبارُ، والفرشُ: للصَّغارِ. والفقرُ: هو الإملاقُ،
والشَّيعُ: الفِرَقُ عن شقاق. وسببها الهوى والاختلافُ، والتَّعصُّبُ

لِلأَعْرَافِ

الذَّامُ: أقصى الذَّمِّ، والثَّقبُ: هو السَّمُّ، وفيه الفتحُ والكسرُ
والضَّمُّ. و﴿يَخْصِفَانِ﴾، يلزقان. والرَّيشُ: العينُ والمالُ، وقيل:
الزَّينةُ والجمالُ. و﴿الغَابِرِينَ﴾: الباقيين، وقيل: الذَّاهِبِينَ.
و﴿عَفَوا﴾: كَثُرُوا، وأرجئوا وأخَّروا. والسَّنينُ: الجَدْبُ وضِدُّ
السَّعةِ، والحَسَنَةُ: النِّعمةُ والدَّعةُ. ومُتَبَّرٌ: هَالِكٌ، والعُرُوشُ
هناك. والأسَفُ: الغَضَبُ، والخوفُ: هو الرَّهَبُ. والسَّبْطُ: ولدُ
الوَلَدِ، والإِصرُ: هو العَهْدُ. والشُّرْعُ: الظَّاهِرَةُ، والعُذْرَةُ
كالمَعذِرَةِ. والبئيسُ: الشَّدِيدُ، وهو وعيدٌ شديدٌ. والانفجارُ
كالانبجاسِ، والخَلْفُ: الطَّالِحُ مِنَ النَّاسِ. والظُّلَّةُ: السَّحَابَةُ لَا
تَنْقِشُ، ونتقُ الجبلُ: إِذَا قَلِعَ. وأخلَدَ بمعنى: ركنَ، في قول
الحسن. ويُجَلِّيها: يُظهِرُها لِلنَّاسِ، والحَفِيُّ: العالمُ في قول ابن

عباس. والطائف: اللَّمَمَ في لغة العرب، وزعم مجاهد أنه الغضب. والأصيل: واحد الأصال، على زنة

الأنفال

وهي الغنائم في قول البحر والضحاك، والوجل: الخوف من الهلاك. والشوكة: السلاح، ومنه: شاكي السلاح. والأمنة: الأمان، والأطراف: البنان، والمخرج: هو الفرقان. وهو النصر عند فريق، والمكاء: الصفير على التحقيق، والتصدية: التصفيق. وريحكم: دولتكم، وقيل: شدتكم. والعدوة: جهة الواد، والبطر: الفخر على العباد. والنكوص: الرجوع إلى القهقري، والتشريد: التنكيل بين الوري. وولاية الكافرين بالنصر والمحبة، وذلك جرم لا ينزع إلا

بالتوبة

لا بسملة عند علماء القراءة، في أول سورة ﴿براءة﴾. والأذان: الإعلام، أيها الأعلام. والإل: العهد ذو الأيد، في قول ابن زيد^(١). وكذلك معنى الذمة، في قول جبر الأمة^(٢). والوليعة: البطانة، والسكون: معنى السكينة. ﴿السيء﴾ في

(١) جابر بن زيد الأزدي، من تلاميذ ابن عباس (ت ٩٥هـ).

(٢) عبد الله بن عباس رضي الله عنهما (ت ٦٨هـ).

الشُّهُور، هُوَ التَّأخِيرُ ﴿الشَّقَّةُ﴾: السَّفَرُ، كما قال الأكثر.
والإيضاع: الإسراعُ في السَّيْرِ، والمغارة: كَالْغُورِ فِي عَيْرٍ^(١).
و﴿يَجْمَحُونَ﴾: يُسْرِعُونَ، و﴿الْمُعَذِّرُونَ﴾: الْمُعْتَذِرُونَ.
و﴿الْحَوَالِفُ﴾: النِّسَاءُ وَالصَّبِيَّانَ، وَأَهْلُ الْأَعْذَارِ مِنَ الشَّيْخَانِ^(٢).
والـ ﴿مُرْجَتُونَ﴾: الْمُؤَخَّرُونَ. وَقُرِئَ بِحَذْفِ الْهَمْزَةِ، لِحَقْصِ
ونافعِ والكِسَائِيِّ وَحَمْزَةِ. وَالْإِرْصَادُ: الْارْتِقَابُ، فِي قَوْلِ ابْنِ
الْأَعْرَابِ. وَمَعْنَى ﴿شَفَا جُرْفٍ هَارٍ﴾: شَفِيرٌ مُجْتَرِفٌ مُنْهَارٌ.
وَالسَّائِحُ: الصَّائِمُ بِلُغَةٍ هُذِلَ، وَقِيلَ: طَالِبُ الْعِلْمِ وَهُوَ قُوَيْلٌ^(٣).
وقيل: هُوَ الْغَازِي الْمُجَاهِدُ، وَقِيلَ: السَّائِرُ فِي الْفِدَافِ^(٤). وَאו
﴿وَالنَّاهُوتُ﴾: وَאו الثَّمَانِيَّةُ^(٥)، وَفِيهِ أَقْوَالٌ ثَانِيَّةٌ. وَقِيلَ:
زَائِدَةٌ، قُلْنَا: مَا الْفَائِدَةُ؟ وَالْأَوَّاهُ: الدُّعَاءُ بِالْعَبْرِيَّةِ، أَوْ: الرَّحِيمُ
بِالْحَبَشِيَّةِ. وَمَعْنَى ﴿خُلِفُوا﴾: أَخْرَوْا عَنْ تَوْبَةِ ذِي الْجَلَالِ، وَهُمْ:
مُرَّارَةٌ وَكَعْبٌ وَهَلَالٌ^(٦). وَالتَّصَبُّ: مَا يُتَعَبُّ الْأَنْفُسُ، وَالْغِلْظَةُ:
الشَّدَّةُ وَمَا لَا

(١) فِي جَبَلٍ.

(٢) الشُّيُوخُ.

(٣) قَوْلٌ ضَعِيفٌ.

(٤) فِي الصَّحَارَى.

(٥) وَאו الثَّمَانِيَّةُ تَعْطَفُ الْعِدَدَ ثَمَانِيَّةً أَوْ مَا فِي مَعْنَاهُ، بِالْوَاوِ دُونَ مَا قَبْلَهُ.

(٦) مُرَّارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ، وَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، وَهَلَالُ بْنُ أُمِيَّةٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَيُرْمَزُ لَهُمْ
بِ (مَكَّة).

يُونُس (١)

﴿قَدَّمَ صِدْقٍ﴾: عملٌ صالحٌ، في رواية أبي صالح.
 و﴿الْحَصِيدُ﴾: المحصود. والنَّظَرُ هو: الزيادة، في قول البحر
 وقتادة. وزيلنا: فرقنا. و﴿تَبَلَّوْا﴾: تذوق وتختبر، والإفاضة فيه:
 الإكثار من الهذر. والسُّلْطَانُ: الحُجَّةُ، والغُمَّةُ: كالدُّلْجَةِ.
 و﴿الَّذِينَ خَلَّوْا﴾ هم أصحاب الرِّسِّ وثُمُودٌ، ومَنْ قَصَّهْمُ فِي
 سُورَةِ

هُود

الْأُمَّةُ: الْحَيْنُ، ويأتي بمعنى: الدِّينُ. وبمعنى: الجامعُ،
 والإخباتُ: الإنابةُ والتَّواضُعُ. وبادئُ: أوَّلُ الرَّأْيِ. ﴿وَعِضْ﴾،
 أي: نقص إذ نَزَلَ، و﴿الْجُودِي﴾: اسمُ جَبَلٍ. والمَجِيدُ: الكَرِيمُ
 المَاجِدُ، والعَنِيدُ: العُنُودُ كَالْعَانِدِ والمُعَانِدُ. و﴿مُنِيبٌ﴾: مِنْ
 أَنَابَ، أي: رَجَعَ، و﴿الزَّوْعُ﴾: الْفَزَعُ. و﴿يَهْرَعُونَ﴾: يُسْرِعُونَ
 فِي رِعْدَةٍ، وَيَوْمَ عَصِيبٍ: ذُو شِدَّةٍ. و﴿سَجِيلٍ﴾: طِينٌ بِحَجَرٍ،
 و﴿مُسَوَّمَةٌ﴾: مُعَلَّمَةٌ لِمَنْ فَجَرَ. وَمَدَّيْنِ: رَجُلٌ وَقِيلَ: بَلَدٌ،

(١) أي: ما لا يؤنس، وفيه إشارة إلى سورة «يونس».

والرِّفْدُ: العَوْنُ والمَدَدُ. ﴿يَقِيْتُ اللَّهَ﴾: الطَّاعَةُ، والزَّلْفُ: السَّاعَةُ بعد السَّاعَةِ. والتَّيِّبُ: الإِهْلَاكُ كالإِثْرَافُ، وفيه وفي الاستِثْناءات الثلاثِ خِلافٌ^(١). وكثيرٌ لم يُنْصَفْ، وذاك ممَّا

يُوسُفُ^(٢)

﴿يَرْتَعُ﴾: كَنَلَهُوْ، و﴿مَثَوْنُهُ﴾: مَنَزِلُهُ. والبَخْسُ: هو التَّقْصَانُ، و﴿هَيْتَ﴾ كَتَعَالِ بِلُغَةِ حَوْرَانَ. والأَشْدُّ: استكمال القُوَى، والشَّغْفُ: الوجدُ والجَوَى. أو: هو وُصُولُ الحُبِّ، إلى شِغَافِ القَلْبِ. وأمَّا ﴿تُحْصِنُونَ﴾، فمعناه: تُحْرِزُونَ. والضَّعْثُ: مِلءُ اليَدِ مِنَ الحَشِيشِ وما أَشْبَهَ ذَلِكَ، و﴿حَصَّصَ الْحَقُّ﴾، تَبَيَّنَ ما هُنَالِكَ. والمِيرَةُ: جَلْبُ الطَّعَامِ ومِمْهُ مَكْسُورٌ، والصُّوَاعُ: إِنَاءٌ يُسْقَى بِهِ كما قال ابنُ مَنظُورٍ. و﴿أَسْتَيْشَسُوا﴾: يَيْسُوا. و﴿خَلَصُوا نَجِيًّا﴾: اِعْتَزَلُوا يَتَنَاجُونَ. و﴿تَفْدُونَ﴾: تُحَمِّقُونَ وتَسْفَهُونَ. و﴿تَفْتَوُا﴾: تَزَالُ، والْحَرَصُ الذي أَذَابَهُ الحُزْنُ والبَلْبَالُ^(٣). والمَرْجَاةُ: الرَّدِيئةُ المَدْفُوعَةُ، وقيل: المَسْوُوقَةُ

(١) أعني: إِلَّا ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ في الآيتين، والثالثة: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧، ١٠٨، ١١٩].

(٢) أي: ممَّا يُوسُفُ، وفيه إشارة إلى السورة التي بعدها، وهي سورة «يوسف»، ويجوز في السِّينِ الفتح والكسر والضم.

(٣) خواطر القلب.

المدفوعة^(١). والتَّشْرِيبُ: التَّعْيِيرُ، والعَرْشُ: السَّرِيرُ. والبَصِيرَةُ:
المَعْرِفَةُ والرَّدُّ، والغَاشِيَةُ: القَوَارِعُ

والرَّعْدُ^(٢)

﴿الْمُتْلِكُ﴾: العُقُوبَاتُ. والسَّارِبُ: الظَّاهِرُ فِي النِّجَاةِ أَوِ الْهَلَكَةِ،
وَالْمُعَقَّبَاتُ: الْمَلَائِكَةُ. وَ﴿شَدِيدُ الْحَالِ﴾: شَدِيدُ الْعُقُوبَةِ وَالنَّكَالِ.
وَالْجَفَاءُ: مَا يَقْذِفُهُ السَّيْلُ مِنَ الزَّبَدِ، وَ﴿طَوِينٌ﴾: شَجَرَةٌ كَمَا
وَرَدَ. وَمَعْنَى ﴿أَكْلُهَا دَائِمٌ﴾: لَذَّتْهَا فِي الْأَفْوَاهِ وَالْغَلَاصِيمِ^(٣)،
كَمَا جَاءَ عَنْ^(٤)

إِبْرَاهِيمَ

أَيَّامُ اللَّهِ: هِيَ النَّعَمُ، وَقِيلَ: مَا حَصَلَ فِيهَا مِنْ نَقَمٍ. وَالصَّدِيدُ:
مَا يَسِيلُ مِنْ جِسْمِ أَهْلِ الْوَعِيدِ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ لَفْظَةُ التَّوْحِيدِ.
وَالْبَوَارُ: الْهَلَاكُ وَالْدَّمَارُ. وَالْمَخَالَةُ مَعْنَى الْخِلَالُ، وَالْأَصْفَادُ: هِيَ
الْأَغْلَالُ. وَالْإِهْطَاعُ، الْإِسْرَاعُ. وَمُقْنَعِي رءُوسِهِمْ، رَافِعِيهَا عَنْ
صُدُورِهِمْ. وَالْقَطِرَانُ: قَارُ ذُو سَجَرٍ، وَالْأَلْبَابُ: النَّهْيُ

(١) الأولى بمعنى المرفوضة، والثانية بالعكس.

(٢) فيه إشارة إلى سورة «الرعد».

(٣) جمع غلصمة، وهو رأس الحلقوم.

(٤) إبراهيم: إبراهيم بن يزيد التيمي (٩٦هـ).

والحجر

رُبَّ: حرفٌ تَقْلِيلٌ، وَلِلتَّكْثِيرِ لَدَى قَلِيلٍ. وَالتَّغْشِيَّةُ: التَّسْكِينُ.
وَالْمَوْزُونُ: مُقَدَّرٌ مَعْلُومٌ، وَالرَّجِيمُ: الْمَرْجُومُ. وَاللَّوَاغِ: مَا يَلْقَحُ
الشَّجَرُ، وَالْمَسْنُونُ: الْمَتْنُ بِلُغَةٍ حَمِيرٍ. وَالْيَابَسُ: مَعْنَى
الصَّلَاةِ، وَالْحَمَأُ: طِينٌ مُتَغَيِّرُ الْحَالِ. وَالْقُنُوطُ: الْيَاسُ،
وَالْتَّوَسُّمُ: الْفِرَاسَةُ لَدَى ابْنِ عَبَّاسٍ. وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي: فَاتِحَةُ
الْكِتَابِ، وَقِيلَ: السَّبْعَةُ الْأَحْزَابُ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ وَابْنُ كَيْسَانَ،
جَمِيعُ الْقُرْآنِ. وَالْمَوْتُ: مَعْنَى الْيَقِينِ، ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ﴾ (١).

(١) وهذه فاتحة الفاتحة التي بدأنا بها مقامة التفسير، ردًا للعجز على الصدر.

المَقَامَةُ التَّجْوِيدِيَّةُ

قال أبو العينين:

دَخَلَ أَبُو إِسْحَاقَ، عَلَى بَعْضِ الرَّفَاقِ. وَهُمْ يُتِمِّتُونَ بِبَعْضِ
أَحْكَامِ الْقِرَاءَةِ، وَأَوْجُهُ الْوَصْلِ فِي بَرَاءَةٍ^(١). وَبِالْمَخَارِجِ
وَالصِّفَاتِ، وَالْوَقْفِ وَالسَّكَّاتِ. وَالْمَدَّ وَالْتَفْخِيمَ، وَأَحْكَامِ النُّونِ
وَالْمِيمِ. فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ^(٢)، قَالُوا - وَهُمْ فَرَهُونَ^(٣) - : مَرْحَبًا
بِكَ السَّاعَةَ، يَا أَخَا الْجَمَاعَةِ. صَادَفَتْ مَحَلًّا مُؤَنَسًا، وَمَجْلِسًا
مُقْبِسًا^(٤). حَدَّثَنَا فِي آيَاتِ التَّنْزِيلِ، وَمَسَائِلِ التَّرْتِيلِ. وَأَفِضْ عَلَيْنَا
مِنْ سَحَائِبِ عِلْمِكَ، وَمَلِيحِ نَظْمِكَ. وَسَتَجِدُنَا أَسْمَعَ مِنْ سَمْعٍ،
يَا زَكِيَّ السَّمْعِ^(٥). فَلَمْ تَكُنْ إِلَّا ثَوَانًا^(٦)، حَتَّى تَكَلَّمَ

(١) فِي سُورَةِ بَرَاءَةِ، وَفِي وَصَلِ آخِرِ الْأَنْفَالِ بِهَا ثَلَاثَةُ أَوْجِهٍ لَدَى الْقِرَاءَةِ،
وَكُلُّهَا بِلا بِسْمَلَةٍ.

(٢) يَسْرِعُونَ.

(٣) فَرَحُونَ.

(٤) أَقْبَسَهُ: أَعْطَاهُ قِبْسًا. وَأَقْبَسَ فَلَانًا نَارًا: طَلَبَهَا لَهُ.

(٥) السَّمْعُ بِالْكَسْرِ: الذِّكْرُ الْجَمِيلُ، وَهُوَ أَيْضًا: وَلَدُ الذَّئْبِ مِنَ الضَّبْعِ،
يَضْرِبُ بِهِ الْمِثْلَ فِي السَّمْعِ، فَيَقَالُ: هُوَ أَسْمَعَ مِنْ سَمْعٍ.

(٦) جَمْعُ ثَانِيَةٍ. وَيَجُوزُ فِي الْمَنْقُوصِ الْمَنْكَرِ الْحَذْفُ وَالْإِثْبَاتُ.

بِلا تَوَانٌ^(١). حَمِدَ اللهُ وَبَسْمَلَ، وَهَيَّلَ^(٢) وَحَسْبَلَ^(٣). وقال:
 لَا جَرَمَ^(٤)، أَنْكُمْ اسْتَسَمْتُمْ ذَا وَرَمَ. وَأَحْسَنْتُمُ الظَّنَّ، بِحِذْقِي لِهَذَا
 الْفَنِّ. فَوَرَبُّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ، مَا أَنَا إِلَّا طَالِبٌ فِي بَحَارِ
 الْمَطَالِبِ، وَاقِفٌ عَلَى شَوَاطِئِ الْمَشَارِبِ! غَيْرَ أَنِّي سَأُدْلِي بِدَلْوِي
 فِي الدَّلَا^(٥)، وَحَاشَا أَنْ أَقُولَ لَكُمْ: لَا. فَقَدْ أَخَذْتُ عَلَيْنَا
 الْإِيْمَانَ، عَلَى عَدَمِ الْكِثْمَانِ. غَيْرَ أَنِّي سَأُضَمِّنُ ذَلِكَ مَا عَرَانِي
 بِالْأَمْسِ، مِنْ عِلَلٍ وَوَجَسٍ^(٦). وَأُشْرِحُ لَكُمْ حَالِي، وَفُجْأَةً
 اعْتِلَالِي. وَتَقْلُبُ بَالِي وَبَلْبَالِي^(٧)، وَتَحَوَّلَ عَافِيَتِي وَمِثَالِي^(٨). وَمِمَّا
 زَادَ فِي الْاِعْتِلَالِ، أَنَّنِي مُفَاضٌ^(٩) مَالٌ^(١٠).

(١) تَعَبٌ وَفَتُور.

(٢) قال: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

(٣) قال: حَسْبِي اللهُ.

(٤) لَا شَكَّ.

(٥) بِالْقَصْرِ، أَصْلُهُ: الدَّلَاءُ، جَمْعُ دَلْوٍ، وَتَجْمَعُ الدَّلَوُ عَلَى أَدْلٍ، وَدِلَاءٍ،
 وَدُلِّيٌّ بِكسْرِ الدَّالِ وَضَمِّهَا، وَكَعْلَى.

(٦) فَرَعَ الْقَلْبَ.

(٧) الِهْمُّ وَشِدَّةُ الْوَسْوَاسِ.

(٨) الْمِثَالُ: صِفَةُ الشَّيْءِ.

(٩) وَاسِعَ الْبَطْنِ.

(١٠) سَمِينٌ ضَخْمٌ، أَصْلُهُ: مَالٌ، بِالْهَمْزِ، وَيَجُوزُ التَّخْفِيفُ.

وَأُدْرِجُ ذَلِكَ فِي قِصَّةٍ، فِي هَذِهِ الْحِصَّةِ^(١). فَاشْرَأَبْتُ^(٢) سَاعَتَهَا
الْأَعْنَاقُ، وَعَظُمُ الْاِشْتِيَاقُ. فَقَالَ: أَصَابَتْنِي عِلَّةٌ، وَأَعُوذُ بِاسْمِ
اللَّهِ^(٣). اهْتَزَّ لَهَا حَرْفِي، وَتَحَرَّكَ مِنْهَا لِسَانِي وَجُوفِي. وَعَرَضَ لِي
جَفَافٌ فِي الْحُلُقُومِ، وَالشَّفَتَيْنِ وَالْخِيْشُومِ^(٤). فَلَذْتُ إِلَى اللَّهِ
بِالرَّجَا، أَنْ يَهَبَنِي فَرَجًا، وَيَجْعَلَ لِي مَخْرَجًا^(٥). فَوَهَبَ لِي سَبْعَةَ
عَشَرَ^(٦)، وَانْبَجَسَ^(٧) الصَّوْتُ وَانْتَشَرَ. وَدَوَّتِ^(٨) الْحُرُوفُ،
كَدَوِيِّ الْخَذْرُوفِ^(٩). وَهِيَ بِالتَّغْيِيبِ^(١٠)، عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ:

إِلَّا هَبُوا عَلَى حَبِيرٍ غَزِيرٍ

خَبِيرٍ قَادِرٍ، كَهَلٍ جَلِيلٍ

(١) الجزء من الزمن.

(٢) امتدّت.

(٣) لا تنسجم السَّجْعَةُ إِلَّا بِحَذْفِ أَلْفِ الْجَلَالَةِ بَعْدَ اللَّامِ. وَلَا اخْتَارَ لَكَ أَيُّهَا
الْقَارِئُ أَنْ تَرْتَكِبَ مِثْلَ هَذَا لِمِثْلِ هَذَا، وَلِتَذْهَبَ السَّجْعَةُ إِلَى حَيْثُ أَلْقَتْ
رَحْلَهَا أَمْ قَشَعَمَ. وَلَنْ أُغَيِّرَ شَيْئًا فِي الْقَافِيَتَيْنِ.

(٤) الجوف والحلق واللِّسَانُ وَالشَّفَتَانِ وَالْخِيْشُومُ هِيَ الْمَخَارِجُ الْعَامَّةُ
لِلْحُرُوفِ الْهَجَاءِ.

(٥) مَخْرَجًا لِلْحُرُوفِ، وَمَخْرَجًا مِنْ كُلِّ ضَيْقٍ.

(٦) وَهِيَ مَخَارِجُ الْحُرُوفِ الْخَاصَّةُ، عَلَى الْقَوْلِ الْمَشْهُورِ.

(٧) انْفَجَرَ.

(٨) صَوَّتَتْ.

(٩) شَيْءٌ يَدَوِّرُهُ الصَّبِيُّ بِخَيْطٍ فَيَسْمَعُ لَهُ دَوِيٌّ.

(١٠) تَرَكَ الْمَبَالِغَةَ.

شَرِيف يَلْمَعِي^(١) ضَاءَتْ لَدَيْهِ

نُهُى رَامَتْ طَوَاعِيَةَ الدِّلِيلِ

تِلَا صَادَا^(٢) سَحِيرًا زَادَ ظَهْرًا

ذَنُوبًا^(٣) نِمَّ^(٤) فِي وَادٍ بِمِيلِ^(٥)

بَعْدَ أَنْ كُنْتُ لَا أَظْهَرُ غَيْرَ الْمُظْهَرَةِ، وهي: «آه» وأربع في أُخْرَةٍ^(٦). وقد أتى الأصحاب يَرْمُلُونَ^(٧)، والله أعلم بما يَعْمَلُونَ. وقالوا: لَيَنْبَذَنَّ مُنْقَلَبًا^(٨)، وَلِيُخْفِنَ مُنْقَلَبًا. فَصِرْتُ فِي تِلْكَ

(١) لغة في الألمعي.

(٢) النحاس، ويطلق على الأسد والملك، ومن يرفع رأسه كبيرًا.

(٣) نصيبًا.

(٤) هناك.

(٥) الميل: مسافة معروفة، والمراد: أنه وادٍ واسع.

وهذه الأبيات اشتملت على جميع الحروف الهجائية مُرتَّبة ترتيبًا مخرجيًا، ابتداءً من الحلق إلى الشَّفتين. وللحروف ترتيبان آخران، ترتيبيّ هجائيّ، ويقال له: ألف بائي، ومعجميّ. وترتيب أبجديّ.

(٦) المراد الإظهار، وهي الألف والهاء، والأربع الآخر (العين والحاء، والغين والخاء).

(٧) حروف الإدغام الستة.

(٨) هذا مثال الإقلاب.

الآوَنَةُ، كَالْمِيمِ السَّائِكَةِ. مَرَّةً تُخْفَى وَمَرَّةً تُظْهَرُ، وَطَوْرًا تُدْغَمُ وَتُقْهَرُ. وَتَذَكَّرْتُ وَأَنَا مُجَشَّرٌ^(١)، قَوْلَ فَتَى زَمْخَشَرٍ^(٢):

وَأَخَّرَنِي دَهْرِي وَقَدَّمَ مَعْشَرًا

عَلَى أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَأَعْلَمُ

وَمُذْ أَفْلَحَ الْجَهَّالُ أَعْلَمُ أَنَّنِي

أَنَا الْمِيمُ وَالْأَيَّامُ أَفْلَحُ وَأَعْلَمُ^(٣)

ولما اطَّلَعَ الطَّبِيبُ عَلَى ذَاتِي، وَرَأَى حَالِي وَصِفَاتِي^(٤). جَهَرَ
بِمَا أَحَسَّ وَمَا صَمَتَ، وَحَنَّهُ شَخْصٌ فَسَكَتَ^(٥). وَهَمَزَنِي بِشِدَّةٍ،
قَالَ: قَطْبُكَ جُدَّةٌ؟^(٦)

(١) المجشَّر: المعزَّب، وهو الذي أبعد عن داره.

(٢) الزمخشري، صاحب التفسير. وكل ما ورد من الشعر والنظم في المقامات هو من قولي إذا لم أعزّه إلى أحد.

(٣) هذا البيتان يشتملان على لُغْزٍ عَسِرٍ، ويظهر لي معناه، وهو: أن الزَمْخَشَرِي يشبه نفسه بحرف الميم التي لا يستطيع أن يلفظ بها من كان أَفْلَحَ، وهو: مشقوق الشَّفَّةِ السُّفْلَى، أو: من كان أعلم، وهو: مشقوق الشَّفَّةِ العُلْيَا. يشكو زمانه وأهله في ذكرهم للجاهلين، وترك الثناء على العالمين.

(٤) إشارة إلى صفات الحروف.

(٥) حَنَّهُ شَخْصٌ فَسَكَتَ: هي حروف الهمس.

(٦) قَطْبُكَ جُدَّةٌ: حروف الشدَّة، وهي: ثمانية، تلك سَبْعَةٌ، والثامن الهمز، وهو مضمَّن في لفظ (همزني)، ويجمع أيضًا في: أجد قطر بكت.

قلتُ في رَخَاوَةٍ: أَجَلٌ، وَتَوَسَّطَ عَرْمَلٌ^(١). وهو مُسْتَعْلٍ يَقِظٌ،
وْخُصَّ بِضَغْطٍ قَظٍ^(٢). وقال: لا تَكُنْ في اسْتِفَالٍ وَضَعَةٍ، وَأَطْبِقْ
ولا تفتَحْ لأربعة^(٣). وَفِرَّ مِنْ لُبٍّ عِنْدَ الإِذْلَاقِ^(٤)، وَأَصْمِتْ عِنْدَ
البَوَاقِ. تلكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ^(٥)، ولي عَشْرُ صِفَاتٍ آثِلَةٌ^(٦).

وأَوْصَانِي بِالْمَدِّ، عِنْدَ الهمزِ والرَّدِّ^(٧). وأن لا أَجَاوِزَ حَرَكَتَيْنِ،
عِنْدَ ذَهَابِ هَاتَيْنِ^(٨). وقال: المَدُّ لَازِمٌ مَعَ السُّكُونِ^(٩)، فَإِنْ كَانَ
عَارِضٌ فَلَكُمْ فِيهِ مَا تَخَيَّرُونَ^(١٠). وهو^(١١) جَائِزٌ فِي الْإِنْفِصَالِ^(١٢)،

-
- (١) عَرْمَلٌ: حروف التوسط، وباقي الحروف للرخاوة، وتجمع أيضًا في «لِنْ عُمَر».
- (٢) خُصَّ ضَغْطٌ قَظٌ: حروف الاستعلاء، والبقية للاستفال.
- (٣) الأربعة للإطباق، وهي: الصاد والضاد والطاء والظاء. والباقي للانفتاح.
- (٤) حروف الإذلاق (فِرَّ مِنْ لُبٍّ)، والباقي للإصمات.
- (٥) أعني الصفات، وهي: الهمس، والشدة، والاستعلاء، والإطباق، والإذلاق، وأضدادها.
- (٦) متأصلة.
- (٧) السكون.
- (٨) أعني: الهمز والسكون.
- (٩) إشارة إلى المدِّ اللازم، وهو: أن يكون بعد حرف المدِّ سكون ثابت.
- (١٠) لأن فيه المدَّ والتوسط والقصر.
- (١١) أي: المدَّ.
- (١٢) المدُّ المنفصل.

واجبٌ في الاتِّصَالِ. والوقوفُ كاملٌ عند التَّمَامِ، وكافٍ بين الكلامِ. وحَسَنٌ حِينَ لَا مَلَامٌ^(١)، وإِلَّا فَهُوَ أَلِفٌ بَعْدَ لَامٍ^(٢). وَإِيَّاكَ أَنْ تَرْقُقَ الْفَخِيمَ^(٣)، أَوْ تُفَخِّمَ الْهَظِيمَ^(٤)!

وَلَمْ يَزَلْ يَتَدَرَّجُ فِي تَضْمِينِهِ، إِلَى حِينِهِ. مِنْ تَلْمِيحٍ إِلَى تَلْوِيحٍ، ثُمَّ إِلَى تَصْرِيحٍ. ثُمَّ أَخَذَتْهُ سِنَةٌ^(٥) فِي تِلْكَ الْحَالِ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ:
وَقَلِّقُلُوا قُطْبَ جَدٍ^(٦) وَرَقِّقُوا

رِاءَاتِ فِرْعَوْنَ وَمَجْرَى^(٧) يَسْرِقُ^(٨)
وَفَخِّمُوا اللَّامَ مِنَ اللَّهِمْ
وَاللَّهُ عَنْ^(٩) فَتَحَ وَحَرْفٍ ضُمًّا^(١٠)

- (١) أنواع الوقف الجائز (تام، وكاف، وحسن)، وللناس فيها تقسيمات مختلفة، وقلنا: الجائز؛ لأنه ليس في القرآن واجب.
- (٢) أي: وقف قبيح، لأنه يشار إليه بـ (لا) في المصاحف.
- (٣) المفخِّم.
- (٤) الرقيق.
- (٥) خفقة نعاس.
- (٦) قطب جد: حروف القلقلة.
- (٧) بالإمالة في ﴿مَجْرَيْنَا﴾.
- (٨) وهي الرِّاءَاتِ المكسورة، والسَّاكِن بعد كسر ليس بعدها حرف استعلاء متَّصل، والرِّاءُ الْمُمَالَة، كراء ﴿مَجْرَيْنَا﴾.
- (٩) عن بمعنى: بعد.
- (١٠) هذا الفعل فعل ماضٍ، وليس فعلٍ أمر. وليس في القرآن ما يُفَخِّم من اللّامات إلا لام الجلالة، ولام اللهم، وأصلها اسم الجلالة أيضًا. ومن القراء من يُفَخِّم بعض اللّامات، وهو نافعٌ من رواية ورش، بضوابط.

ولامَ شَمْسٍ أدْغَمُوا أمَّا القَمَرُ
فأَظْهَرُوا اللّامَ لَدَى أَرْبَعٍ عَشَرَ^(١)

ثُمَّ أَخَذَ يَقُولُ، وَهُوَ يَجُولُ:

وَلَا تَهْمِزُوا إِبْنًا وَلَا امْرَأَةً وَلَا امًّا

رَعَاءَ كَانَ أَوْ اثْنَيْنِ^(٢) واسْمًا و(آل) معًا

وَلَكِنْ صَلُّوْهَا واقْطَعُوا غَيْرَهَا وَمَصَّ

—دَرًا ذَا رُبَاعِيٍّ وَفِعْلًا تَرْبَعًا^(٣)

(١) بإدغام العين في العين، وهي لغة فصيحة، قرأ بها أبو عمرو فيما ماثله في القرآن. والحروف التي تدغم فيها اللام الشمسية هي الحروف الأولى من كل كلمة في هذا البيت:

طِيبٌ ثُمَّ صَلِّ رَحِمًا تَفْزُ ضِفْ ذَا نَعَمْ دَغْ سَوْءَ ظَنٌّ زُرٌّ شَرِيفًا لِلْكَرَمِ
وهي أربعة عشر حرفًا، والباقي - وهي أربعة عشر حرفًا أيضًا - حروف اللام القمرية.

والبيت المذكور إذا قرئ بسكون الحاء في (رحمًا) كان البيت من الرجز، فإذا قرئ بكسر الحاء انقلب إلى بحر الكامل؛ لأن الرجز يتفق معه في «مستفعلن»، فإذا كان فيها «مُتَفَاعِلٌ» صار من الكامل، ولو كانت القصيدة ألف بيت، كل تفعيلاتها «مستفعلن»، كان من الرجز، فإذا كان في واحد من أبياته «مُتَفَاعِلٌ» انقلب من الرجز إلى الكامل.

(٢) بهمزة قطع للضرورة، وكذلك «ابنا» في صدر البيت.

(٣) أي الفعل الرباعي.

وَعِنْدَ جُنْحِ الظَّلَامِ، خَتَمَ الْكَلَامَ. وَاسْتَأْذَنَ لِلْقِيَامِ، وَأَلْقَى إِلَيْنَا
السَّلَامَ، مُلَوِّحًا بِالسَّلَامِ^(١). وَلَمْ يَزَلِ الْجَمْعُ، يُلْقُونَ السَّمْعَ،
وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ، مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ، وَهُمْ يَهْمُونَ
بِاللَّحَقِّ^(٢).

(١) بكسر السين: عظم ظهر الكف.
(٢) اللّحاق، يقال: لحق به لحقًا ولحاقًا.

المقامة الحديثية

قال أبو العيين:

حدّث أبو إسحاق في مجلس عامر، وصحب سامر. أحاديث الحفّاظ، الكيسى^(١) الأيقاظ. يساقط القول في كل مضمار. ويجنح إلى الحديث والأخبار. فلمّا سمع القوم كلامه، نشره ونظامه. رغبوا أن لا يخرج الحديث، عن علوم الحديث. واتّفق الأصحاب، على أن تُمتّع الألباب، بقصيدته في الألقاب.

فتهلّل وجهه وأسفر، واستضحك واستبشر. وقال: تالله لقد خطر بالفؤاد، أن يُحرّك بها الزناد، في هذا النّاد^(٢). وإنّها لدى ذي العقل الرّجيج،^(٣) والرأيّ الصحيح، فائقة «غرامي صحيح»^(٤). وتفوز بالرجحان، على قصيدة الصّبّان^(٥). وكلاهما

(١) جمع كَيْس كجيد: الظريف.

(٢) النّادي، ويجوز حذف يائه.

(٣) الراجح.

(٤) قصيدة «غرامي صحيح» مطلعها:

غرامي صحيح والرجا فيك معضلٌ وحزني ودمعي مرسلٌ ومسلسلٌ
وناظمها، هو: ابن فرح، أحمد بن محمد بن فرح الإشبيلي، توفي (سنة ٦٩٩هـ).

(٥) قصيدة الصّبّان في ألقاب الحديث أولها:

حاز التَّفْضِيلُ، على الإجمال لا التَّفْصِيلُ. بالسَّبْقِ والتَّذْلِيلِ،
ويستوجبانِ الثَّناءَ الجميلَ. واللهُ يَقْضِي بالهَبَاتِ، والمنح
الصَّيِّبَاتِ^(١)، والحسنات والطَّيِّبَاتِ. لي ولهما وللجميع، يوم لا
ينفعُ شَفِيعٌ. إِلَّا مَنْ أذن الله لَهُ، ورضي ما سألَهُ. فافتحوا لها
القلوبَ والألبابَ، وأغلقوا النِّوافِذَ والبابَ.

١ - الحمد لله أمّا بعد: يا أُملي

هل صحَّ^(٢) قلبُك^(٣) بعد الضَّعْفِ^(٤) والعِلَلِ^(٥)

٢ - أم دَلَّسَ الشَّيْخُ^(٦) أم أَبْهَمْتَ^(٧) أم رُفِعَتْ^(٨)

إِلَيَّ واضطربت أخبارُكم^(٩) فَقُلْ

= صلوا صحيح غرام صبره ضَعُفًا

لمحمد الصَّبَّان، مطبوعة بمجموع مهمَّات المتون.

(١) الكثيرات، والصيب: المطر.

(٢) إشارة إلى الصحيح.

(٣) المقلوب.

(٤) الضعيف.

(٥) إشارة إلى العلة في الحديث.

(٦) تدليس الشيوخ.

(٧) المبهم.

(٨) المرفوع.

(٩) المضطرب من الأخبار.

٣- إنَّ الذي بَلَغَ^(١) الموضوع^(٢) أوقَدَ في

قلبي^(٣) شهاباً^(٤) تعدَّاهُ إلى العَضَلِ^(٥)

٤- وفي اتِّصالي^(٦) يَرُدُّ: الخط^(٧) منشغلٌ

عن الوجادة، والجَوَّالُ في فشَلِ

٥- إنِّي لأسمعُ ما يُملَى وأقرأ ما

يُوصى ويكتبُ في الإعلام^(٨) في الدَّوَلِ

٦- لو كان قلبك بالتقريب من حجرٍ

لغلَّقَ الفتح والتعليقَ بالحُلِّ^(٩)

(١) إشارة إلى البلاغات، كالتى في الموطأ.

(٢) الحديث الموضوع.

(٣) القلب في الحديث معروف.

(٤) إشارة إلى محمد ابن شهاب الزهري.

(٥) المعضل.

(٦) المتصل.

(٧) الخطُّ ممَّا يذكر في باب كتابة الحديث في المصطلح.

(٨) الوجادة، والسَّماع، والإملاء، والإقراء، والوصية، والإعلام هي أنواع التحمل، وستأتي الإشارة إلى «الإجازة».

(٩) التقريب لابن حجر، وكذلك تغليق التعليق، والفتح، وكلها في الحديث.

- ٧- حملتني وأجزت^(١) الهجر متصلاً
- بحاكم صحح المشروط عن عجل^(٢)
- ٨- كم واضع خبراً للاحتساب تُقَى
- أو التكبب والإفساد والجَدَل^(٣)
- ٩- فزانَ عندك بل كَرَّمْتَ الكذوبَ وقد
- أَمْسَى يُيَادِرُ بالترغيب والوهل^(٤)
- ١٠- كم قدّموا الجرح للقاضي وما قبلت
- ألفاظهم فيَّ إذ أجملوا عَذَلِي^(٥)
- ١١- فأسندوا المتنَ حتى لا يُرى أثر^(٦)
- من الجروح من الإسناد للجبل^(٧)

- (١) إشارة إلى التحمل بالإجازة.
- (٢) إشارة إلى الحاكم، وتساهله بالتصحیح.
- (٣) في البيت إشارة إلى أنواع الوضع في الحديث، إمّا للاحتساب، أو التكبب، أو إفساد الدين، أو المراء والجدل.
- (٤) من أهل البدع - وهم الكرامية - من جوزّ الوضع للدين، كالترغيب والترهيب.
- (٥) يُقدّم الجرح، ولا يقبل إذا كان مُجْمَلاً.
- (٦) المتن: متن الحديث، وأصله: الظهر، والأثر يطلق على الحديث وعلى غيره.
- (٧) يقال: فلان جبل في الحديث، أو في الحفظ.

- ١٢- وأوثقوا ضابطاً عدلاً حليف حِجَا
- جَمَّ المروءةَ للإخبارِ عن رجلٍ^(١)
- ١٣- دعا لبدعته بل يستحلُّ فرى
- بل ينصر الزَّيغَ بالمكذوب والدَّجَلِ^(٢)
- ١٤- إلا الذي تابَ إلا من روى كذباً
- ونقده الزَّيْفَ عند الصيرفي^(٣) جلي^(٤)
- ١٥- وأرسلوا^(٥) حَيَّة الوادي^(٦) عليه فما
- بجسمه شعبة^(٧) تَبَرَّأَ مِنَ البَسَلِ
- ١٦- وأشربوه ليحيى من معينهم
- ويوثق الجرحَ فازددات جروحُ علي^(٨)

- (١) في البيت بيان أوصاف الثقة من الرواة.
- (٢) في البيت بيان حكمهم على الراوي المبتدع.
- (٣) انظر: قول الصيرفي في (تدريب الراوي ٢٨٠).
- (٤) فيه استثناء: من تاب إلا أن يكون وضاعاً.
- (٥) إشارة إلى المرسل.
- (٦) كان يُلقَّب بذلك عليّ بن المديني.
- (٧) أي: جزء من جسده، وشعبة بن الحجاج معروف.
- (٨) يحيى بن معين، إمام الجرح والتعديل، والمعنى: أنهم أرادوا الاستعانة به، فكانوا كالمستجيرين من الرمضاء من النار، لتشدد ابن معين =

١٧- وصلته في بخارى مسلماً ونسأ

وترمذ وأبو داود لم يصل^(١)

١٨- حَبَّانِ كُنَّا وَمَمَّا زَادَنَا ثَقَةً

إحسانُ ظنٍّ بمجهولٍ وذو خطَلِ^(٢)

١٩- يا ناقدًا ذهبًا والعدلُ في نسإِ

لم تُمضِ قولك بالميزانِ فاعتدلِ^(٣)

٢٠- يا عاليَ القدرِ قَرَّبَ للحبيبِ إمَّا

مَّا كَانَ ذَا نَسَبٍ قَدَّمَهُ لِلنُّزُلِ^(٤)

٢١- أبو عَوَانة من مستخرجي كُتُبِي

وفيَّ ضَعْفٌ لعلَّ الله يغفرُ لي^(٥)

= فازدادت جروحه، و«علي» اسم لعدد من الرواة منهم: علي بن زيد

ابن جُدعان، ضعَّفه ابن معين وغيره.

(١) المعنى واضحٌ من الألفاظ المذكورة في البيت، ومعنى «وأبو داود لم يصل» فيه إشارة إلى كتاب «المراسيل» له.

(٢)

(٣) الذهبي، التقاد المؤرخ المشهور، من أشهر كتبه في الجرح «ميزان الاعتدال».

(٤) في البيت إشارة إلى العلو والنزول في الإسناد.

(٥) أبو عوانة، له «المستخرج على الصحيحين» .. وقد تضمنت القصيدة أنواعاً من البديع يطول شرحها.

فتعجب الجماعة، من هذه البراعة. وقالوا: إنَّ هذا الشيء عَجَاب، وإِنَّه لتبصرة لأولي الألباب. إنَّ العلوم إذا مُزجتْ بالعاطفة، لم تكن شاسِفة^(١). وسَدِكتْ^(٢) بالخِزان^(٣)، وعلقت بالأذهان. ولم يزل الفرحُ والحُزنُ، هما الغيثَ والمُزن. اللّذين يسقيان أجادب الحوافِظ، ويسوقان جيشَ المواعِظ. وقد فهمنا ما قصدتْ، وعلمنا ما أردتْ. تالله لقد أقررتَ العينين، يا أبا العينين.

(١) قاحلة.

(٢) التصقت.

(٣) القلب.

المَقَامَةُ النَخْوِيَّةُ

قال أبو العينين:

شَكَى إِلَيَّ لِسَانُ الْعَرَبِ، فِي حُزْنٍ وَحَرْبٍ^(١). حَتَّى سَمِعْتُ
أَنِينَهُ، وَحَنِينَهُ وَخَنِينَهُ^(٢). قَالَ: إِنِّي فِي هَذَا الزَّمَانِ غَرِيبٌ، كَعَابِرِ
سَبِيلٍ كَثِيبٍ. يُعَذَّبُ أَبْنَائِي عُدْوَانًا وَحَيْفًا^(٣)، اسْمًا وَفِعْلًا وَحَرْفًا.
تَلُوكُنِي أَضْرَاسُ اللَّاحِنِينَ بِظُلْمٍ، بَيْنَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ. فَبِأَلَلِ اللَّهِ
اسْتَمِعُوا إِلَى شَكَاتِهِمْ، وَأَشْفِقُوا عَلَى عُرَاتِهِمْ وَحُفَاتِهِمْ. قَالَ قَائِلٌ
- وَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِالْفَاعِلِ. بَعْدَ أَنْ شَمَّرَ وَتَنَحَّنَحَ، وَحَمِدَ اللَّهَ
وَسَبَّحَ -: دَعُونِي أَشْرَحْ لَكُمْ أَمْرِي، وَمَا يَخْتَلِجُ فِي صَدْرِي. أَنَا
دَائِمُ الرَّفْعِ، لَا يُقَرَّنُ بِفَعْلِي تَنْيَةُ وَلَا جَمْعٌ^(٤). إِلَّا عَلَى لُغَةٍ
«أَكُلُونِي الْبِرَاغِيثُ»، نَحْوُ: «يَتَعَاقِبُونَ...» الْحَدِيثُ^(٥). وَلَا يَتَأَخَّرُ

(١) الحرب: شدة الغضب.

(٢) صوت من الأنف، يكون عند البكاء.

(٣) ظلمًا.

(٤) هو الفاعل.

(٥) جزء من حديث مرفوع، وتمامه: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل،

وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج

الذين باتوا فيكم فيسألهم - وهو أعلم بهم -: كيف تركتم عبادي؟

فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون». أخرجه

البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢).

عَامِلِي^(١)، وَلَا يُخَيِّبَ آمِلِي^(٢). وَإِنَّمَا يُتَيَّأ^(٣) فِعْلِي مَعَ ذَوَاتِ
الْأَحْرَاحِ^(٤)، وَإِذَا عَادَ عَلَى اسْمٍ قَدْ رَاحَ^(٥). وَيَجُوزُ مَعَ غَيْرِ
هَذَيْنِ^(٦)، وَمَعَ جَمْعَيْنِ^(٧). وَنَحْوُ: خَافَ رَبَّهُ عُمَرُ، وَزَانَ نَوْرُهُ
الشَّجَرُ. الْأَوَّلُ شَائِعٌ، وَالثَّانِي غَيْرُ ذَائِعٍ^(٨).

ثُمَّ قَامَتِ الْمَفَاعِيلُ، تَرَفَّعَ عَقِيرَتُهَا^(٩) بِالْعَوِيلِ. نَحْنُ أُولَاتُ
النَّصَبِ، الْوَاضِحَاتِ اللَّحْبِ^(١٠). وَمِثَالُنَا الْمُجْتَبَى:

ضَرَبْتُ ضَرْبًا خَالِدًا يَوْمَ حَبَا وَالنَّيْلَ خَوْفًا الْمَفَاعِيلَ أَنْصِبًا^(١١)

- (١) لأنه لو تأخر عامله صار الاسم مبتدأ.
- (٢) أي: لا يخيب من أملي؛ لأن الفاعل من أيسر الأحكام التي يهتدى إليها.
- (٣) يُتَيَّأ، أي: يقرن بالتاء.
- (٤) جمع (حِرْ)، وجمعه أحرّاح، وهو الفرج، والمعنى: أنه لا تجب التاء مع الفعل إلا إذا كان الفاعل مؤنثاً حقيقياً.
- (٥) وكذلك إذا كان ضميره يعود على اسم متقدم.
- (٦) أي: ما عدا ذلك يجوز فيه حذف التاء وذكرها.
- (٧) هما جمع التكسير، وجمع المؤنث السالم، يجوز فيها حذف التاء وذكرها.
- (٨) هذا معنى قول ابن مالك:
وشاع نحو: خاف ربّه عمر
وشدّ نحو زان نورّه الشجر
- (٩) صوتها.
- (١٠) الطريق.
- (١١) هذا البيت جمعت فيه المفاعيل الخمسة، وهي المفعول به، وله، وفيه، ومعه، والمطلق.

قال التَّمييز والحال: نحن مِثْلُكُنَّ في الحال^(١). وإن كُنَّا
بِلا نَكِيرٍ، مِنْ أُولِي التَّنْكِيرِ^(٢).

فَخَرَجَ الاستثناءُ مِنَ الوجارِ^(٣)، يقول: أنا لَكُما جَارُ. والنَّصْبُ
حُكْمِي، والأصلُ في قَسْمِي^(٤). فلا مُؤاخَذةَ فيما لا أَمْلِكُ، نحو:
لم أَرِ سِوَى إِبْلِكَ^(٥).

ثُمَّ جاء فَوْجٌ مُعْتَبَرٌ، يَتَقَدَّمُهُم المُبْتَدَأُ والخَبَرُ. مَرْفُوعِي الرَّأْسِ،
بِضَمَّةٍ كَالْفَأْسِ^(٦). فتَقَدَّمتْ عامِلَةٌ يُقالُ لها «كَانَ»، وَلَهَا أَخَوَاتٌ
فَوْقَ ثَمَانٍ^(٧). وقالت: أنا أَنْصِبُ الخَبَرَ، وأَرْفَعُ ما بَدَرَ^(٨). فَأَقْبَلْتُ
«إِنَّ» فِي صَرَّةٍ^(٩)، وقالت: أَنَا لَكَ ضَرَّةٌ^(١٠). أَعْمَلُ

(١) أي: في النصب.

(٢) لأنهما نكرتان.

(٣) سِرْب الضبع أو جُحْره.

(٤) الأصل فيه النصب.

(٥) أي: إن جررت إحيانا فهو خروجٌ عن الأصل لسبب.

(٦) أي: ضمة واضحة ظاهرة.

(٧) وهي أَمَس، وصَار، وظَلَّ، وَبَات، وَأَضْحَى، وَأَصْبَح، وليس، وما
زال، وما بَرَح، وما فَتَى، وما انْفَك..

(٨) أي: ما سبق، وهو اسمها.

(٩) في صيحة.

(١٠) لأنها تعمل عكس ما تعمله «كان».

ما لم تَعْمَلِي^(١)، وَلَكَ عَمَلٌ وَلِي عَمَلِي. قَالَتْ حُرُوفُ الْجَرِّ،
أَفْسِمُ وَالْقَسَمُ بَرٌّ. أَيَّتُهَا النَّاصِيَةُ وَالرَّافِعَةُ، إِنِّي خَافِضَةٌ لَا رَافِعَةَ^(٢).
فَلَمْ تَكُ إِلَّا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَانْتِبَاهَةَ عَيْنٍ. حَتَّى سَمِعَ مَنْ يُقَارِعُ،
وَيُنْشِدُ فِي الْاِشْتِغَالِ وَالتَّنَازُعِ:

وَالسَّابِقَ انْصَبَهُ أَوْ ارْفَعُ وَاخْتَرِ

وَرَجَّحْنُ فِي الْاِشْتِغَالِ تَظْفَرِ^(٣)

وَأَعْمِلِ الْمُهِمَّالَ إِنْ تَنَازَعَا

فَعِلَانٍ، وَالْبَصْرِيُّ: ذَا، عِنْدِي: مَعَا^(٤)

وَفِي عَمَلِ اسْمِ الْفَاعِلِ وَالْمُشَبِّهِ، وَفِي «أَفْعَل» الْمَفْضَلُ بِهِ:

وَأَعْمِلِ اسْمَ فَاعِلٍ وَالْمُشَبِّهَا^(٥) وَتَلَوْا أَفْعَلَ انْصَبَتْ بِهَا^(٦)

وَفِي التَّوَابِعِ وَالْبَدَلِ، بِلَا مُوَارَبَةٍ أَوْ جَدَلٍ:

(١) من نصب الاسم.

(٢) ولا ناصية.

(٣) هذا البيت - وما معه - من نظمي: «زبدة الألفية».

(٤) أختار أن كلاً من الفعلين عامل؛ لأن الإعمال أولى من الإهمال.

(٥) أي: الوصف المشبه اسم الفاعل.

(٦) المراد: ما يتلو أفعل التي للتعجب (ما أفعل !)

وَتَابِعُ (نَعْتُ، وَتَوَكِيدُ، بَدَلُ عَطْفُ اتِّسَاقٍ أَوْ بَيَانٍ) وَالْبَدَلُ
كَزُرُهُ عَمْرًا خَالِدًا خُذْهُ الْيَدَا وَاعْكِسْ وَدَعُهُ كِبْرَهُ لِتُحْمَدَا^(١)
فَانْتَصَبَ الْمُنَادَى مُنَادِيَا، وَجَاءَ بـ (يَا، وَأَيُّ، وَأَيَّا)^(٢). وَتَبِعَهُ
الْمَمْنُوعُ مِنَ التَّنْوِينِ، كَأَذْرِيْجَانَ وَمَسَاكِينَ^(٣).

ثُمَّ دَنَتْ النَّوَاصِبُ كـ «أَنْ»^(٤)، وَالْجَوَازِمُ كـ «مَنْ»^(٥). وَالْعَدْدُ
وَتَمْيِيزُهُ^(٦)، وَجَمْعُ التَّكْسِيرِ كَثِيرُهُ وَعَزِيْزُهُ^(٧). وَالْبَاقِيَّاتُ
الصَّالِحَاتُ، مِنْ مَسَائِلِ التَّحْوِ الْخَاتِمَاتُ. الَّتِي قَلْتُ فِيهَا، نَاطِقًا
عَنْ فِيهَا. :

وَحَاِلِفِ «الْمَعْدُودَ» فِي ثَلَاثَةِ

لِعَشْرَةٍ^(٨)، وَمَيِّزُهَا كَمِيَّةٌ

(١) اشتمل البيت على خمسة أنواع البدل.

(٢) أدوات النداء، وكذلك الهمز.

(٣) الممنوع من التنوين هو: الممنوع من الصرف، واجتمع في (أذربيجان) خمسة موانع (العجمة، والعلمية، والتركيب، وزيادة الألف والنون، والتأنيث)، ومساكين؛ لأنه على صيغة تنتهي الجمع.

(٤) أَنْ، وَلَنْ، وَإِذَنْ .. إلخ.

(٥) مَنْ، وَإِنْ، وَمَا، وَمَهْمَا .. إلخ.

(٦) نحو: ستين مسكينًا.

(٧) أي: قليله، وهو ما كان على وزن (أفعلة، أفعال، أفعال، فِعلة).

(٨) فيذكر مع المؤنث، والعكس.

وَالْأَلْفَ بِالْجَرِّ^(١)، وَ«كَمْ» فَأَخْبِرِ

وَسَلِّ^(٢)، وَتَصُبُّ مِيزَ (أُخْتَيْهِ) حَرِي^(٣)

وَقَصُرُ ذِي مَدٍّ، وَعَكْسٌ جَازٍ فِي

شِعْرِ^(٤)، وَثَنٌ وَاجْمَعْنُهُمَا تَفِي^(٥)

وَجَمْعُ كَثْرٍ (كَح) ^(٦)، وَقُلُّ «فِعْلَةٌ»

أَفْعَلَةٌ أَفْعَالٌ أَفْعُلٌ لَهُ^(٧)

لَا تَبْتَدِئُ بِسَاكِنٍ، وَلَا تَقِفْ

إِلَّا بِهِ، قَاعِدَةٌ لَا تَخْتَلِفُ^(٨)

(١) نحو: مئة ألف، وألف سنة.

(٢) أي: استفهم بها.

(٣) المراد بأُخْتَيْهِ: (كأين، وكذا)، ويجرّ إذا اقترنا بـ (مِنْ).

(٤) أي: مدّ المقصور جائزٌ في الشعر.

(٥) ثَنَ الممدود والمقصور واجمعهما إن شئت.

(٦) أي: ثمانية وعشرون بحساب الجمّل؛ لأنّ الكاف بعشرين، والحاء بثمانية.

(٧) وقد تأتي بعض هذه الأوزان لكثرة.

(٨) العرب لا تبتدئ بساكن، ولا تقف إلا به، وأمّا الرّوم فملحقٌ به.

في نحو ﴿والضُّحَى﴾، الشَّقَّةُ، والأَيْسَرِ
 والجَارِ مِلْ^(١)، والحَرْفُ من صَرَفٍ بَرِي^(٢)
 عَلَى (فُعَيْعِلٍ، فُعَيْلٍ) صَغُرَ
 (فُعَيْعِلٍ)^(٣). ونَسَبٌ بَالِيَا دُرِي^(٤)
 وَصَرَفِ الْفَعْلِ وَالْاسْمِ^(٥)، وانتهى
 بِسَبْعَةٍ^(٦)، مع زائدٍ، والأَصْلُ (ها)^(٧)
 والفِعْلُ: أَرْبَعٌ، وَسِتٌّ^(٨). وفُعِلَ
 قَلٌّ، وعكسٌ: مُهْمَلٌ^(٩). والهمزَ صِلْ

(١) أمرٌ من مَال.

(٢) التَّصْرِيفُ يكون في الاسم والفعل، ولا يكون في الحرف.

(٣) هذه ثلاثة أوزان للتصغير، والثالث معطوفٌ على المجرور قبله.

(٤) كمالكيّ وغربيّ.

(٥) قلبهما على أنحاء مختلفة، وهما موضوع الصرف.

(٦) أقصى ما يكون عليه الاسم المزيد سبعة أحرف. ولم يزد على ذلك إلاَّ (قَرَعْلَانَة).

(٧) والأصل (ها)، أي: لا يكون الاسم على أكثر من خمسة أحرف أصلية ك (سفرجل).

(٨) الفعل ينتهي أصولاً إلى أربعة، ومزيداً إلى ستة.

(٩) لا يوجد في اللغة ما هو على وزن (فُعِلَ)، وأما (فُعِلَ) فقليل.

غير الرباعي^(١)، وَصِلْنَ فِي الْأَسْمَا

اثنين، وامراً، ابناً، استأ، اسماً^(٢)

ب (مُوطِيًا، هَدَات) أَبْدِلْ^(٣)، واجْعَلْ

أَهْمِيمَ هَيْمًا^(٤). واحْذِفْنِ وَأَوْ وَلِي

من غير ماضٍ^(٥)، وادْغِمْ مِثْلَيْنِ لَا

كَصُفِّ^(٦). وما جَمَعْتُ كَمَلَا

هذه هي خلاصة النَّحو وزُبدته، وصفوته ونخبته. وأما خلاصة خلاصته، وجوهر نقاوته. فهو في هذه الجملة المختصرة، والعبارة المعتصرة: المرفوعات: الفاعلُ ونائبه، والمبتدأُ وصاحبه. والمجرورات: ما كان بحروف الجرِّ الظَّرافِ، أو بإضافة المضاف. وبقية الأسماء منصوبة، والأفعال ثلاثة ليس لها

(١) إذا جاءت الهمزة في أول فعل أو مصدر فهي همزة وصل إلا إذا كان رباعياً.

(٢) الأسماء التي أولها همزة وصل عشرة، منها ما ذكر.

(٣) أحرف الإبدال.

(٤) هذا في باب الإبدال.

(٥) هذا في الإعلال؛ لأن واو (ولي) تحذف في الأمر والمضارع.

(٦) إشارة إلى باب الإدغام، وله شروط مذكورة في آخر الألفية.

رابع، ماضٍ وأمرٌ ومضارعٌ. وبقية الألفاظ حروف، منها ما يعمل
بالمعروف. ومنها ما هو كالخروف. ولكل درجات، والله عليمٌ
بالمضمرات.

المَقَامَةُ الرَّمَضَانِيَّةُ

قال أبو العيين:

لَوْ نَطَقَ شَهْرُ الصِّيَامِ، لَقَالَ بَعْدَ الْحَمْدِ وَالسَّلَامِ. إِنِّي مَعَشَرَ
مَنْ شَكَرْتُ، التَّاسِعُ بَيْنَ اثْنَيْ عَشَرَ^(١). أَمْلَأُ الْقُلُوبَ تَقْوَى،
وَأَصْبِرُ^(٢) الْأَجْسَامَ لِتَقْوَى. تَلَفَعْتُ بِجَلَابِيبِ^(٣) الْجُودِ، وَأَوَيْتُ
الرُّكْعَ السُّجُودَ.

وَوَقَعَ فِي حِجْرِي^(٤) بَدْرٌ^(٥)، وَفَتَحَ ذَاتِ السِّتْرِ^(٦). وَغَزَوَةُ
حُنَيْنٍ، وَعَيْنُ جَالُوتَ فِي الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ. وَأَطْلَ مِنْ شُرْفَاتِي
ذَاتُ قَدَرٍ^(٧)، وَذَاتُ سَلَامٍ إِلَى الْفَجْرِ. إِنَّهَا أَجْمَلُ مَا فِي الْأَكْوَانِ،
وَأَعْلَى مَا فِي الزَّمَانِ. وَهِيَ بِنْتُ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ^(٨)، مِنْ أَعْدَادِ
السِّنِينَ.

(١) أي: بين اثني عشر شهراً.

(٢) مَنْ صَبَرَ، وَيَأْتِي لَازِمًا وَمَتَعِدِيًا، وَمَنْ الْمَتَعَدِي قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَصْبِرْ
نَفْسَكَ﴾ [الكهف: ٢٨].

(٣) لبست الجلابيب، جمع جلباب.

(٤) الْحِجْر: مَجْلِسُ الصَّبِيِّ مِنَ الْإِنْسَانِ، وَتَفْتَحُ حَاوِيَهُ أَيْضًا.

(٥) غزوة بدر، وكانت في السابع عشر من رمضان.

(٦) فتح مكة. وذات السِّتْرِ: الكعبة.

(٧) ليلة القدر.

(٨) لأنها خيرٌ من ألف شهر (ثلاث وثمانون سنة، وأربعة أشهر).

تَنَزَّلَ فِي الرُّوحِ^(١) بِالرُّوحِ^(٢)، وَبَعْدَ الرُّوحِ^(٣) عَلَى الرُّوحِ^(٤)،
وَبِالرُّوحِ^(٥) لِلرُّوحِ^(٦). وَأُنْزِلَتْ التَّوَارَةُ عَلَى مُوسَى، وَالْإِنْجِيلُ
عَلَى عِيسَى. وَأُوتِيَ دَاوُدَ الزَّبُورُ، مِنْ الْعَزِيزِ الْغَفُورِ. وَفِي شَأْنِي
آيَاتُ خَمْسٍ^(٧)، نَزَلَتْ بَيْنَ السَّفَرَةِ وَالشَّمْسِ^(٨). بَاتَ فِي الْمَذْنُونِ
قِيَامًا، وَوَقَعُوا كَالْأَيَّامِ^(٩). بَلْ كَالْيَتَامَى، لِيَالِي وَأَيَّامًا. ثُمَّ خَرُّوا
لِلْأَذْقَانِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ، وَلِحَاهُمْ تَقَطَّرُ مِنْ مَاءِ الْعَيْونِ^(١٠).

يُفْطِرُ فِي نَهَارِي الْمُسَافِرِ وَالْمَرِيضِ^(١١)، وَلَا تَصُومُ النَّفْسَاءُ
وَأُولَاتُ الْمَحِيضِ^(١٢). وَعَلَى الْجَمِيعِ قَضَاءُ الصِّيَامِ، فِيمَا أَفْطَرُوا

(١) جبريل، عليه السلام.

(٢) الوحي.

(٣) عيسى، عليه السلام.

(٤) الروح التي بها حياة البدن، والمراد: على قلب النبي ﷺ.

(٥) القرآن.

(٦) الرحمة؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

(٧) من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ...﴾ إلى قوله
تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣-
١٨٧].

(٨) لأنها نزلت قبل سورة الشمس، وبعد سورة عبس.

(٩) جمع أيام: من لا زوج له.

(١٠) الدمع.

(١١) لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَتْ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾

(١٢) لثبوت ذلك في السنة.

مِنْ أَيَّامٍ، وَعَلَى الْمَطْوُوقِ فِدْيَةٌ إِطْعَامٌ^(١). وَيَحْرُمُ^(٢) الرِّفْثُ^(٣) إِلَى النِّسَاءِ، وَإِنْ كُنَّ كِسَاءً لَنَا وَنَحْنُ كِسَاءٌ^(٤). وَبَحْرِي مُفْعَمٌ بِالْعَوَاصِمِ^(٥)، وَطَافِحٌ بِالْقَوَاصِمِ^(٦)، قَضَى^(٧) فِي سَوَادِي خَيْرِ الْفَوَاطِمِ^(٨). وَمِنْ بَعْدِهَا اللَّيْثُ الْغَالِبُ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ^(٩). وَمِنْ دُونَهُمَا أَحْبَارٌ، وَحُقَاطُ كِبَارٍ. كَأَحْمَدَ بْنَ نَصْرٍ، الْحَافِظُ الْحَبِيرُ^(١٠). وَطَيْبُ الْأَرْجِ، ابْنُ الْجَوْزِيِّ أَبِي الْفَرَجِ^(١١).

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ﴾ ، أي: يطوقونه، كالمرضى الذي لا يرجى بُرؤه.

(٢) يمنع.

(٣) الوطاء.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ﴾.

(٥) ملآن بالعواصم التي عصمت كثيراً من الفتن كغزوة بدر.

(٦) جمع قاصمة، وهي تكسر فقار الظهر.

(٧) مات.

(٨) فاطمة بنت رسول الله ﷺ، تُوفِّيَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فِي السَّنَةِ الَّتِي تُوفِّيَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

(٩) توفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة أربعين، قيل: قتل في السابع عشر من رمضان.

(١٠) توفي سنة ٣٢٣هـ.

(١١) توفي سنة ٥٩٧هـ.

وَلِيَخْسَأَ أَبُو نُوَّاسٍ، عَدَدَ الْأَنْفَاسِ. فِيمَا قَالَهُ مِنْ هِجَاءٍ
لِنَهَارِي، وَمِنْ شِعْرِ نَارِي. وَلْيَسْقُطْ فِي جُرْفٍ ^(١) هَارٍ ^(٢)، مَا قَالَهُ
مِنْ أَشْعَارٍ. كَقَوْلِهِ:

أَلَا يَا شَهْرُ كَمْ تَبْقَى مَرَضُنَا وَمَلَكُنَاك؟!
إِذَا مَا ذُكِرَ الْحَمْدُ لِشَوَّالٍ ذَمُّنَاكَ
فَلَوْ أَنَّكَ قَدْ بُنْتَ ^(٣) وَمَا نَطْمَعُ فِي ذَاكَ
وَلَوْ أُمَكَّنَ أَنْ يُقْتَلَ تَلَّ شَهْرٌ لَقَتَلْنَاكَ

وَعَفَا اللَّهُ عَنْهُ إِنْ كَانَ قَدْ تَابَ، وَآبَ إِلَى رَبِّهِ وَأَتَابَ. وَاسْمَعُوا
إِلَى قَوْلِي:

الصَّوْمُ: فَرَضٌ ثُمَّ سُنَّةٌ وَهُوَ لِلْأَبْرَارِ جَنَّةٌ ^(٤)
مَنْ صَامَهُ اللَّهُ لَا يَرْجُو سِوَاهُ وَرَامَ عَوْنَهُ
فَجَزَاؤُهُ غُفْرَانُ مَا ضَيَّ السَّيِّئَاتِ، وَتِلْكَ مِثْنَةُ
الصَّوْمِ: تَرَكُ الْقِيلِ فِي هَذَا وَذَاكَ وَهُمْ وَهْنُهُ

(١) السد للوادي.

(٢) انصدع.

(٣) أي: انفصلت وانقطعت.

(٤) وقاية.

الصَّوْمُ: إمساكٌ عن الشَّـ هَوَاتٍ لا تتركُ الأَعِنَّةُ^(١)
دَعْ كُلَّ سَبَّابٍ وَعَيٍّْ سَابٍ وكَذَّابٍ وشَانَهُ
واسلُكُ سَبِيلَ النَّاسِكِـ من التَّارِكِينَ غَرَامَ (بُثْنَةٍ)^(٢)
أَزِحِ الغِشَاوَةَ عَنْ فُؤَا دِ لَمْ يَزَلْ بَيْنَ الأَكِنَّةِ^(٣)
يا ذا الَّذِي خَلَجْتَ^(٤) به الـ أَحْوَالُ في الأَوْحَالِ^(٥). هُتَّةُ
قَدْ قُلْنَا: شَيْبٌ قَدْ عَلَا كَ وقد كَبُرَتْ. فقلتُ: إِنَّهُ^(٦)
يَا ضَيْعَةَ الأَعْمَارِ وَالـ أَيَّامُ تَجْرِي بَيْنَهُنَّ!
كُفُّوا عَنِ العِصْيَانِ إِنْـ رَافِيلُ أَلْقَمَ فَاهُ قَرْنَهُ!
مَنْ يَبْتَغِ الرِّيَّانَ^(٧) يَوْ مَ الحَشْرِ في رَوْضَاتِ جَنَّةٍ
فَلْيَأْتِهِ بِالصَّوْمِ مَسْنُـ رُورَ الفُؤَادِ وَمُطْمَئِنَّةُ

(١) جمع عِنان، وهو الزُّمام.

(٢) بُثْنَةٌ: ويقال لها: بُثْنَةٌ، صاحبة جميل بن معمر.

(٣) الأغطية.

(٤) خرجت به عن الصُّراط.

(٥) جمع وحل، بفتح الحاء ويُسَكَّن: الطين.

(٦) إِنَّهُ: نعم.

(٧) أعني به باب الريان، وهو بابٌ من أبواب الجنة الثمانية، لا يدخله إلا

الصَّائِمُونَ، كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ.

المَقَامَةُ التَّعْرِيفِيَّةُ^(١)

(في المناسك)

قال أبو العينين :

امتطيتُ السَّمْحَجَ^(٢) الْأَغْبَرَ^(٣) ، قُبَيْلَ يَوْمِ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ . قاصداً
أداءَ الشَّعَائِرِ ، والدُّنُوِّ مِنْ تِلْكَ الْمَشَاعِرِ . فَأَبَيْتُ^(٤) فِي الْيَوْمِ
الثَّامِنِ ، مِنْ الْبَلَدِ الْأَمِينِ . إِلَى مَشْعَرِ مِنِي ، فَدَنَوْتُ مَعَ مَنْ دَنَا . إِلَى
مَسْجِدِ الْخَيْفِ ، فِي الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ وَنَيْفَ^(٥) . فَصَلَّيْتُ بِهَا الظُّهْرَ ،
عَلَى طُحْرٍ . وَأَتَمَمْنَا بِهَا بَاقِيَ الْبَاقِيَّاتِ^(٦) ، وَالصَّلَوَاتِ الطَّيِّبَاتِ . أَنَا
وَالْجَمْعُ ، قَصْرًا بَلَا جَمْعٍ . فَلَمَّا أَدْبَرَ اللَّيْلُ وَسُلْخُ مِنْهُ الصَّبَاحُ^(٧) ،

(١) نسبة إلى التعريف من أسماء عرفة .

(٢) يطلق على الحمار ، وأردتُ به نوعاً من السيارات .

(٣) الرمادي .

(٤) تهيئتُ للرحيل .

(٥) وزيادة .

(٦) أي : أتممنا أداء الصَّلَوَاتِ الْأَرْبَعِ : (العصر والمغرب والعشاء وفجر

التاسع) ، وهو أحد التفسيرات لمعنى «الباقيات الصالحات» .

(٧) قال - سبحانه - : ﴿وَأَيُّةٌ لَهُمْ أَلَيْلٌ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ (٣٧) ﴿يس﴾ .

وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بَرَّاحٌ^(١). فِي يَوْمِنَا النَّاسِعُ، تَوَكَّلْنَا عَلَى الْعَلِيمِ
الْوَاسِعِ. قَاصِدِينَ التَّعْرِيفِ^(٢)، وَالْمَوْضِعَ الشَّرِيفِ. وَصَلَّيْنَا
الظُّهْرَيْنِ^(٣) جَمْعًا وَقَصْرًا، فَإِنَّ مَعَ الْيُسْرِ يُسْرًا. وَلَمْ نَزَلْ فِي ذِكْرِ
وَتَحْمِيدٍ، وَتَعْظِيمٍ وَتَمْجِيدٍ. بِخُشُوعِ الْأَبْصَارِ وَخُضُوعِ الرِّقَابِ،
حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ^(٤). ثُمَّ نَفَرَ الْجَمْعُ، إِلَى مَشْعَرِ جَمْعٍ^(٥).
فَصَلَّيْنَا الْعِشَاءَيْنِ^(٦)، بِأَذَانٍ وَإِقَامَتَيْنِ. اتَّبَاعًا لِهَدْيِ النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ،
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَمِنَّا مَنْ بَاتَ، فِي هُجُودٍ وَسُبَاتٍ^(٧). وَمِنَّا
مَنْ سَهَدَ^(٨)، أَوْ أَرَقَ وَشَهِدَ. فَلَمَّا تَوَلَّى اللَّيْلُ وَأَدْبَرَ، وَتَنَفَسَ
الصُّبْحُ وَأَسْفَرَ. غَدَوْنَا مُخْبِتِينَ^(٩) إِلَى مِنَى، ذَاكِرِينَ لِرَبِّنَا. وَرَمَيْنَا
الْعَقَبَةَ، بِحُصَيَّاتِ الْحَصْبَةِ. وَمَكَّنَّا بِهَا ثَلَاثًا: الْأَحَدَ وَالْاِثْنَيْنِ
وَالثَّلَاثًا. وَكَانَ مِنْ عَمَلِنَا أَيَّامُنَا: الطَّوَّافُ، وَالسَّعْيُ وَالْحَلْقُ وَذَبْحُ
الْخِرَافِ. وَرَمَى الْجِمَارِ مُرْتَبَةً، الصُّغْرَى فَالْوُسْطَى فَالْعَقَبَةَ. دَاعِينَ

(١) من أسماء الشمس.

(٢) عرفات.

(٣) يطلق على الحمار.

(٤) أي: حتى غربت الشمس.

(٥) المزدلفة.

(٦) المغرب والعشاء.

(٧) نوم.

(٨) سهر.

(٩) الإخبات: سكون واضمئنان.

عند الأولَيْنِ دعاءَ الْخَيْرَةِ، القانتين البرَّة، مُقْتَدِينَ بِمَنْ أُنْزِلَتْ عليه سورة البقرة^(١).

قال أبو العنين: وَمِمَّا ذَاكَ بِهِ الْحَشْكُظِيُّ الْجَمْعُ، فِي لَيْلَةِ جَمْعٍ: حَدِيثُ «الزَّاد»^(٢)، وَمَا قَالَ فِيهِ صَاحِبُ (الزَّاد)^(٣). وَخَبَرُ الْخُثْعَمِيَّةِ^(٤)، وَسَوْالُ الْجُهَنِيَّةِ^(٥). وَمَنْ حَجَّ عَنْ شُبْرُمَةَ^(٦)،

(١) إشارة إلى ما جاء عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ رَمَى جَمْرَةَ الْعَقْبَةِ مِنْ بَطْنِ الْوَادِي، وَقَالَ: وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ هَذَا مَقَامُ الَّذِي أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١٧٤٧)، وَمُسْلِمٌ (١٢٩٦).

(٢) أَخْرَجَ ابْنُ مَاجَه فِي الْمَنَاسِكِ، بَابُ مَا يُوجِبُ الْحَجَّ (٩٦٧/٢): عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الزَّادُ وَالرَّاحِلَةُ»، يَعْنِي قَوْلَهُ ﴿مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

وَحَسَنَ إِسْنَادَهُ الْبُوصَيْرِيُّ فِي (مُصْبَاحِ الزَّجَاجَةِ ٣/١٨٤).

(٣) (زاد المعاد)، أو (زاد المستقنع).

(٤) هِيَ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ الْخُثْعَمِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، نَفَسَتْ عَامَ حِجَّةِ الْوَدَاعِ بِذِي الْحَلِيفَةِ، فَأَمَرَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَنْ تَغْتَسِلَ، ثُمَّ تَهَلَّ بِالْحَجِّ، وَتَصْنَعُ مَا يَصْنَعُ النَّاسُ إِلَّا أَنَّهَا لَا تَطُوفُ بِالْبَيْتِ.

وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ (١٢٧/٥)، وَابْنُ مَاجَه (٩٧٢/٢)، وَصَحَّحَهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ (١٦٧/٤).

(٥) أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي الْحَجِّ، بَابُ الْحَجِّ وَالنَّذُورِ عَنِ الْمَيْتِ (١٧/٢): عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَتْ: إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ، فَلَمْ تَحُجَّ حَتَّى مَاتَتْ، أَفَأَحُجُّ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ عَلَى أَمَلِكِ دِينَ أَكُنْتُ قَاضِيَتَهُ، أَقْضُوا لِلَّهِ، فَاللَّهُ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ».

(٦) أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ فِي الْمَنَاسِكِ، بَابُ الرَّجُلِ يَحُجُّ عَنْ غَيْرِهِ (١٦٢/٢)، وَابْنُ مَاجَه فِي الْمَنَاسِكِ، بَابُ الْحَجِّ عَنِ الْمَيْتِ (٩٦٩/٢)، وَصَحَّحَهُ =

والألبسة المحرمة^(١). ونكاح المحرم، الذي رواه مسلم^(٢). ومن صَادَ أو صِيدَ لَهُ^(٣)، ومن آذته القملة^(٤). والخبر الذي شمل ثلث

= ابن خزيمة (٣٤٥/٤)، وابن حبان (الإحسان ٢٩٩/٩): عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: لِيكَ عَنْ شِبْرَةٍ، قَالَ: «من شِبْرَةٍ؟». قَالَ: أَحْ لِي أَوْ قَرِيبٌ لِي. قَالَ: «حَجَجْتَ عَنْ نَفْسِكَ؟». قَالَ: لَا. قَالَ: «حُجَّ عَنْ نَفْسِكَ، ثُمَّ حُجَّ عَنْ شِبْرَةٍ».

(١) أخرجه البخاري في الحج، باب ما لا يلبس المحرم من الثياب (٤٧٦/١)، ومسلم في الحج، باب ما يباح للمحرم بحج أو عمرة وما لا يُباح (٨٣٤/٢): عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَهُ مَا يَلْبَسُ الْمُحْرَمُ؟ فَقَالَ: «لَا يَلْبَسُ الْقُمُصَ، وَلَا الْعَمَائِمَ، وَلَا السَّرَاوِيلَ، وَلَا الْبُرَانِسَ، وَلَا الْخِفَافَ، إِلَّا أَحَدٌ لَا يَجِدُ نَعْلَيْنِ فَلْيَلْبَسْ خُفَيْنِ، وَلْيَقْطَعْهُمَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ، وَلَا تَلْبَسُوا مِنَ الثِّيَابِ شَيْئًا مَسَّهُ الزَّعْفَرَانُ أَوْ وَرْسٌ».

(٢) أخرج مسلم في الحج، باب تحريم نكاح المحرم وكراهية خطبته (١٠٣٠/٢): عن عثمان ابن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَنْكَحُ الْمُحْرَمُ وَلَا يُنْكَحُ، وَلَا يَخْطُبُ».

(٣) أخرج البخاري في الحج، باب إذا أهدي للمحرم حماراً وحشياً حيّاً لم يقبل (١٠/٢)، ومسلم في الحج، باب تحريم الصيد للمحرم (٨٥٠/٢): عن الصعب بن جثامة الليثي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ أَهْدَى لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِمَارًا وَحْشِيًّا وَهُوَ بِالْأَبْوَاءِ أَوْ بَوْدَانَ، فَرَدَّهُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَى مَا فِي وَجْهِهِ، قَالَ: «إِنَّا لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إِلَّا أَنَا حُرْمٌ».

(٤) أخرج البخاري في الحج، باب قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا...﴾ (٥/٢)، ومسلم في الحج، باب جواز حلق الرأس للمحرم إذا به

المناسك، خبرُ عُرْوَةَ النَّاسِكِ^(١). وَيَسِيرُ اللهُ عَلَى الْخَلْقِ، فِي التَّخْيِيرِ بَيْنَ التَّقْصِيرِ وَالْحَلْقِ^(٢). وَالْإِذْنَ بِالتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ^(٣)،

= أذى ووجوب الفدية لحلقه (٨٥٩/٢): عن كعب بن عجرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،
عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لَعَلَّكَ آذَاكَ هَوَامُكَ؟». قال: نعم، يا رسول
الله. فقال رسول الله ﷺ: «احلق رأسك، وصم ثلاثة أيام، أو: أطعم سِتَّةَ
مساكين، أو: انسك بشاة».

(١) هو عروة بن المضرِّس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أدرك النبي ﷺ يصلي الفجر بمزدلفة،
فقال له: جئتُ يا رسول الله من جبل طيء، أكلت مطيتي، وأتعبت
نفسي، والله، ما تركتُ من حبلٍ إلا وقفتُ عليه، فهل لي من حج؟ فقال
رسول الله ﷺ: «من أدرك معنا هذه الصلاة، وأتى عرفات قبل ذلك ليلاً
أو نهاراً، فقد تمَّ حجّه، وقضى نفثه».

وقد أخرج حديثه أحمد (١٤/٥)، وأبو داود في المناسك، باب من
لم يدرك عرفة (١٩٦/٢)، والنسائي في المناسك، باب فيمن لم يدرك
صلاة الصبح بالمزدلفة (٢٦٣/٥)، وصححه ابن خزيمة (٢٥٥/٤)،
وابن حبان (الإحسان ١٦١/٩).

(٢) أخرجه البخاري في الحج، باب الحلق والتقشير عن الإحلال
(٥٢٦/١)، ومسلم في الحج، باب تفضيل الحلق على التقشير وجواز
التقشير: عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أن رسول الله ﷺ قال: «اللَّهُمَّ
ارْحَمْ الْمُحَلِّقِينَ». قالوا: والمُقَصِّرِينَ يا رسول الله. قال: «اللَّهُمَّ ارْحَمْ
الْمُحَلِّقِينَ». قالوا: والمُقَصِّرِينَ يا رسول الله. قال: «والمُقَصِّرِينَ».

(٣) عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال: كان النبي ﷺ يُسأل يوم النحر
بمنى، فيقول: «لا حرج». فسأله رجلٌ فقال: حلفتُ قبل أن أذبح. قال:
«اذبح، ولا حرج». وقال: رميتُ بعد ما أمسيتُ. فقال: «لا حرج».

أخرجه البخاري (٥٢٧/١).

والتَّعْجِيلَ بِالنَّفِيرِ^(١). وَالرَّمْيُ قَبْلَ الْمَسَاءِ وَعِنْدَهُ^(٢)، وَجَمْعُهُ إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي بَعْدَهُ^(٣). وَدُخُولُ الْعُمْرَةِ فِي الْحَجِّ^(٤)، وَمَعْنَى الْعَجِّ

(١) أخرج أحمد (٣٠٩/٤)، وأبو داود في المناسك، باب من لم يدرك عرفة (١٩٦/٢)، والترمذي في الحج، باب ما جاء فيمن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج (٢٣٧/٣)، والنسائي في المناسك، باب فيمن لم يدرك صلاة الصبح مع الإمام بالمزدلفة (٢٦٤/٥)، وابن ماجه في المناسك، باب من أتى عرفة قبل الفجر ليلة جمع (١٠٠٣/٢): عن عبد الرحمن بن يعمر، قال: أتيتُ النبي ﷺ وهو بعرفة، فجاء ناسٌ أو نفرٌ من أهل نجد، فأمرُوا رجلاً فنادى رسولَ الله ﷺ، كيف الحج؟ فأمر رسول الله ﷺ رجلاً فنادى: الحجُّ الحجُّ يومَ عرفة، من جاء قبل صلاة الصُّبح من ليلة جمع، فتمَّ حجُّه. أيام منى ثلاثة، فمن تعجَّل في يومين فلا إثم عليه، ومن تأخر فلا إثم عليه. قال: ثم أردف رجلاً خلفه، فجعل ينادي بذلك.

وصححه ابن خزيمة (٢٥٧/٤)، وابن حبان (الإحسان ٢٠٣/٩).

(٢) انظر - قريباً - حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في جواز التقديم والتأخير.

(٣) رخص رسول الله ﷺ لرعاء الإبل في البيوتة أن يرموا يوم النحر، ثم يجمعوا رمي يومين بعد يوم النحر، فيرمونه في أحدهما. أخرجه الترمذي في الحج، باب ما جاء في الرخصة للرعاء أن يرموا يوماً ويدعوا يوماً (٢٨٩/٣)، وابن ماجه في المناسك، باب تأخير رمي الجمار من عذر (١٠١٠/٢). وقال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

(٤) أخرجه مسلم في الحج، باب حجة النبي ﷺ، من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٨٨٨/٢). وقد تضمن مناسك الحج مفصلة، ولم أسقه خشية الإطالة.

والثَّجَّ^(١). وخَبَرُ يَوْمِ الرُّؤُوسِ فِي التَّشْرِيقِ^(٢)، وَهُوَ بِالتَّضْعِيفِ حَقِيقٌ. وَرَقْدَتُهُ بِالْمُحَصَّبِ^(٣) وَنُزُولُهُ بِالْأَبْطَحِ^(٤)، وَمَا رَوَاهُ ابْنُ حَبَّانَ وَصَحَّحَ. مِنْ فَضْلِ الصَّلَاةِ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، عَلَى مَسْجِدِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٥)، ثُمَّ التَّقِينَا بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَعْوَامٍ. فَقَالَ رَجُلٌ مِّنْ بَيْنِنَا: أَتَدْرُونَ قَبْلَ بَيْنِنَا^(٦). فِي أَيِّ يَوْمٍ كَانَ وَقَفْنَا

(١) قَالَ وَكَيْعٌ: يَعْنِي بِالْعَجِّ: الْعَجِيجُ بِالتَّلْبِيَةِ، وَالثَّجَّ: نَحْرُ الْبُذْنِ. أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَه (٩٦٧/٢).

(٢) أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ (١٩٧/٢): عَنْ سَرَاءَ بِنْتِ نَبْهَانَ، قَالَتْ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الرُّؤُوسِ، فَقَالَ: «أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟». قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ! قَالَ: «أَلَيْسَ أَوْسَطُ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ».

وَالْحَدِيثُ ضَعْفُهُ الْأَبَانِيُّ فِي (ضَعِيفُ سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ ٤/٤٥٣).

(٣) أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي الْحَجِّ، بَابُ طَوَافِ الْوُدَاعِ (١/٥٣٣): عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ، ثُمَّ رَقَدَ رَقْدَةً بِالْمُحَصَّبِ ثُمَّ رَكِبَ إِلَى الْبَيْتِ فَطَافَ بِهِ.

(٤) قَالَ فِي (مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ ١/٧٤): الْأَبْطَحُ يُضَافُ إِلَى مَكَّةَ وَإِلَى مَنَى؛ لِأَنَّ الْمَسَافَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمَا وَاحِدَةٌ، وَرَبِمَا كَانَ إِلَى مَنَى أَقْرَبَ، وَهُوَ الْمُحَصَّبُ، وَهُوَ خَيْفُ بَنِي كِنَانَةَ.

(٥) أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي الصَّلَاةِ، بَابُ فَضْلِ الصَّلَاةِ فِي مَسْجِدِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ (١/٣٦٧)، وَمُسْلِمٌ فِي الْحَجِّ، بَابُ فَضْلِ الصَّلَاةِ بِمَسْجِدِي مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ (٢/١٠١٢): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «صَلَاةٌ

فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ، إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ».

(٦) الْبَيْنُ: الْوَصْلُ وَالْفِرَاقُ، وَهُوَ الْمُرَادُ.

بِعَرَفَاتُ، فِي ذَاكَ الْعَامِ الَّذِي فَاتُ؟ قَالَ لَهُ شَيْخُنَا الْحَشَكَطِيُّ: أَنَا
بِهِ زَعِيمٌ، وَبِهِ حَافِظٌ عَلِيمٌ. أَيُّ يَوْمٍ وَقَفْنَا أَمْسٍ فِي ذَاكَ الْخَبْتِ^(١)؟
قَالُوا: فِي يَوْمِ السَّبْتِ. قَالَ: أُجِيبُكُمْ عَلَى ذَلِكَ بِكَلَامٍ مَنْظُومٍ،
لِنَاظِمٍ مَكْتُومٍ^(٢):

مَا بَيْنَ كُلِّ وَقْفَةٍ وَوَقْفَةٍ ثَلَاثَةٌ تَثْبُتُ بَيْنَ خَمْسَةِ
فَبَعْدَ الْاِثْنَيْنِ وَقُوفُ الْجُمُعَةِ ثُمَّ الثَّلَاثَا ثُمَّ سَبْتُ الْمُسَبِّتِ
فَأَرْبَعًا فَأَحَدٌ ثُمَّ اثْبِتِ ثُبُوتَهَا لِلْسَّنَةِ الْمُقْبِلَةِ
وغيرُ هذا نادرٌ في العِدَّةِ^(٣)

(١) المكان المطمئن من الأرض، والمراد: صعيد عرفات.

(٢) مجهول.

(٣) لأنه إذا كان الوقوف قبل ثلاثة أعوام يوم السبت، فالوقوف في هذا العام - أي: بعد ثلاثة أعوام - في يوم الخميس؛ لأن بين كل وقفه ووقفه ثلاثة أيام. وقد تابعتُ هذا عشرين عامًا أو أكثر، لم يخرج منها مرة واحدة عن القاعدة !

المَقَامَةُ العَشْرِيَّةُ

قال أبو العينين:

رَحَلْنَا عَامَ (شَغْنَس^(١))، فِي أَشَائِب^(٢) مِّنَ النَّاسِ. وَخَرَقَةٍ مِّنَ
الْغِلْمَانِ، وَكَبْكَبَةٍ^(٣) مِّنَ الرَّجَالَةِ، وَمَوَكِبٍ مِّنَ الْخِيَالَةِ. وَلُْمَّةٍ مِّنَ
النِّسْوَانِ، وَكَوُكِبٍ مِّنَ الْغِلْمَانِ، وَثَلَّةٍ مِّنَ الضَّانِ. وَصِرْمَةٍ مِّنَ
الْجِمَالِ، وَعَانَةٍ^(٤) مِّنَ الْحَمِيرِ وَالْبِغَالِ. إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ، لِأَحَدِ
الْمُؤْمِنِينَ الْأَخْيَارِ. الْمُعْرِضِينَ عَنِ اللَّغْوِ، الْحَاذِقِينَ بِفِقْهِ اللَّهْوِ.
وَكُنَّا عَشْرَةَ، مَعَ عَشْرَةٍ، عَلَى عَشْرَةٍ، أَمَامَ عَشْرَةٍ^(٥). وَأَمَّا ذَوَاتُ
الْخَالِ^(٦)، فَمِنْ خَلْفِ الرِّجَالِ. وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ، وَعَلَى الْحِجَابِ
وِطَابٌ^(٧).

(١) ١٤١١هـ، لَأَن الشَّيْنُ بِـ ٣٠٠، وَالْغَيْنُ بِـ ١٠٠٠، وَالنُّونُ بِـ ٥٠،

وَالْأَلْفُ بِـ ١، وَالسَّيْنُ بِـ ٦٠، فِي حِسَابِ (أَبْجَد).

(٢) أَخْلَاطٌ كَثِيرَةٌ.

(٣) جَمَاعَةٌ، وَكَذَلِكَ اللَّمَّةُ، وَالْكُوكِبُ، وَالثَّلَّةُ، وَالصِّرْمَةُ، وَالْعَانَةُ.

(٤) الْأَصْلُ فِي ذَلِكَ إِطْلَاقُهَا عَلَى الْحَمْرِ الْوَحْشِيَّةِ.

(٥) أَي: عَشْرَةُ رِجَالٍ مَعَ عَشْرَةٍ أُخْرَى، عَلَى عَشْرَةٍ كِرَاسِيٍّ، أَمَامَ عَشْرَةٍ
أَيْضًا.

(٦) أَي: النِّسَاءُ.

(٧) جَمْعُ وَطْبٍ، وَهُوَ: سَقَاءُ اللَّبَنِ.

وفي القَوْمِ أَبُو الحَسَنِ الحَشَكْظِيُّ، فاستأذنَ للحديث، فأذنَ له بالتَّحْدِيثِ. فقال: يا صَفْوَةَ الصَّفَاءِ، وزُمْرَةَ الصَّدَقِ والوَفَاءِ. ما رأيكم - دَامَ فَضْلُكُمْ - أنْ نُحْيِيَ لَيْلَتَنَا السَّامِرَةَ^(١)، وجَلَسْنَا العَامِرَةَ. بِلَطَائِفِ المَعَارِفِ، وفَوَائِدِ العَوَارِفِ. فَلِلْعِلْمِ حَلَاوَةٌ تُذْهِبُ الهمُومَ، وتَطْرُدُ اللَّهْفَةَ^(٢) والوَجُومَ^(٣). قالوا: أحسنت يا أبا الحَسَنِ، ودُونِكَ الخَيْلَ والرَّسْنَ^(٤). فَجُلَّ في مِيدَانِ العُلُومِ كما تُرِيدُ، وقلِ القولَ السَّديدُ.

قال: أَوْحَتْ إِلَيَّ عَشْرِيائَتُنَا، أنْ أَطَارِحَكُم هَهُنَا. عَشْرِيَّاتُ أُخْرَى، فيها تَبْصِرَةٌ وَذِكْرَى. ما المَقُولَاتُ العَشْرُ، والمَقَالَاتُ العَشْرُ. والليالي العَشْرُ، والأَيَّامُ العَشْرُ. وما المَعْلَقَاتُ العَشْرُ، وما الوصايا العَشْرُ. وَمَنْ هِيَ العَشْرَةُ، التي هِيَ بِالْجَنَّةِ مُبَشِّرَةٌ. وما التَّوَاقِضُ العَشْرَةُ، والعُقُولُ العَشْرَةُ. وما آيَةُ الحَقِّوقِ العَشْرَةُ، وما الجَنَائِثَاتُ العَشْرَةُ. وَمَنْ هُمُ العَشْرَةُ، مُحَدِّثُوا البَصْرَةَ. وَمَنْ القُرَّاءُ العَشْرَةُ؟

(١) السَّامِرَةُ: التي شارَكْتَنَا أُنْسَ اللَّيْلِ، وَسَهَرَهُ.

(٢) الحزن.

(٣) العَبُوسُ من أَجَلَ الحزن.

(٤) الحبل.

قالوا: ما أَحَسَنَ هذه الأسئلة الشائقة، والنّوادر الفائقة،
الكاشفة عن أوابد^(١) طالقة. سألناك بالحقّ إلّا ما رَفَعْتَ حِجابها،
وكشفت نقابها. وهتكت ستارها، وطوّعت نعارها^(٢). فأنتَ
خِرِّيتُنا^(٣) وابن خِرِّيتنا. وغزاليّنا وابن سِكِّيتنا.

فَاطَرَحَ المِسْوَرة^(٤) والحُسابنة^(٥)، وَحَمِدَ المَوْلَى سَبْحَانَهُ.
وقال:

عَشْرَ اللَّيَالِي: عَشْرَةَ المَحَرَّمِ

أَوْ رَمَضَانَ، ثُمَّ قَوْلُ المُعْظَمِ

العَشْرِ لِلأَضْحَى، وَهِيَ الأَيَّامُ

صَحَّ بِهَا الحَدِيثُ يَا كِرَامُ

أَمَّا المَقُولَاتُ فَهَآكَ نَظْمُهَا

لِنَاطِمِ قَبْلِي أَبَانَ رَسْمُهَا

«زَيْدُ الطَّوِيلُ الأَزْرَقُ ابْنُ مَالِكٍ

فِي بَيْتِهِ بِالْأَمْسِ كَانَ مُتَكِي

(١) الأوابد: الوحوش.

(٢) العاصي منها.

(٣) الخريّت: الماهر بهداية الطريق، والمراد - هنا - طريق العلم.

(٤) وسادة يُتَكأ عليها.

(٥) وسادة صغيرة.

يَيْدِهِ غُصْنٌ لَوَاهُ فَالْتَوَى

فَهَذِهِ عَشْرُ مَقُولَاتٍ سَوَا»

وهي المقالات. وعَشْرَةُ الْعُقُولِ

هي الملائكُ وفي التَّفْصِيلِ طُولُ

وَعَتَرٌ، زُهَيْرٌ، وَابْنُ حُجْرٍ

طَرْفَةٌ، لَيْبُدُهُمْ مَعَ عَمَرٍ

وَحَارِثٌ وَالنَّابِغِيُّ وَالْفَحْلُ

مَيْمُونٌ: أَصْحَابُ الْقَصِيدِ الْفَحْلِ

هذا جوابُ الشَّطْرِ أَمَّا الْبَاقِي

جوابه نثرٌ بِإِذْنِ الْبَاقِي

قالوا: إِيَّاهُ يَا كُنَيْفُ^(١) الْعُلُومُ، وَدَاوَةَ الْكَلَامِ مِنَ الْكُلُومِ! ^(٢).

قال: وَأَمَّا الْوَصَايَا الَّتِي لِلْأَنْعَامِ، فَفِي «سُورَةِ الْأَنْعَامِ» ^(٣).

(١) يَا حِرْزَ الْعُلُومِ، وَالْكَفِّ أَيْضًا: الْجَانِبُ، وَالظِّلُّ.

(٢) الْجُرُوحُ.

(٣) الْوَصَايَا الَّتِي لِلْأَنْعَامِ، فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ

رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ إِلَّا نَضَرُكُمُ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا

أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِهْلَكْتُ مِمَّنْ نَزَّلْتُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ

والمُبَشَّرُونَ بِجَنَّةِ الْأَفْرَاحِ، هُمُ الْخُلَفَاءُ وَابْنُ عَوْفٍ وَالْجَرَاحُ.
وطلحة والزبير، وسعدٌ وسعيدٌ لا غير. والقُرَاء: نافعٌ وابنُ كثير،
وأبو عمرو الأثير. وابن عامرٍ قارئُ الشَّامِ، وعاصِمُ الإمام.
والكِسَائِيُّ وَحَمْزَةُ ابْنُ حَبِيبٍ، وأبو جَعْفَرٍ النَّسِيبُ^(١). وَيَعْقُوبُ
الشَّاكِرُ، وخَلْفُ الْعَاشِرِ. وآيَةُ الْحُقُوقِ الْعَشْرَةِ، فِي «النِّسَاءِ»^(٢)
مَنْشُورَةٌ. وَالْحِنَائِيَّاتُ أَجْزَاءُ^(٣)، انْتَقَاهَا بَعْضُ الْأَعْزَاءِ. وَأَمَّا الْعَشْرَةُ،

مِنْهَا وَمَا بَطُنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمْ وَصَنَكُمْ بِهِ
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا
الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ
كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَيَعْهَدِ اللَّهُ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾
وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ
ذَٰلِكُمْ وَصَنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾

(١) ذو النَّسَبِ.

﴿٢﴾ ﴿١﴾ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ
بِالْجُنُبِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا
فَخُورًا ﴿٣١﴾

(٣) هي الأجزاء التي انتقاها الحافظ النخشي لأبي القاسم الحنائي، كما في
ترجمة الحنائي في «النبلاء».

محدثو البصرة. فهم: خالد ابن الحارث، ومعتمر وعبد الوارث. وإسماعيل ابن عليّة، إلى آخر البقية^(١).

فهذا الطّعام يُقَرَّب، والمأكَل تُسَرَّب. في قِصَاعٍ وجفانٍ، وصِحَافٍ وقُرْبَانٍ^(٢). وبها الكَوْشَانُ^(٣)، طَعَامُ أَهْلِ عُمَانَ. وَمَعَهَا الْحَرِيرَةُ^(٤)، وَصَحْنُ الْخَزِيرَةِ^(٥). وَالْمُزَوْرَةُ^(٦) والقديد، والشرب والثريد. هذا للنَّحِيلِ، وَذَاكَ لِلوَزَنِ الثَّقِيلِ. وبها من الأخباز الجعَاجِرُ^(٧)، والعَلِجُ^(٨) السَّاجِرُ^(٩). والفِرَازْدُ^(١٠) والطَّهْفُ^(١١)، وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ كَالْكَفِّ. وَبَيْنَ ذَلِكَ قِدَاحٌ^(١٢) رَحْرَاحَةٌ^(١٣)، فِيهَا

(١) والبقية: يزيد بن زريع البصري، وعبد الواحد بن زياد، وهيب بن خالد، وبشر بن المفضل، ومعبد بن سليمان، وحماد بن زيد - رحمة الله عليهم.

(٢) الإناء الذي قارب الامتلاء.

(٣) طعام يكون من الرز والسمك لأهل عمان.

(٤) نوعٌ من الطعام، وهي اليوم حساء يتقن صناعته أهل المغرب.

(٥) شبه العصيدة.

(٦) المزورة: ما يطبخ خاليا من الأدهان.

(٧) الواحدة: جُعْجُرَةٌ، عجينةٌ يجعل في الرُّبِّ فيؤكل.

(٨) الرغيف الغليظ من أطرافه.

(٩) الحار.

(١٠) جمع فرزدقة: الخبزة الغليظة العظيمة.

(١١) خبز الذرة.

(١٢) أوانٍ، جمع قدح.

(١٣) واسعة قريبة القاع.

قطائفُ فوَاحَةٍ. زَلَايِيَّةٌ^(١) وَسَعَابِيْبٌ^(٢)، وَشَهْدٌ ذُو نَخَارِيْبٍ^(٣).
فَاقْتَمُّوا^(٤) مَا فِي تِلْكَ الْقُدُورِ، وَمَلَأُوا بُطُونَهُمْ إِلَى الصُّدُورِ. وَقِيلَ
لَهُمْ: أَنْزِدْكُمْ إِلَيْهِ، قَالُوا: حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ. وَدَعَا
الْحَشَكُظِيَّ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَطْعِمْ مَنْ أَطْعَمَنَا، وَاسْقِ مَنْ سَقَانَا».

فَصَاحَ عُنْجُلٌ^(٥) وَزَبَرٌ^(٦)، مَنْ أَخْرَجَ هَذَا الْخَبِرَ؟ قَالَ: مُسْلِمٌ
مِنْ حَدِيثِ الْمِقْدَادِ^(٧)، وَدُمْتُمْ فِي سَعْدٍ وَإِسْعَادٍ، إِلَى يَوْمِ الْمَعَادِ.

(١) نوعٌ من الحلوى.

(٢) نوعٌ من الحلوى إذا أخذ منها امتدت.

(٣) ثقوب.

(٤) جمعوا.

(٥) شيخ كبير قد انحسر لحمه، وبدت عظامه.

(٦) زجر.

(٧) أصله في صحيح مسلم، من حديث المقداد في قصة طويلة، وفيه: أن

النبي ﷺ رفع رأسه إلى السماء، وقال: «اللهم أطعم من أطعمني، واسق من سقاني». قال ذلك قبل أن يطعم.

المقامة الحكيمية

قال أبو العنين:

قصدتُ في رحلتي المكيّة، وحجّتي المسكّيّة^(١). فحلاً من
فُحول الأدب، وظرفاً من ظُرفاء العرب. مُتّكياً على أريكة،
بحي الشبيكة^(٢). فلمّا رأني حلّ حبوتّه، وابتدرَ قومته. ثم
ولول^(٣)، وأنشد قول الأول:

إذا ما تبدّى لنا طالِعاً حللنا الحبا^(٤) وابتدرنَ القياما
فلا تُنكرُنَ قيامي إليه فإنّ الكريم يُجلُّ الكراما
ولمّا تطارحنا أحاديثَ العلم بيننا، وتأسينا^(٥) تقطّع وصلنا
وبيّنا^(٦). جرّرتُ سَيْلَ حديثه إلى بحرهِ الزّخّار، وحافظته التي

(١) نسبة إلى المسك.

(٢) حيّ معروف قريب من الحرم المكي في شماله الغربي.

(٣) صوّت.

(٤) جمع حبة، بفتح الحاء ويضم، وهيئتها: أن يجمع الإنسان بين ظهره
وساقيه بثوب، أو بيديه.

(٥) واسى بعضنا بعضاً.

(٦) فراقنا، والبين: الوصل والقطع (ضد).

تجري مِنْ تحتها الأشعارُ، وتُنفى على واحدٍ بأربعةِ أَصْفارٍ^(١).
يقولها مِنْ طرفِ لسانه، بِجَمِيلِ فصاحتِهِ وَعَذْبِ بيانِهِ. ولم تَلَبْثْ
ساعتها حتَّى وَقَدَ النَّزَّاعُ^(٢) مِنْ كُلِّ بابٍ، وبلَّغوا حارةَ البابِ^(٣).

فأقسمَ لِلْقَوْمِ، في ذلك اليومِ. لِيَكُونَنَّ مِنَ الحَمَقَى، وَلِيَكُونَنَّ
الْأَرَعْلَ^(٤) الْأَشْقَى. إِنَّ حَادِثَهُمْ بَغَيْرِ الْأَشْعَارِ، لَيْلَهُ الْآتِي وَذَلِكَ
النَّهَارُ. حتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ بَرَقُ تَذْكَارِهِ، وسرعةُ خَاطِرِهِ واستحضارِهِ،
وقُوَّةُ حِفْظِهِ واقتدارِهِ. وتوقُّدُ ذَهْنِهِ وَلَهَبُ نارِهِ، وعميقُ عِلْمِهِ
وَبُعْدُ مَغَارِهِ^(٥).

فنادى في الجَمْعِ - وَهُمْ يُلقُونَ السَّمْعَ -: هل أدُلُّكُمْ على
شيءٍ أَثِيها المَلَأَ؟ قالوا: بلى. أَثِيها الجَرَنَدَقُ^(٦)، ويا كَفِييَ^(٧)
الْفَرَزْدَقُ! قال: يَدْنُو إِلَيَّ خَنَازِيذُ^(٨) الشُّعَرَاءِ، الَّذِينَ هُمُ لِلشُّعْرِ
أُمَرَاءُ. فَيَسْأَلُونِي ما يَشْتَهُونَ، وَيَسْتَخْبِرُونَ عَمَّا يَشْرَهُونَ^(٩). مِنْ

(١) أي: عشرة آلاف بيت.

(٢) الغرياء.

(٣) موضع معروف عند الشبيكة.

(٤) الأحقق المسترخي.

(٥) المغار كالمغارة والغار، ويطلق على القعر من كل شيء.

(٦) الجَرَنَدَقُ: الشاعر.

(٧) شبيه.

(٨) فحول، مفردة: خنذيذ.

(٩) شره كفرح: حرص بشدة، فهو شره وشرهان.

عَقَائِلُ الشَّعْرِ وَحِكْمِهِ، وَغُرَرِهِ وَمُحْكَمِهِ. يَبْدَهُونَنِي^(١) نَثْرًا، فَأَكِيلُ لَهُمْ شِعْرًا.

فَقَامَ لَهُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ، أَرْبَعَةٌ مِنْ كِبَارِ الْجَمَاعَةِ. فَحَيَّوْهُ بِالسَّلَامِ، لِيَرُدَّ عَلَيْهِمْ بِمَنْشُورِ الْكَلَامِ. فَفَطِنُ لَاسْتِزْلَالِهِمْ، وَأَدْرَكَ مَا بِبَالِهِمْ. وَرَدَّ بَيْتَ مَشْهُورٍ، لَا يَجْهَلُهُ الْجُمْهُورُ:

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا سَلَامَ مُودِّعٍ وَلَكِنْ سَلَامٌ لَا يَزَالُ جَدِيدًا

فَرَدُّوا عَلَى تَحِيَّتِهِ، وَعَجَبُوا مِنْ أَرِيحِيَّتِهِ^(٢). فَلَمْ يُعْجِبْهُ إِلَّا رَطَابُ، وَهَذَا^(٣) الْبِرَازِ^(٤) وَالْخِطَابُ. فَقَالَ:

سَيَعْلَمُ الْجَمْعُ مِمَّنْ ضَمَّ مَجْلِسُنَا

بِأَنِّي خَيْرُ مَنْ تَسْعَى بِهِ قَدَمٌ

فَأَزَتْهُمْ^(٥) الْعِزَّةُ بِاللَّهْذَمِ^(٦)، وَقَالُوا: مَهَيْمٌ^(٧). وَنَحْنُ أَيْضًا مَنْ تَعْلَمُ، فَأَجَابَ وَلَمْ يَتَجَمَّجَمْ^(٨):

(١) يَفْجَوْنَ بِدِيَهَتِي.

(٢) حُسْنُ خُلُقِهِ.

(٣) هَدْوً.

(٤) الْمُبَارَاةُ وَالنِّزَالُ.

(٥) حَرَّكَتْهُمْ.

(٦) الْقَاطِعُ مِنَ الْأَسْنَةِ، وَالْمَرَادُ: بِلِسَانٍ حَادٍ.

(٧) مَا الَّذِي حَدَثَ لَكَ؟

(٨) لَمْ يَخْفَ مَا فِي صَدْرِهِ.

إذا جاء موسى وألقى العصا فقد بطل السحر والسَّاحِرُ

قالوا: فليكن - إذن - مَجْلِسُنَا مُفِيدًا، نطرح على سَمْعِكَ
الحِكْمَةَ نثرًا، فتوردُ نظيرَهَا شِعْرًا. قال لهم: أتريدونه لشاعر^(١)،
أم لِكُلِّ غَابِرٍ؟^(٢) قالوا بِصَوْتٍ زَائِدٍ^(٣)، بل لِشَاعِرٍ وَاحِدٍ.

قال: فَمِنْ أَيِّ الْأَزْمَانِ، يا أَدَبَاءَ الزَّمَانِ؟ قالوا: لِشَاعِرٍ مِنْ
الْأَكْيَاسِ^(٤)، فِي زَمَنِ بَنِي الْعَبَّاسِ.

قال: مِنْ الْأَوَّلِ أَمْ مِنَ التَّالِيِ^(٥)، فَكِلَاهُمَا مِنْ بِلَالِيِ^(٦). وَقَرِيبُ
مِنْ بَالِيِ، وَأَيُّهُمَا اصْطَفَيْتُمْ فَلَنْ أَبَالِي؟ قالوا: مِنَ الثَّانِيِ، فَلَا تَكُ
بِالْثَّاهِيِ^(٧) وَالثَّانِيِ^(٨). قال: فَمِنْ شُعَرَاءِ الْمُبَانِيِ، أَمْ مِنْ حُذَّاقِ
الْمَعَانِي؟ قالوا: بَلْ مِنْ ذَوِي الْمَعَانِي الْمُشْرَعَةِ^(٩)، وَالْحِكَمِ

(١) أي: لشاعر معين.

(٢) باقٍ، وهالك (ضد).

(٣) زائد: زأده كمنعه: أفزعه.

(٤) الأذكىاء العقلاء.

(٥) أي: العصر العبَّاسيُّ الأول، أم الثاني؟

(٦) بثليث الباء: الماء، وكل ما يبلُّ به الحلق.

(٧) الأحمق.

(٨) الراجع في أمره.

(٩) يقال: أشرع الطريق: فتحه.

المُتْرَعَةُ^(١)، والخواطر المُسْرَعَةُ. قال: مِنْ شُعْرَاءِ الْمَشْرِقِ أَمْ
الْمَغْرِبِ؟ قالوا: مِنَ الْمَشْرِقِ فَلَا تُغْرِبُ. نريدُه مِنَ الْمَشَاهِيرِ،
ولا بِالْغُمُرِ ولا بِالْغَمِيرِ^(٢).

فأَخَذَ بِشِبَاهِهِ يَخْصِفُ^(٣)، وَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الْمُسْتَحْصِفِ^(٤). يقول:
لَقَدْ فَرَشْتُمْ دِخْلَةَ أَمْرِكُمْ^(٥)، وَبَعَثْتُمْ مَخْبُوءَ قَبْرِكُمْ. وَأَبْحَثْتُمْ بِمَا
فِي صَدْرِكُمْ، وَكَشَفْتُمْ عَنْ مَكْنُونِ سِرِّكُمْ: إِنَّكُمْ تَرُومُونَ الْوَابِلَ
الصَّيِّبَ^(٦)، وَالْمَارِدَ^(٧) الطَّيِّبَ، الشَّاعِرَ أَبَا الطَّيِّبِ^(٨). لَقَدْ سَقَطْتُمْ
عَلَى خَبِيرٍ، وَإِنِّي بِهِ لَبَصِيرٌ. فَالآنَ أُمْطِرُكُمْ بِغَزِيرٍ وَابِلَةٍ، وَأُطْرِبُكُمْ
بَتَغْرِيدِ بِلَابِلَةٍ، وَقِلَاقِلِهِ^(٩) وَجَلَّاجِلِهِ^(١٠). فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ، وَهَاتُوا
ثَرْكَكُمْ.

(١) الملاي.

(٢) الغُمر: من لم يُجَرَّبْ الأمور. ومثله الغمير، وبمعنى المغمور، وهو
الخامل الذَّكر.

(٣) أي: يلصقها.

(٤) جيّد الرأي.

(٥) بسطتم باطن أَمْرِكُمْ.

(٦) المطر.

(٧) المارد: من بلغ الغاية التي بها يفوق أقرانه.

(٨) أحمد بن الحسين المعروف بالمتنبي (ت ٣٥٤هـ).

(٩) أصواته.

(١٠) ما يتجلجل ويدور في النفس من الخواطر.

قالوا: نبئنا بالقول السديد، الكتب عمر لا تبيد. فبادرهم بالإجابة، في سرعة وإصابة:

ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته ما فاته وفُضُولُ العيشِ أشغالُ

قالوا: فبين لنا قولهم: علل الأفهام، أشدُّ من علل الأجسام. فقال في ثقة، وعبارة موثقة:

يهون علينا أن تُصاب جِسمُنا وتسلم أعراضُنا وعقولُ

قالوا: فبين لنا قولهم: إرادة نقل الطباع، من رديء الأسماع؟ فبادر بالإجابة، في إصابة:

يراد من القلب نسيانكم وتأيي الطباع على الناقل

قالوا: الجبن في قلب الجبان، وإذا خلا كان من الشجعان؟ قال:

وإذا ما خلا الجبان بأرضٍ طلب الطعن وحده والنزال^(١)

قالوا: فما مثال قولهم: من أثرى من العدم، افتقر من الكرم؟ فقال من فوره، إن هذا لفي شِعْره:

وربَّ مالٍ فقيرٍ من مروءته لم يثر منه كما أثرى من العدم

(١) المنازلة للقتال.

قالوا وأقبلوا إليه: أَقْبَحُ الظُّلْمِ حَسْدُكَ لِمَنْ تُنْعِمُ عليه؟ قال: هو
في قوله المشهور، وشِعْرُهُ المشعُورُ:

وأظْلَمُ أَهْلِ الظُّلْمِ مَنْ بَاتَ حاسِداً

لِمَنْ بَاتَ فِي نِعْمَائِهِ يَتَقَلَّبُ

قالوا: من لم يقدرْ على الفضائل، فليترك الرذائل؟ فأجابَ
على الفور، بلا حور^(١):

إِنَّا لَفِي زَمَنِ تَرَكِ الْقَبِيحَ بِهِ

من أَكْثَرِ النَّاسِ إِحْسَانٌ وَإِجْمَالٌ

قالوا: الحِلْمُ عن قُدْرَةٍ، والعَجْزُ عن ضَعْفٍ؟ فأجابَ في
براعة، دُونَ لَهِيعةٍ أَوْ لَهَاعَةٍ^(٢):

كُلُّ حِلْمٍ أَتَى بِغَيْرِ اقْتِدَارٍ

حُجَّةٌ لَاجِيٌّ إِلَيْهَا اللَّئَامُ

قالوا: كُرُهُ ما لا بُدَّ مِنْهُ عَجْزٌ فِي صِحَّةِ الْعَقْلِ؟ فَرَمَى إِلَيْهِمْ
قَوْسَةً، وَحَتَّى نَحْوَهُمْ رَأْسَةً، وَقَالَ:

(١) بلا حيرة.

(٢) اللهيعة واللّهاعة: الغفلة والكسل.

نحنُ بنو المَوْتَى فما بالنَّا نَعافُ ما لا بدَّ مِنْ شُرْبِهِ
قالوا: النَّفْسُ اللَّئِيْمَةُ تَرى الْأَشْيَاءَ بِطَبْعِهَا؟ فَأَجَابَ بِلا عُجْمَةً،
أَوْ حُكْلَةً^(١) أَوْ غُثْمَةً^(٢):

وَمَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مُرٍّ مَرِيضٍ يَجِدُ مُرًّا بِهِ الْمَاءَ الزُّلَّالَا
قالوا: النَّفْسُ الْبَهِيْمَةُ، تَأْنِفُ مُسَاكِنَةَ الْأَجْسَامِ التَّرَايِيَةِ؟
فَمَا تَمَهَّلْ أَوْ تَكْعَكَعْ^(٣)، وَلَا تَلْعَثَمْ أَوْ تَتَعَتَّعْ^(٤)، بَلْ قَالَ وَهُوَ
يَتَجَمَّعُ^(٥):

إِلْفُ هَذَا الْهَوَاءِ أَوْقَعُ فِي الْـ أَنْفَسِ أَنْ الْحِمَامِ^(٦) مُرُّ الْمَذَاقِ
قالوا: النَّظَرُ فِي عَوَاقِبِ الْأَشْيَاءِ يُزَهِّدُ فِي حَقَائِقِهَا؟ فَسَكَتَ فِي
إِطْرَاقٍ، وَعَلَا مُحْيَاهِ إِشْرَاقٍ. وَقَالَ:

لَوْ فَكَّرَ الْعَاشِقُ فِي مُنْتَهَى حُسْنِ الَّذِي يَسْبِيهِ^(٧) لَمْ يَسْبِهِ

-
- (١) الحُكْلُ: مَا لَا يُسْمَعُ صَوْتُهُ مِنَ الدَّوَابِّ، كَالنَّمْلِ، وَالْمَرَادُ هُنَا: بِصَوْتٍ
وَاضِحٍ، لَا حُكْلَةً، أَيْ: لَا خَفَاءَ فِيهِ.
(٢) الْأَغْثَمُ: مَنْ لَا يَفْصَحُ.
(٣) تَرَاجَعَ.
(٤) التَّعَتُّعُ: تَقَطُّعُ الْكَلَامِ بِسَبَبِ حَصَرٍ أَوْ عِيٍّ.
(٥) يَحْسُو حَسَوَةً مِنْ لَبَنٍ، وَيُلْقِمُ عَلَيْهَا تَمْرَةً.
(٦) الْمَوْتُ.
(٧) سَبَاهُ يَسْبِيهِ: أَسْرَهُ.

فقام كبير الجماعة، وهو يجرُّ بَعَاةً^(١). وقال: أيُّها الجماعة، كفى بذلك شهيداً على قُوَّةِ حِفْظِهِ وحُسْنِ بيانه، وسعة معلومه وقلة نسيانه. وأنه كعبة البيان، وساحب ذيل النسيان، على حفاظ الزَّمان. وخرجوا مِنْ عِنْدِهِ حَيَارَى، كأنَّهم سُكَارَى، وما هُمْ بِسُكَارَى.

(١) ثَقَلَهُ.

المَقَامَةُ المَطْبَخِيَّةُ

(وفي بعضها الخروج عما يلزم)

قال العينين :

حَدَّثَ طَيْفُ الْخَيَالِ بِخَبَرٍ غَرِيبٍ، وَنَبَأٍ عَجِيبٍ. فَمَنْ شَاءَ
أَنْكَرَهُ، وَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ. قَالَ: تَهافتَ طابخانِ عَلَى المِهَاتِفَةِ، فِي
قَنَاةٍ شَارِفَةٍ^(١). أَحَدُهُمَا أَعْرَابِيٌّ مِنْ بَادِيَةِ غِيلَانَ^(٢)، وَالْآخَرُ مِنْ
بُطْنَانَ لُبْنَانَ. أَرَادَا أَنْ يَتَجَافَخَا^(٣)، لِيَتَطَابَخَا^(٤). وَيُهْدِي كُلُّ مِنْهُمَا
صَاحِبَهُ، طَبْخَةً مُنَاسِبَةً.

قال الأعرابيُّ: أريدُكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ أَنْ تَفْقَهَ عَنِّي، وَأَنْ تُصَدِّقَ
فِيكَ ظَنِّي. فِي حَدِّقِ مَا أَصِفُهُ لَكَ ذِكْرًا، وَأَنْ لَا تُعْصِي لِي أَمْرًا.
وَسَوْفَ تَزْدَرِدُ^(٥) الْخَمْسَ^(٦)، وَتَتَدَمُّ عَلَى مَا فَاتَكَ بِالْأَمْسِ.

(١) أي: قناة تلفزيونية ظاهرة.

(٢) غيلان ذو الرمة، الشاعر الأموي المشهور.

(٣) يتفاحرا.

(٤) أي: يطبخ كل منهما لصاحبه طبخة.

(٥) تبتلع.

(٦) الأصابع الخمس.

أَحْضِرْ طِرْجَهَارَةَ^(١) بِهَا زَيْتٌ، وَسَوْمَلَةٌ^(٢) بِهَا مَلْحٌ، وَقَعْبًا^(٣)
يُعَجِّنُ فِيهِ، وَحَنْجُودًا^(٤) لِلْفُلْفُلِ، وَحَوْقَلَةً^(٥) بِهَا خَلٌّ، بَعْدَ حَلٍّ
عَلَيْهَا صِبْهَا^(٦)، وَنَحِيًا^(٧) فِيهِ سَمْنٌ، وَمِدْلَجَةً^(٨) فِيهَا مَحْلَبٌ^(٩) فِيهِ
لَبْنٌ، وَتَوْرًا^(١٠) فِيهِ مَاءٌ وَشِفَارِجًا^(١١)، وَعِيزَارَةً^(١٢) وَأَحْفَاشًا^(١٣).
وَيُحْضَرُ مَعَهَا فَدَّامٌ^(١٤) لِلْمَسْحِ، وَطُلْمٌ^(١٥) لِلْخُبْزِ، وَقَيْطَلَةٌ^(١٦)

(١) فنجانة.

(٢) فنجانة صغيرة.

(٣) إناء.

(٤) قارورة طويلة.

(٥) قارورة طويلة العنق.

(٦) العلهاص: صمام القارورة.

(٧) إناء السمن خاصة.

(٨) علة كبيرة.

(٩) إناء يحلب فيه.

(١٠) إناء يشرب فيه.

(١١) الطبق.

(١٢) إناء كبير من زجاج.

(١٣) إناء تجعل فيه المرأة الدهن.

(١٤) ما يُشَدَّ عَلَى فَمِ الْإِبْرِيقِ وَالْكَأْسِ لِتَصْفِيَةِ مَا فِيهِ مِنْ شَرَابٍ، وَهُوَ عَلَى

زُتَّةٍ شَدَّادٍ، وَتَتَوَرَّ، وَكِتَابٍ، وَسَحَابٍ.

(١٥) الْخِيَانُ يُبَسِّطُ عَلَيْهِ الْخُبْزَ.

(١٦) خُرْقَةٌ يَنْشَفُ بِهَا.

لِلتَّنْشِيفِ. وَيُؤْتَى بِأَرْزٍ فِي قُمْعُلٍ^(١)، وَقِدْرٍ زَوَازِيَةٍ^(٢) فِيهَا لَحْمٌ،
وَتُجْمَعُ الْخُضَارُ: (أُذُنُ الْحِمَارِ^(٣)، وَلَحْيَةُ التَّيْسِ^(٤)، وَلِسَانُ
الْعُصْفُورِ^(٥)، وَلِسَانُ الْحَمَلِ^(٦)، وَلِسَانُ الثَّورِ^(٧))، وَيُذَرُّ عَلَيْهَا
خَصَى الثَّلَبِ^(٨)، وَذَيْلُ الْحِصَانِ^(٩)، وَيُخَلَطُ بِهَا خَسُّ
الْحِمَارِ^(١٠)، وَوَرَقَ الْعُنْصُلِ^(١١)، وَأَذَانُ الْفِيلِ^(١٢)، وَيُؤْتَى
بِالْمِشْنَقِ الَّذِي ذَرَّ عَلَيْهِ بِاللَّوَاثَةِ الْمَخْمَرِ بِالْفَتَاقِ حَتَّى أَصْبَحَ
تَخًّا^(١٣).

- (١) القدح الضخم.
- (٢) القدر الضخمة.
- (٣) نبت له ورق عرضه مثل الشبر، وله أصل يؤكل، أعظم من الجزرة، مثل الساعد، وفيه حلاوة.
- (٤) بقل تطبخ جذوره اللحمية.
- (٥) ضرب من (المكرونة) يكون قطعاً صغاراً على هيئة ألسنة.
- (٦) نبت عُشْبِيٍّ معمر، طَبَّيٌّ بَرِّيٌّ من الفصيلة الحملية.
- (٧) عُشْبَةٌ سنوية طيبة من الفصيلة البوراجينية، ورقه يُشَبِّهُ لسان الثور، بعض أنواعها تنبت في الحقول، وأخرى تزرع لزهورها.
- (٨) نوع من النبات.
- (٩) نبت يتداوى به.
- (١٠) نبات لاصق بالأرض مشوك، له أصل في غلظ، إصبع أحمر كالدم، يصنع اليد إذا مُسَّ منبته الأرض الطيبة التربة.
- (١١) نبات، يقال له أيضاً: البصل البرِّي، يقوِّي البدن الضعيف، وينفع للرَّبْو.
- (١٢) هو: القلقاس من الفصيلة القلقاسية، تستعمل كعوبه - أي: سوقه الأرضية - للأكل.
- (١٣) التَّخُّ: العجين الحامض المسترخي.

ولا يُسْكَبُ عليه ماءٌ كثيرٌ حتَّى لا يكون ثَمْطًا^(١)، ثم يؤخذ
المِحْلَاجُ لِتَذْوِيرِ الْعَجِينِ ثُمَّ يَقْرَصُ^(٢)، وَيُخْرَقُ بِالْمِنْسَفَةِ^(٣)،
وَيُوضَعُ فِي الْمِحْوَرِ^(٤) لِيُلْقَى فِي الْوَطِيسِ^(٥)، وَلَا تَنْسَ الْهَرَشَقَةَ^(٦)
لِتَنْضَحَ بِهَا وَجْهَ الرَّغِيفِ. وَإِيَّاكَ وَالْجَعَّاجِرَ^(٧) الَّتِي تُشْبِهُ
التَّمَاثِيلَ!! وَاصْنَعْهَا كَيْفَ شِئْتَ: فَرَزْدَقَةَ^(٨) أَوْ مِرْتَنَةَ^(٩) أَوْ
طَهْفًا^(١٠) أَوْ ضَغِغَةً^(١١). وَإِيَّاكَ وَالتَّرْهِيظَ^(١٢) فِي الْأَكْلِ،
وَالْجَرْدَبَةَ^(١٣)، وَالْإِدْغَامَ^(١٤) وَلِجَلْجَةِ اللَّقْمِ^(١٥)، وَالثَّرْمَلَةَ^(١٦)،

-
- (١) العجين إذا أفرط في الرقة.
 - (٢) قرص العجين: أي قطعه حتى يبسطه.
 - (٣) الغربال.
 - (٤) خشبة يبسط بها العجين.
 - (٥) تنور يخبز فيه.
 - (٦) خرقه يغمسها الخباز في إناء به ماء، ثم يرش بها وجه الرغيف.
 - (٧) مفردها جُعْجُرَةٌ: شيء يتخذ من العجين كالتماثيل.
 - (٨) خبزة عظيمة.
 - (٩) خبزة مشحمة.
 - (١٠) خبز يتخذ من الذرة.
 - (١١) خبز الأرز المرقق.
 - (١٢) عظم اللقم، وشدة الأكل.
 - (١٣) الأكل باليمن، ومنع الغير بالشمال.
 - (١٤) أكل الطعام بغير مضغ.
 - (١٥) إجاله اللقم من غير مضغ.
 - (١٦) انتشار الطعام على لحية الأكل، وغمسه يده كلها.

والذَّاطُ^(١)!! فَإِنَّهُ يُبْطِنُ، والقَسَقَسَةُ^(٢)، والبَلَّازَةُ^(٣)، ودَعَّ في
الخِوان^(٤) شَيْئًا مِنَ الخُشَارَةِ^(٥) والقُشَامَةِ^(٦)، وفي الآنية تَرْتَمَا^(٧)،
وحُتْفَلًا^(٨) وعِرْزَالًا^(٩) ورُكْحَةً^(١٠) إِنْ كَانَ ثَرِيدًا، وَلَا تُكْثِرُ مِنَ
الْوَدَكِ^(١١) والإِهَالَةِ^(١٢) حَتَّى لَا تَطْسَأَ^(١٣)، وَضَعُ مَاءٍ فِي قَعْبٍ
فَوْقَ فَاعُوسَةٍ^(١٤) مُشْرَبًا بِمَاءِ الزَّبِيبِ، وَكُلُّ قَبْلُ ذَلِكَ بَعْضُ
عُلْيَقٍ^(١٥) وَزُلْيَقٍ^(١٦)، فَإِنْ عَرَضَ لَكَ سُعَالٌ فَمُصِّ شَيْئًا مِنْ

-
- (١) الأكل بعد الشَّبْع.
 - (٢) أكل كلِّ ما على المائدة.
 - (٣) الأكل حتى الشَّبْع.
 - (٤) المائدة.
 - (٥) ما بقي على المائدة.
 - (٦) كالخُشَارَةِ.
 - (٧) ما بقي في الإناء.
 - (٨) ما بقي في أسفل المرق.
 - (٩) البقية من اللحم.
 - (١٠) البقية من الثريد.
 - (١١) الشحم.
 - (١٢) الألية.
 - (١٣) طَسَيْتَ نَفْسَهُ: تَغَيَّرَتْ مِنْ أَكْلِ الدَّسَمِ.
 - (١٤) نارٌ أَوْ جَمْرٌ لَا دَخَانَ لَهُ.
 - (١٥) نَوْعٌ مِنَ الشَّرَابِ.
 - (١٦) ضَرْبٌ مِنَ الْخَوْخِ أَمْلَسَ.

الْفِرْنْدُ^(١)، وَلَا تَأْكُلِ اللَّحْمَ حَتَّى يَتَذَيَّأَ^(٢)، وَكُلِ الْخَبِيصَ^(٣) وَحَدَهَ. وَاتَّقِ الزَّحِيرَ^(٤) فِي الْبَطْنِ، وَالطُّحَارَ^(٥)، وَالرُّمَاعَ^(٦)، وَالْحُجَّافَ، وَالْجُحَافَ^(٧)، وَالنَّعَجَ^(٨)، وَالْعَلَّوصَ^(٩)، وَالْكِبْظَةَ^(١٠).

قال الطابخ المعاصر: (يعطيك العيفة^(١١))، حَضَرَكِ، وَحُطَّ هَنِيكَ^(١٢)، وَتَعْمَلِ هَيْكَ، وَثَبَّلْشَ ...). وَأَخَذَ فِي كَلَامٍ عَلَى هَذَا النَّسَقِ، لَمْ يَفْهَمِ الْأَعْرَابِيُّ مِنْهُ شَيْئًا مَذْكُورًا^(١٣).

(١) حَبَّ الرِّمَانِ.

(٢) يَنْفَصِلُ عَنِ الْعَظْمِ.

(٣) حُلُوءٌ يُعْجَنُ فِيهَا التَّمْرُ بِالسَّمْنِ.

(٤) دَاءٌ فِي الْبَطْنِ.

(٥) دَاءٌ فِي الْبَطْنِ يَعْلُو فِيهِ النَّفْسُ.

(٦) دَاءٌ فِي الْبَطْنِ يَصْفَرُّ مِنْهُ الْوَجْهَ.

(٧) مَشْيُ الْبَطْنِ، وَكَذَلِكَ الْحُجَّافُ.

(٨) ثَقُلَ الْقَلْبُ مِنْ أَكْلِ لَحْمِ الضَّأْنِ.

(٩) الْوَجَعُ مِنَ التَّخْمَةِ.

(١٠) الْبِطْنَةُ.

(١١) أَصْلُهَا الْعَافِيَةُ، وَبَعْضُ أَهْلِ الشَّامِ فِي لُبْنَانَ يَنْطَقُونَهَا بِالْإِمَالَةِ الْكُبْرَى.

(١٢) أَصْلُهُ: هَنَّاكَ.

(١٣) وَالْغَرَضُ مِنْ إِنْشَاءِ هَذِهِ الْمَقَامَةِ بَيَانُ الْفَجْوَةِ الْكَبِيرَةِ بَيْنَ الْعَامِيَّةِ وَالْفُصْحَى، وَبَيَانُ أَنَّ مَخَاطَبَةَ النَّاسِ بِحَوْشِي الْأَلْفَاظِ لَا يَوْصِلُ إِلَى الْمَقْصُودِ مِنَ التَّخَاطُبِ، وَأَنَّ الطَّرِيقَةَ الْمَثْلَى فِي التَّفَاهُمِ بَيْنَ الْعَرَبِ وَمَنْ

قال أبو العينين:

فاجتهد كلُّ منهما في تطبيق ما وُصِفَ له: فطبخ الأعرابيُّ:
عصيدةً بالفُلْفُل والفَالُوذَج^(١) مَعَ قَاقُلَةٍ^(٢)؛ لَأَنَّهُ لَمْ يَفْهَمْ مِنْ كَلَامِ
صَاحِبِهِ سِوَى (هَيْكُ وَهْنِيك).

وطبخ الشَّامي: بابا غَنُوجَ بِالْمَايُنِيزِ وَالكَتْشَابِ؛ لَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ:
بِلِحْيَةِ التَّيْسِ، وَالْجَعَاغِرِ، وَالتَّرْهِيْطِ. وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ،
وَهُوَ الْقَائِلُ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافُ
الَّذِينَ كُفَرْتُمْ وَالْوَنُكُورُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الروم].

= ينطق بالعربية هو الكلام باللغة الفصحى التي هي لغة القرآن، وعليها
مضى كلام الفصحاء.

(١) نوعٌ من الحلواء.

(٢) حَبُّ الهال.

العقامة الكلدية

قال العينين:

أَخَذَ هَيُّ بْنُ بَيٍّ وَلَدَهُ^(١)، إِلَى الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ^(٢). الْحَاذِقُ
السُّرْسُورُ^(٣)، وَطَبِيبُ الْعَرَبِ الْمَشْهُورُ. فَدَخَلَ عَلَيْهِ عَلَى عَجَلَةٍ،
وَهُوَ قَائِمٌ فِي بُرْطُلَةٍ^(٤). فَلَمَّا رَأَى الْغُلَامَ مُصْنَفَرًّا، وَوَجْهَهُ
مُكْفَهَرًا^(٥). قَالَ: مَا هَذَا السَّخْدُ^(٦)، فِي هَذَا الْقَهْدِ؟!^(٧) قَالَ: مِنْ
أَجْلِهِ جِئْنَاكَ، وَلِهَذَا وَافَيْنَاكَ. وَإِنِّي هَيُّ بْنُ بَيٍّ، وَهَذَا الْخُمَاسِيُّ^(٨)

(١) هَيُّ بْنُ بَيٍّ: يَكْنَى بِهِ عَنِ الْمَجْهُولِ، كَطَامِرِ بْنِ طَامِرٍ.

(٢) ثَقْفِيٌّ مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ، كَانَ طَبِيبَ الْعَرَبِ فِي عَصْرِهِ، وَأَحَدَ الْحُكَمَاءِ

الْمَشْهُورِينَ، اخْتَلَفَ فِي إِسْلَامِهِ، مَاتَ (نَحْوَ سَنَةِ ٥٠ هـ).

(٣) الْفَطْنُ الْعَالِمُ، الدَّخَالُ فِي الْأُمُورِ.

(٤) الْبُرْطُلَةُ: الْمِظْلَةُ الصَّيْفِيَّةُ.

(٥) عَابَسٌ غَيْرُ مَنِبَسَطٍ.

(٦) الْمَرَضُ.

(٧) الْقَهْدُ: يُقَالُ لِلتَّرَجْسِ قَبْلَ تَفْتُّحِهِ، وَهُوَ كُنَايَةٌ عَنْ صِغَرِ الْغُلَامِ. أَوْ: النَّقْيُ

اللَّوْنُ، وَكِلَاهُمَا مُرَادٌ.

(٨) الْخُمَاسِيُّ: الْغُلَامُ، طَوْلُهُ خَمْسَةُ أَشْبَارٍ.

بُنِي. وَإِنَّهُ أَكَلَ زُمَجًا^(١) بِزُمِيجٍ^(٢)، وَمَزَرَّةً^(٣) بِمُنِيجٍ^(٤). وَجَمَعَ يَدَيْهِ
لِبَحَّةٍ^(٥)، مِنْ جَفْنَةٍ كَفَخَةٍ^(٦). وَخَلَطَهُ بِالنَّحْضِ^(٧)، وَجَعَلَ بَعْضَهُ
عَلَى بَعْضٍ. وَحَوَّلَهُ إِلَى إِنَائِهِ^(٨)، وَهُوَ يَنْظُرُ إِنَائِهِ^(٩). فَلَمَّا اسْتَوَى
عَلَى سُوْقِهِ^(١٠)، ذَاقَهُ بِرَيْقِهِ. وَلَمْ يَزَلْ فِي ذَوَاقٍ، حَتَّى بَلَغَ
التَّرَاقُ^(١١). فَمَا لَبَثَ قَلِيلُ الْفِطْنَةِ، إِلَّا وَقَدْ مَلَأَ بَطْنَهُ. وَلَمْ يَبْقَ مِنْ
طَعَامِهِ ذَرَّةٌ لِذَرَّةٍ^(١٢)، وَلَا رَائِحَةٌ لِفَأْرَةٍ. وَتِلْكَ هَجِيرَاهُ^(١٣) وَعَادَتُهُ،
وَدَيْدَنُهُ وَسِيرَتُهُ. فَإِذَا لَبَثَ سَاعَةً، تَزِيلُ^(١٤) عَنِ الْجَمَاعَةِ.

- (١) الزُّمِيجُ: طائرٌ دون العُقاب، يُصَادُّ بِهِ.
- (٢) الزُّمِيجُ: نباتٌ، وهو المعروف بالبطاطا الحلوة، أو الجزر اليماني.
- (٣) حَسَوَةً.
- (٤) المُنِيجُ: التمر.
- (٥) اللَّبْحَةُ: الْأَخْذَةُ.
- (٦) الْكَفَخَةُ: الزُّبْدَةُ.
- (٧) اللَّحْمُ.
- (٨) إِنَائِهِ.
- (٩) يَنْتَظِرُ تَضْجَعَهُ.
- (١٠) جَمَعَ سَاقَ.
- (١١) جَمَعَ تَرْقُوتَهُ. وَيَلْحَنُ مَنْ يَضُمُّ النَّاءَ، وَيُشَدِّدُ الْوَاوَ.
- (١٢) أَي: مِثْقَالُ ذَرَّةٍ لِمَمْلَةٍ.
- (١٣) عَادَتُهُ، وَكَذَلِكَ: الدَّيْدَنُ.
- (١٤) انْفَصَلَ.

وصاحَتْ عَصَافِيرُ أَمْعَائِهِ^(١)، وصَوَّتَ من أَمَامِهِ وَوَرَائِهِ^(٢). فَمَلَأَهُ
 بِالْهَلْبَاجِ^(٣)، وَسَمِنَ الدَّجَاجُ. وَالْأَلْبَانِ وَالْمُمَذَّقِرُ^(٤)، حَتَّى يَسْكُنَ
 وَيَقِرَّ. فَإِذَا هَاجَ^(٥) الطَّعَامُ فِي مَعِدَّتِهِ، وَشَكَى بَعْدَهَا مِنْ مَقْعَدَتِهِ.
 تَجَشَّأَ وَعَاذَ بِالْهُوَاعِ^(٦)، فَمَلَأَ كُلَّ صُوعٍ^(٧). وَأَخَذَ مِنْ رَطْبِ
 الْحَنْظَلِ وَالشَّيْحِ^(٨)، حَتَّى يَهْدَأَ وَيَسْتَرِيحَ. وَاعْتَادَ ذَلِكَ حَتَّى أَرْهَقَهُ
 عُسْرًا، وَجَعَلَ عَاقِبَةَ أَمْرِهِ خُسْرًا. وَكَانَتْ الْقَاضِيَّةُ، فِي اللَّيْلَةِ
 الْمَاضِيَّةِ. وَلَمْ يَنْفَعَهُ نَافِعٌ، وَلَا وَجَدْنَا لِدَائِهِ مِنْ دَافِعٍ. انْظُرْ بِاللَّهِ
 يَا حَارِثُ إِلَيْهِ، وَتَأَمَّلْهُ وَأَشْفِقْ عَلَيْهِ. طَوَّلُهُ كَعَرَضِيهِ، وَكَتَفُهُ قَرِيبَةٌ
 مِنْ أَرْضِهِ. لَا يُصَدِّقُ خَلْدِي^(٩)، أَنَّ هَذَا وَلَدِي! قُلْتُ ذَلِكَ وَهُوَ
 حَوْلِي، أَظْنُهُ لَا يَسْمَعُ قَوْلِي.

(١) كناية عن الجوع.

(٢) مِنْ فَمِهِ، وَمِنْ غَيْرِ فَمِهِ.

(٣) اللَّبَنُ الشَّخِينُ الْمُتَخَثِّرُ.

(٤) الْمُخْتَلَطُ بِالْمَاءِ.

(٥) ثَارَ.

(٦) الْقِيءَ.

(٧) الصُّوعُ: إِنَاءُ الشُّرْبِ.

(٨) نَبْتَانِ مُرَّانِ مُسْهَلَانِ.

(٩) قَلْبِي.

فَلَمْ يَرْعُنِي إِلَّا بُجْرَتُهُ^(١) وهي تهتز، في شَرَزٍ^(٢) وشَخَزٍ^(٣). ثُمَّ
أَخَذَ يَقُولُ، بِصَوْتٍ كَالضَّغِيلِ^(٤) :

إِنِّي شُفِيتُ الْيَوْمَ بِالْمُجَالِغَةِ^(٥)

وَضَحِكٍ مِنْ هَذِهِ الْمُبَالِغَةِ

بِأَبِيهِ اقْتَدَى بِذَا وَلَدُ هَيٍّ

كَيْفَ أَلَامُ فِي اقْتِدَائِي بِأَبِي؟!

فَنَاشِيءُ الْفَتَيَانِ نَاشِيءٌ عَلَى

مَا عَوَّدَ الْوَالِدُ فِيمَا قَدْ خَلَا

رَأَيْتُ وَالِدًا أَكُولًا وَمَعَهُ

أُمًّا أَكُولًا لِلَّذِي قَدْ جَمَعَهُ

فَاحْكُمْ - هنا - بِالْقِسْطِ يَا ابْنَ كَلْدَةٍ

وَلَا تُمَارِ وَالِدًا وَوَلَدَهُ

(١) سرته.

(٢) صعوبة.

(٣) عناء.

(٤) الضَّغِيلُ كَأَمِيرٍ: صَوْتُ فَمِ الْحِجَامِ: إِذَا امْتَصَّ مِخْجَمَهُ.

(٥) شدة الضحك.

فَلَمَّا اسْتَمَعَ الْحَارِثُ إِلَى كَلَامِهِمَا، عَجِبَ مِنْ بَيَانِهِمَا. قَالَ:
أَيُّهَا الْوَالِدُ وَالْوَلَدُ، اجْعَلَا مَا أَقُولُ فِي الْخَلْدِ. الْمَعِدَةُ بَيْتُ الدَّاءِ،
وَالْحِمِيَّةُ رَأْسُ الدَّوَاءِ.

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَلِيمًا مِنَ الْأَذَى

وَيَبْطُنَكَ مَهْزُولًا وَقَلْبَكَ سَالِمًا

لِسَانُكَ لَا تَأْكُلْ بِهِ كُلَّ دَاخِلٍ

عَلَيْهِ وَلَا تُكْثِرْ عَلَيْهِ الْمَطَاعِمَا

وَنَفْسُكَ إِنْ أَبَدْتَ إِلَيْكَ مَحَاسِنًا

إِلَى كِبْسَةِ بِلَالِ الْخَمِّ فَلَتَكَ صَائِمًا

وَدَاوِمَ عَلَى تَشْمِيسِكَ الْجِسْمِ ضَحْوَةً

وَمَشْيٍ وَكُنْ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ نَائِمًا

وَلَا تَتْرُكِ الْمَشْيَ الْحَيْثُ سُوَيْعَةً

فَذَلِكَ نُصْحِي يَا بَنَ بَيٍّ وَيَا أَبْنَمًا

المَقَامَةُ الأَبْطَحِيَّةُ

قال أبو العيين:

عَزَمْتُ عَلَى أَنْ أَطْفَحَ^(١)، إِلَى أَرْضِ الأَبْطَحِ^(٢)، وَأَنَا طَاوِ^(٣)
 طَلَنْفَحُ^(٤). فَمِلْتُ بِالْعِشَاءِ^(٥)، بَعْدَ صَلَاةِ العِشَاءِ. إِلَى ذَاتِ
 الْيَمِينِ، فِي صُحْبَةِ أَفَقٍ^(٦) أَمِينٍ. فَكَسَرْنَا سَوْرَةَ الضَّرَمِ^(٧)، بِخُبْزِ
 وَلَحْمِ بُرْمٍ^(٨). وَحَوْقَلَةٍ^(٩) شَرَابٍ، يُقَالُ لَهُ: سِفْنِ آبٍ^(١٠). ثُمَّ

(١) أَرْتَفِعُ.

(٢) مَوْضِعٌ بِمَكَّةَ.

(٣) جَائِعٌ.

(٤) تَعِبٌ. قَالَ الشَّاعِرُ:

وَنَصْبِحُ بِالْغَدَاةِ أَثَرُ شَيْءٍ وَنُمْسِي بِالْغَدَاةِ طَلَنْفَحِينَا

(٥) النَّاقَةُ الَّتِي فِي بَيَاضِهَا شُقْرَةٌ، وَهِيَ كُنَايَةٌ عَنْ نَوْعٍ مِنَ السَّيَارَاتِ.

(٦) الأَفَقُ: مَنْ بَلَغَ الْغَايَةَ فِي الْعِلْمِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْخَيْرِ، فَعَلَهُ: أَفَقَ، كَضَرْبِ.

(٧) شِدَّةُ الْجُوعِ.

(٨) جَمْعُ بَرْمَةٍ: الْقِدْرُ مِنَ الْحَجَارَةِ.

(٩) قَارُورَةٌ طَوِيلَةُ الْعُنُقِ.

(١٠) شَرَابٌ مَعْرُوفٌ، يَقُولُ عَنْهُ خَبْرَاءُ التَّغْذِيَةِ: أَقْلُ الْأَشْرِبَةِ الْمَشَابِهَةِ سُوءًا؛

لِخُلُوهُ مِنَ الْمَادَّةِ الْمَلُونَةِ، وَيتداوَى بِهِ لِلنَّفْخَةِ وَالْحُمُوضَةِ وَالْهَضْمِ،

وَلَكِنْ لَهُ أَثَرٌ تَعَوُّدِيًّا.

سَلَّمْنَا حِسَابَ الْمَطْعَمِ، لِمَنْ أَطْعَمَ. وَمَضَيْنَا مُهْطِعِينَ^(١)، إِلَى قَوْمٍ مُجْتَمِعِينَ. قَدْ نَصَبُوا لَهُمْ مَنِيرًا، وَمُسْمِعًا^(٢) وَمُكَبِّرًا^(٣). وَقَالَ لَنَا بَعْضُ مَنْ عَرَفَ: هَؤُلَاءِ فِتْيَانُ الْحِرَفِ^(٤). اجْتَمَعُوا لِلْمُفَاخَرَةِ وَالْمُسَاجَلَةِ^(٥)، وَالْمُطَاوَلَةِ وَالْمُفَاضَلَةِ. وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يَفْخَرُوا بِلِسَانِ الْقَرِيضِ، وَادَّعَاءِ عَرِيضِ. فَتَقَدَّمَ النَّجَارُ، يُخَاطِبُ الْحَضَارَ، فَقَالَ:

أَنَا ابْنُ الَّذِي لَوْلَا صِنَاعَتُهُ لَمَّا

تَمَثَّلَتِ الْأَلْوَا حُ فِي سُفْنِ الْبَحْرِ

فَانْتَصَبَ الْحَدَّادُ فِي الْحَالِ، وَتَقَدَّمَ فَقَالَ:

أَنَا وَلَكِ الْحَدَّادُ لَوْلَا حَدِيدُهُ

لَأَفْسَدَ يَأْجُوجٌ وَمَأْجُوجٌ بِالزُّبْرِ^(٦)

ثُمَّ وَثَبَ كَيْسٌ^(٧)، يُقَالُ لَهُ الْمُلَيْسُ^(٨)، فَقَالَ:

(١) مسرعين.

(٢) مَا يُسَمَّى بِالسَّمَاعَةِ.

(٣) مَا يُسَمَّى: لَاقِطُ الصَّوْتِ، وَالْأَقْوَمُ أَنْ يُسَمَّى: الْمِصْدَحِ.

(٤) جَمْعُ حِرْفَةٍ: الْمِهْنَةُ الَّتِي يُتَّقِنُهَا صَاحِبُهَا.

(٥) الْمُبَارَاةُ وَالْمُفَاخَرَةُ.

(٦) جَمْعُ زَبْرَةٍ، وَهِيَ قِطْعُ الْحَدِيدِ. تُسَكَّنُ الْيَاءُ فِي الْجَمْعِ، وَتُضَمُّ.

(٧) عَاقِلٌ.

(٨) كَلِمَةُ الْمُلَيْسِ يَشْبَهُ أَنْ تَكُونَ عَرَبِيَّةً، لَكِنْ لَا وَجُودَ لَهَا فِي «الْقَامُوسِ».

أنا ابن الذي يكسو البيوت مَلَاسَةً

وثوبًا على أبوابها وعلى الجُذُرِ^(١)

فهبَّ السِّمَكْرِيُّ، كأنَّه البُحْتُريُّ^(٢)، فقال:

أنا السِّمَكْرِيُّ وابنُ السَّماكِرةِ الألى

أقاموا حَدِيدَ السَّائِرَاتِ^(٣) التي تَجْرِي

ثُمَّ دَنَا الطَّيَّارُ، وهو غَيَّارٌ^(٤)، فقال:

أنا وَلَدُ الطَّيَّارِ أُسْبَحُ فِي الْفِصَا

وَأُسْبِقُ جَرِيَّ الرِّيحِ وَالسُّحْبِ وَالطَّيْرِ

فَقَفَزَ الْإِسْكَافِيُّ^(٥)، كَالطَّيْرِ الْعَافِي^(٦)، وقال:

أنا وَلَدُ الْإِسْكَافِ لَوْلَاهُ قُطِعَتْ

بِوَاطِنِ أَقْدَامِ الْخَلِيقَةِ فِي السَّيْرِ

(١) جمع جدار، ويجوز في الدَّالِ الضَّمُّ والسُّكُونُ.

(٢) الشاعر المشهور، وكان يُلقبُ شِعْرُهُ فِي خِيَلَاءِ.

(٣) جمع سائرة، ويقال لها: سَيَّارة.

(٤) كثير الغيرة.

(٥) مُصْلِحُ النُّعَالِ وصانعها.

(٦) كلُّ طَالِبٍ رَزَقَ يَقَالُ لَهُ: الْعَافِي.

فاستَوْفَزَ^(١) السَّبَّاکُ، يَريْدُ الدَّرَاكُ^(٢)، فَقَالَ:

أنا ابنُ الذي سَوَّى مَسَالِكَ مَائِكُمْ

لِتَجْرِيَ فِي جَوْفِ الْأَنْايِبِ لِلطُّهْرِ

فائْتَبَهَ الْخَبَّازُ، وَقَفَزَ كَالْبَازِ، وَقَالَ:

أنا وَلَدُ الْخَبَّازِ، وَالْفُؤْلُ صَنْعَةُ

لَدَيَّ، يَقُومُ النَّاسُ حَوْلِي مِنَ الْفَجْرِ

فَأَقْبَلَ ذُو الْكَهْرَبَا، كَنَسِيمِ الصَّبَا^(٣)، فَقَالَ:

أنا الْكَهْرَبِيُّ أَخْرَجْتُكُمْ حِينَ جِئْتُمْ

إِلَى النُّورِ بِالمِصْبَاحِ فِي اللَّيْلِ إِذْ يَسْرِي

فَمَا لَبَثَ الطَّبَّاخُ، أَنْ هَبَّ بِلَا تَرَاخٍ، فَقَالَ:

أنا الطَّبَّاخُ النَّدْبُ^(٤) الَّذِي قَدْ دَعَوْتُكُمْ

- إِذَا كَانَ لِي قَدْرٌ لَدَيْكُمْ - إِلَى قِدْرِي

(١) استعدَّ للقيام.

(٢) يَريْدُ اللَّحَاقَ.

(٣) الرِّيحُ، وَتَنْتِيهَا: صَبَّانٌ وَصَيَّانٌ، وَتَجْمَعُ عَلَى صَبَّاتٍ وَأَصْبَاءَ.

(٤) الْخَفِيفُ الظَّرِيفُ.

فشكر الحاضرون الخيرة، هؤلاء الفتيان العشرة. وعجبوا من
 حسن بيانهم، وفصاحة لسانهم. وشغفهم بأعمالهم، وصلاح
 أحوالهم. وقاموا كلهم أجمعون أكتعون، أبتعون أبصعون. إلى
 جفان^(١) كالجواب^(٢)، من كباب الكباب^(٣). ملئت باللحوم
 والكامخ^(٤)، عند الفتى الطابخ، والكريم الشامخ. وانقلبوا
 شاكرين، لرّبهم ذاكرين.

(١) جمع جفنة: الصّحفة الكبيرة.

(٢) جمع جابية: الحوض الذي يجتمع فيه الماء.

(٣) الكباب بفتح الكاف معروف، وأما الكباب بالضّم؛ فهو الكثير من الإبل
 والغنم.

(٤) بفتح الميم: إدام.

العقامة المكيّة

قال أبو العينين:

شَخَصْتُ مِنَ الْعَوَالِي، فِي بَعْضِ اللَّيَالِي. أَمْشِي مَشْيَ حَيْثُ^(١)، وَأُرَدِّدُ مَا أَحْفَظُ مِنْ حَدِيثٍ. حَتَّى إِذَا الصُّبْحُ تَنَفَّسَ، رَكِبْتُ رَاكِتِي الْعَدَبَسَ^(٢). وَقَصَدْتُ ذَاتَ السُّتْرِ^(٣)، وَصَلَّيْتُ الْفَجْرَ. وَمَكُنْتُ فِي الْحِجْرِ^(٤)، ابْتِغَاءَ الْأَجْرِ. ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى بَعْضِ الْأَسْوَاقِ، وَأَوْحَيْتُ^(٥) إِلَى أَبِي إِسْحَاقَ. فَرَدَّ عَلَيَّ بِصَوْتِهِ الرَّخِيمِ، مِنْ سَوَاطِئِ الرَّقِيمِ^(٦). وَطَلَبْتُ إِلَيْهِ مُوَافَقَتِي لِمُرَافَقَتِي. فَلَمَّا التَّقِينَا بِأَجْيَادِ^(٧)، وَالنَّاسُ يَقُولُ: جِيَادُ. تَعَانَقْنَا بِهَا^(٨) وَمَشِينَا،

(١) سريع.

(٢) هو الشَّدِيد الموثق الخلق من الإبل، وأعني به نوعاً من السيارات.

(٣) الكعبة.

(٤) حجر الكعبة.

(٥) هتفتُ به.

(٦) المراد: هاتفه، وفي الحديث: «لا تقوم الساعة حتى لا يكلم الرجلُ عذبة سوطه». جزء من حديث أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم من حديث أبي سعيد الخدري رَوَاهُ اللَّهُ عَنْهُ.

(٧) مكان معروف، قريب من الحرم.

(٨) أي: تعانقنا بموضع (أجْيَاد)، وبالأجْيَاد: جمعُ جيد، وهو الرقبة، فاستخدم الضميرُ للمعنيين.

وَالنَّاسُ مِنْ خَلْفِنَا وَمِنْ بَيْنِ يَدَيْنَا. فَلَمَّا طَعِمْنَا مَعْصُوبًا^(١)، وَسَمْنَا مَسْكُوبًا. عَزَمْنَا عَلَى النَّهْوضِ، إِلَى عَوَارِضِ الْعَرُوضِ^(٢). لَنَرَى مَعَالِمَهَا، وَنُبْصِرَ عَوَالِمَهَا. فَأَخَذْنَا ذَاتَ الْيَمِينِ، إِلَى بَيْتِ الْأَمِينِ. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّفَ وَكَرَّم. وَصَعَدْنَا نَحْنُ وَبَعْضُ النَّوَيْسِ^(٣)، إِلَى جَبَلِ أَبِي قُبَيْسٍ. وَهُوَ أَحَدُ الْأَخْشَيْنِ، فِي قَوْلِ الْأَكْثَرِينَ. ثُمَّ انْحَدَرْنَا إِلَى شِعْبِ عَامِرٍ، جِوَارَ الْبَيْتِ الطَّاهِرِ. وَهُوَ يَصُبُّ عَلَى الْعَزَّةِ، يَا أبا عَزَّةَ. ثُمَّ طَوَيْنَاهَا مَاشِينَ، غَيْرَ نَاسِينَ.

فَنَادَى أَبُو إِسْحَاقَ: اللَّحَاقَ .. اللَّحَاقَ! فَقُلْتُ لِلْقَوْمِ: يَا قَوْمُ، هَذَا خَرِيتُنَا^(٤) الْيَوْمَ. فَلْتَكُنْ إِمَامَنَا، وَسِرْ أَمَامَنَا. فَقَالَ: أَخْرَجْتَنِي؛ إِذْ أَخْرَجْتَنِي. فَقَدْ يَكُونُ مَعَ التَّقَدُّمِ، شَيْءٌ مِنَ التَّتَدُّمِ. غَيْرَ أَنِّي أَسْتَعِينُ بِرَبِّ الْبَرِّيَّاتِ، فِي هَذِهِ الْحَارَاتِ. أَتُرِيدُونَ صُفْيَ السَّبَّابِ، أَمْ حَارَةَ الْبَابِ؟ فَقُلْتُ: الصُّفْيَى .. الصُّفْيَى، يَا أُخِيَّ أَبِي^(٥). وَحِينَ بَلَعْنَا مَسْجِدَ الْجَنِّ، قَالَ طَاعِنٌ فِي السَّنِّ. أُرِيدُ

(١) طعامٌ مُجَبَّبٌ معروف، يُفْتُ فيه الخبزُ، ويخلط بالموز ويمرس، ويجعل عليه السَّمَنُ البلديّ، ومنهم من يزيد عليه العسل، أو القشطة أو التمر أو جميع ذلك.

(٢) من أسماء مكة.

(٣) تصغير ناس.

(٤) الماهر بالدلالة على الطريق.

(٥) أي: يا عمي.

أَنْ أَتُوبُ^(١)، فَقَدْ مَسَّنِيَ اللَّغُوبُ^(٢). فَأَنْطَلَقْنَا صَوْبَ^(٣) الْحَجُّونَ
وَكِدَا^(٤)، عَلَى مَهْلٍ وَهُدًى. فَقَالَ قَائِلٌ مِنْ بَعِيدٍ؛ إِذْ أَلْقَى السَّمْعَ
وَهُوَ شَهِيدٌ: كَيْفَ ضَبَطَ الْحَرْفَيْنِ، مِنْ هَذَيْنِ؟ فَقُلْتُ: مَا هَذَانِ،
يَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ؟ فَقَالَ: الْحَاءُ وَالْكَافُ، يَا أَخَا الْإِلْطَافِ.
فَشَدَدْتُ الْحَاجِزَ^(٥)، وَأَنْشَدْتُ قَوْلَ الرَّاجِزِ:
إِنَّ كَدَاءً وَالْحَجُّونَ انْفَتَحَا

لَمَّا أَتَاهُمَا نَبِينَا ضُحًى
وَقَبَلَ الْحَجُّونِ مَسْجِدُ الشَّجَرَةِ، وَلَيْسَ بِالَّذِي بَايَعَ فِيهِ
الْخَيْرَةَ. وَدُونَهُمَا الْحَزُورَةُ، عَلَى زِينَةِ قَسُورَةٍ^(٦). وَهُوَ الَّذِي فِيهِ
الْمُنْحَنَى، بَيْنَ الْحَجُّونِ وَمِنَى. وَذَكَرْتُ فِي الْمَعَابِدَةِ، هَذِهِ
الْفَائِدَةُ.

وَالضَّرْبَتَانِ فِي تَيِّمٍ رُفِعَ
فِي الدَّارِ^(٧) .. وَالصَّوَابُ: وَقَفٌ لِلْوَرَعِ^(٨)

(١) أرجع.

(٢) التعب.

(٣) جهة.

(٤) بفتح الحاء والكاف، كما سيأتي.

(٥) الحزام.

(٦) اسم الأسد.

(٧) الدارقطني.

(٨) أي: الصَّوَابُ أَنَّهُ مَوْقُوفٌ عَلَى ابْنِ عَمْرِو. وَكَانَ مِنْ أَوْرَعِ الصَّحَابَةِ.

وَالْغُسْلُ عَنْ جَنَابَةٍ وَالْجُمُعَةُ

وَالْحَجْمُ^(١)، مَيِّتٍ = صَحَّ عَنْ خُزَيْمَةَ^(٢)

فَقَامَ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ، رَجُلٌ قَمَقَامٌ^(٣). وَقَالَ: مَا دَخَلُ هَذَا
الْكَلَامِ، يَا ابْنَ الْهُمَامِ؟ فَقُلْتُ: الْمَذَاكِرَةُ، يَا ابْنَ الْمَاكِرَةِ!!

ثُمَّ وَافَيْنَا الْأَبْطَحَ فِي التَّاسِعَةِ^(٤)، وَأُبْنَا^(٥) مِنْ بَعْدِهِ إِلَى الْجَامِعَةِ.
وَانْصَرَفَ الْجَمَاعَةُ، فِي تِلْكَ السَّاعَةِ. وَودَّعْتُ أَبَا إِسْحَاقَ،
وَتَوَاعَدْنَا عَلَى التَّلَاقِ.

(١) الْحِجَامَةُ.

(٢) أَعْنِي بِهِ ابْنَ خُزَيْمَةَ.

(٣) سَيِّدٌ.

(٤) فِي السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ.

(٥) رَجَعْنَا.

العقامة الجزولية

قال أبو العينين:

سِرْتُ أَنَا وَبَعْضَ الصُّحَابِ، إِلَى بَعْضِ الرَّحَابِ^(١)، نَقْتَفِي أَثَرَ
ابْنِ الْخَشَّابِ^(٢). الشَّحْشَحُ^(٣) الْمِصْقَعُ^(٤)، وَالنَّحْوِيُّ الْأُرْوَعُ^(٥)،
وَالْخَطِيبُ الْبَلْتَعُ^(٦). فَأَلْفِينَاهُ قَائِمًا فِي الْكَثَرِ^(٧)، بَارَزَ الصَّدْرُ،
وَجْهُهُ كَالْبَذْرِ. يُلْقِي عَلَى الْجَمْعِ جَوَاهِرَ لَفْظِهِ، وَنَوَادِرَ حِفْظِهِ.
لَا يَنْدُ^(٨) مِنْهُ غَرِيبٌ، وَلَا يَفْدَحُهُ^(٩) عَجِيبٌ. فِي إِصَابَةٍ وَأَصَالَةٍ،
وَمَهَابَةٍ وَجَلَالَةٍ. وَقَدْ أَدَارَ لِلْقَوْمِ رَحَاهُ، كَأَنَّهُ إِمَامُ النُّحَاةِ. يَرْفَعُ

(١) الرَّحَابُ فِي الْأُودِيَةِ: مَسِيلُ مِيَاهِهَا، وَاحِدَتُهَا: رَحْبَةٌ بِالسُّكُونِ وَبِالْفَتْحِ.

وَمَوَاضِعُ مُتَوَاطِئَةٍ يَسْتَنْقِعُ فِيهَا الْمَاءُ، وَهِيَ أَسْرَعُ الْأَرْضِ نَبَاتًا.

(٢) الْخَطِيبُ الْمَاهِرُ.

(٣) الَّذِي لَا يَرْتَجُ فِي خُطْبَتِهِ، وَلَا يَرْتَجِعُ فِي كَلَامِهِ.

(٤) الْبَلِغُ الْفَصِيحُ، الَّذِي لَا تَعْتَرِضُ لِسَانَهُ عُقْدَةٌ، وَلَا تَتَحَيَّفُ بَيَانُهُ سَقَطَةٌ.

(٥) الْأُرْوَعُ: الرَّجُلُ الْكَرِيمُ ذُو الْجِسْمِ وَالْجَهَارَةِ وَالْفَضْلِ وَالسُّودُدِ. وَقِيلَ:

هُوَ الْجَمِيلُ الَّذِي يَرُوعُكَ حُسْنُهُ، وَيَعْجَبُكَ إِذَا رَأَيْتَهُ.

(٦) الْحَازِقُ بِكُلِّ شَيْءٍ.

(٧) الْوَسْطُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

(٨) لَا يَنْفَلِتُ.

(٩) لَا يَثْقُلُ عَلَيْهِ.

وَيَنْصَبُ، وَيُجْلِجِلُ بِصَوْتِهِ وَلَا يَنْصَبُ^(١)، كَالْوَابِلِ^(٢) حِينَ يَنْصَبُ. يَفْتَحُ يَدَيْهِ إِذَا شَرَحَ، وَيَخْفِضُهُمَا إِذَا رَكَحَ^(٣). فَإِذَا جَزَمَ سَكَنَ، وَإِذَا سَكَنَ رَكَنَ.

وَرُبَّمَا أَلْقَى رِدَاءَهُ، وَبَقِيَ كَالْآءِ^(٤). وَلَا تَسْأَلُنِي عَنْ عِمَامَتِهِ الْمُسَوَّدَةِ بَعْدَ بَيَاضٍ، إِذْ ذَرَقَ^(٥) فِيهَا الطَّيْرَ وَبَاضَ. فَقَدْ كَانَ مِنْ هِجِيرَاهُ وَدَيْدَنِهِ^(٦)، أَنْ لَا يَخْلَعُ ثَوْبًا عَنْ بَدَنِهِ. حَتَّى يَتَمَزَّقَ فَوْقَهُ بِلَا^(٧)، أَوْ يَغْسِلَهُ مَاءَ الْعَمَامِ وَلَا^(٨). وَلَا نَدْرِي أَكَانَ ذَلِكَ مِنْهُ غَفْلَةً، وَقَلَّةَ اهْتِبَالٍ وَذَهْلَةٍ^(٩). أَمْ كَانَ مَصْنُودَ الْيَدِ^(١٠)، كَثِيرَ الْعَدِّ^(١١). حَرَجَ اللَّبَانُ^(١٢)، جَامِدِ الْبَنَانِ. وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ يَتَفَجَّرُ

(١) لَا يَتَعَبُ.

(٢) الْمَطَرُ الْغَزِيرُ.

(٣) اعْتَمَدَ وَاسْتَنْدَ.

(٤) الْآءُ: شَجَرَةٌ، تَجْمَعُ عَلَى آءٍ.

(٥) يُقَالُ: ذَرَقَ الطَّائِرُ: إِذَا أَلْقَى سُلَاحَهُ.

(٦) عَادَتُهُ.

(٧) مِنْ بَلِيٍّ، إِذَا خَلَقَ وَرَثًا.

(٨) تِبَاعًا، أَصْلُهُ: وَلَاءٌ، مُصَدَّرٌ وَالِي مَوَالَاةٍ وَوَلَاءٍ.

(٩) قَلَّةُ عَنَايَةٍ وَذَهْوُلٍ.

(١٠) مَقِيدُ الْيَدِ.

(١١) أَيُّ: يَعْدُدُ مَالَهُ فِي كُلِّ حِينٍ كَمَا يَفْعَلُ الْحَرِيصُ الْبَخِيلُ.

(١٢) حَرَجَ اللَّبَانُ: ضَيَّقَ الصَّدْرَ.

عِلْمًا، وَيتَفَيِّضُ فَهْمًا. مُشَارِكًا فِي عِلُومِ السُّنَّةِ، وَلِقِرَاءَتِهِ رِثَةً^(١).
وَقَدْ هَزَّ طَائِفَةً مِنَ الْقَامَاتِ، كَالْتَّبَرِيزِيِّ وَصَاحِبِ الْمَقَامَاتِ. بَرْدٌ
مَوْرُودٌ، وَلَفْظٌ مَسْرُودٌ، وَعِلْمٌ مَمْدُودٌ.

فَلَمَّا أَبْصَرَ دَهْشَتَنَا، وَحِرْصَنَا وَلَهْفَتَنَا. قَالَ: شُكْرًا أَيُّهَا
الرَّهْطُ، عَلَى هَذَا الْوَأْطِ^(٢). وَأَلْمَحُ فِيكُمْ زَكَاءً، وَفِطْنَةً وَذَكَاءً.
فَإِنِّي حِينَ تَلَوْتُ شَوَاهِدَ النَّحْوِ، عَلَى نَحْوِ مِنَ النَّحْوِ، نَحَوْتُمْ هَذَا
النَّحْوَ^(٣). وَأُرِيدُ أَنْ أُلْقِلِقَ^(٤) الْأَذْهَانَ، وَأَقْلِقِلَ^(٥) الْوَسْتَانَ. يَا
مَعَشَرَ مَنْ حَضَرَ، وَتَسَمَّعَ وَنَظَرَ. سَأُنْشِدُكُمْ أَبْيَاتًا عَشْرَةً، فِيهَا
شَوَاهِدُ مُنْشَرَّةٍ. وَلِكُلِّ شَطْرِ غَمْرَةٍ، شَاهِدٌ شَعْرَةٍ^(٦). شَاعِرٌ شَعْرَةٍ،
فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ.

(١) ذكر في ترجمته أنه كان حسن القراءة للحديث.

(٢) الوأط: الزيارة، وأط، كَوَعَدَ: زار.

(٣) للنحو معانٍ، منها: القصد، والجهة، والقدر، والمثل. وجمعها قول بعضهم:

نَحُونَا نَحْوُ دَارِكٍ يَا حَبِيبِي وَجَدْنَا نَحْوَ أَلْفٍ مِنْ رَقِيبٍ
وَجَدْنَا هُمْ جِياعًا نَحْوَ كَلْبٍ تَمَتُّوا مِنْكَ نَحْوًا مِنْ شَرِيبٍ

(٤) أحرَّك.

(٥) أحرَّك نائمكم.

(٦) قاله.

قالوا: أَبْصِرْ بِنَا وَأَسْمِعْ، وَقَدْ شَوْقَتْنَا فأسْرِعْ. قال: أَبْدَأُ بِعَوْنِ
المَعْبُودِ، بِقَوْلِ زَهِيرِ بْنِ مَسْعُودٍ:
فَخَيْرٌ نَحْنُ عِنْدَ النَّاسِ مِنْكُمْ

إِذَا الدَّاعِي المُثَوِّبُ قال: يَا لَا

قلنا: الشَّاهِدُ فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ، كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ لِذَاكِيرِهِ. إِذْ جَعَلَ
الْوَصْفَ مُبْتَدَأً^(١)، وَلَمْ يَكُنْ نَفْيٌ وَجِدًا. وَ«يَا لَا» أَصْلُهَا: يَا لَفُلَانُ،
لَا تَخْفَى عَلَى الْيَقْظَانِ. فَهَاتِ الثَّانِي، مِنْ جَنَّاكَ الدَّانِي.

فَأَنشَدَ فِي رَوِيَّةٍ، قَوْلَ جَرِيرِ بْنِ عَطِيَّةٍ:

لَوْ شِئْتُ قَدْ نَقَعَ الْفَوَادُ بِشَرِيَّةٍ

تَدْعُ الْحَوَائِمَ^(٢) لَا يَجِدُنَ غَلِيلاً

فَعَا جَلُوهُ بِالرَّدِّ: هَذَا جَوَابُ «لَوْ» صُدِّرَ بِـ «قَدْ». وَهُوَ قَلِيلٌ بَل
نَادِرٌ، كَمَا أَنْتَ خَابِرٌ^(٣)، وَضُمَّ الْجِيمُ فِي الْآخِرِ، عَلَى لُغَةِ بَنِي
عَامِرٍ^(٤).

(١) فِي قَوْلِهِ: «فَخَيْرٌ نَحْنُ»، «خَيْرٌ» مُبْتَدَأٌ، وَهُوَ وَصْفٌ، وَلَمْ يَسْبِقْهُ نَفْيٌ وَلَا
اسْتِفْهَامٌ. وَ«نَحْنُ» خَيْرٌ، وَمِنَ النَّحْوِيِّينَ مَنْ خَرَّجَهُ تَكْلُفًا عَلَى أَنَّهُ خَيْرٌ،
وَ«نَحْنُ» مُبْتَدَأٌ.

(٢) الطَّيُورُ الْحَائِمَةُ.

(٣) يُقَالُ: رَجُلٌ خَابِرٌ وَخَيْرٌ وَخَيْرٌ بِالشَّيْءِ: إِذَا كَانَ عَالِمًا بِهِ.

(٤) فِي كَلِمَةِ «يَجِدُنَ» اللَّغَةُ الْفُصْحَى بِكُسْرِ الْجِيمِ، وَبَنُو عَامِرٍ يَضْمُونَهَا.

قال: أَحْسَنْتُمْ وَأَجْمَلْتُمْ، وَسَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ. دُونَكُمْ الْبَيْتُ
الثَّالِثُ، يَا بَنِي يَافِثٍ^(١). وَهُوَ قَوْلُ أَبِي الْعِيَالِ الْهَذَلِيِّ:

حَتَّى إِذَا رَجَبٌ تَوَلَّى وَانْقَضَى

وَجُمَادَيَانِ وَجَاءَ شَهْرٌ مُقْبِلٌ

فَقَالَ مِنْهُمْ: نَدْبٌ لَبِيبٌ، فِيهِ أَنَّ الْوَائِلَ لَغَيْرِ التَّرْتِيبِ. إِذْ عَطِفَ
جُمَادَى عَلَى رَجَبٍ، فَلَا عَجَبَ وَلَا رَجَبَ^(٢). وَثَانِي الشَّاهِدِينَ:
تَثْنِيَةٌ جُمَادِيَيْنِ^(٣).

قَالَ لَهُمْ: شَرَحْتُمْ صَدْرِي، وَأَعْظَمْتُمْ قَدْرِي. وَزَيْنْتُمْ
الْمَرَابِعَ^(٤)، فَهَآكُمُ الرَّابِعُ. وَهُوَ لِلْمَلِكِ الضَّلِيلِ، وَالشَّاعِرِ
الْفَحِيلِ^(٥):

حَلَفْتُ لَهَا بِاللَّهِ حِلْفَةً فَاجِرٍ

لَنَامُوا فَمَا إِنْ مِنْ حَدِيثٍ وَلَا صَالِي

(١) يافث: ابن نوح عليه السلام، وهو أبو الترك وبأجوج ومأجوج.

(٢) يقال: رَجَبٌ كَفَرِحَ: فَرِحَ وَاسْتَحْيَا، وَالْمَصْدَرُ: الرَّجَبُ.

(٣) يرى النحاة أَنَّ الْعَلَمَ إِذَا تُنِّيَ أَوْ جُمِعَ تُسَلَّبُ عَلَمِيَّتُهُ، وَاسْتَشْنَوْا مِنْ ذَلِكَ
أَلْفَاظًا، مِنْهَا: جُمَادَى.

(٤) أَمَاكِنُ الْإِقَامَةِ.

(٥) الفحل، وهو امرؤ القيس.

فخاضوا في البيت وهاموا، وقعدوا وقاموا، والشاهد في قوله: «لناموا». والأصل أن يأتي في الكلام، بـ «قد» بعد اللام^(١). والثاني - وهو عليهم عمى - حذف خبر «ما». فتذكروا ما نسوه، ثممت استخمسوه^(٢).

فاستوقف هنيئة^(٣)، وأنشد قول الحطيئة:

ثلاثة أنفس وثلاث ذود

لقد جار الزمان على عيالي

قالوا: نعم، كلا الشاهدين في الصدر، يا جليل المكانة والقدرة^(٤). أتث فيه المذكر، وذكر فيه المؤنث فذكر^(٥). قال أوسطهم - وهو الخامس - : فما البيت السادس؟

(١) المراد: أن البيت بشاهديه لم يفطنوا إلى موضع الاستشهاد منه هذه المرة، وإيضاح الشاهد الأول: أن القياس في مثل القسم المذكور أن يكون الجواب مصدرًا بـ «قد»، أي: لقد ناموا. والشاهد الثاني: أن «ما» حذف خبرها؛ تشبيهًا بـ «لا»، التي جاءت بعدها، والتقدير: فما حديث، ولا صال مُصنغ إلى حديث.

(٢) أي: طلبوا بيتًا خامسًا.

(٣) أي: شيئًا يسيرًا.

(٤) يشيرون إلى خروجه عن شرطه الأول: الملتزم بشاهد في كل شرط.

(٥) وذلك في قوله: «ثلاثة أنفس»، الأصل: أن يقول: ثلاث أنفس؛ لأن النفس مؤنثة، وكذلك قوله: «ثلاث ذود» الأصل أن يقول: ثلاثة ذود؛

فأنشدهم قولَ عَبْدٍ يَغُوثُ^(١):

وَتَضَحَكُ مِنِّي شَيْخَةٌ عَبْشَمِيَّةٌ^(٢)

كَأَنَّ لَمْ تَرَى قَبْلِي أَسِيرًا يَمَانِيَا

فبادَرَ بالجواب، شيخٌ مِنْ أُولِي الْأَلْبَابِ. وقال في صَرْخَةٍ:
دَخَلَتِ التَّاءُ عَلَى شَيْخَةٍ. وَثَبَتَ الْأَلْفُ مَعَ الْجَازِمِ، لِلأَمْرِ
الْحَازِمِ^(٣). فَأَلْقَى عَلَيْنَا السَّابِعَ، فَكُلُّنَا لَكَ سَامِعٌ.

فأنشدهم مِنَ الرَّجَزِ الْجَلِيِّ، لِجَرِيرِ الْبَجَلِيِّ:

يَا أَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ يَا أَقْرَعُ

إِنَّكَ إِنْ يُصْرَعُ أَخُوكَ تُصْرَعُ

فَقَالَ بَعْضُ الْفُضَلَاءِ وَفِيهِ شَيْبٌ وَجَلَاءٌ^(٤):

إِلْغَاءُ شَرْطٍ، حَذْفُ أَلْ

جَوَابُ مَا عَنْهُ تَسَلُّ^(٥)

= لِأَنَّ الدَّوْدَ مُذَكَّرًا، وَلَكِنَّهُ جَازٍ؛ لِأَنَّهُ عَنِ الْنَفْسِ: الشَّخْصِ. وَأَمَّا
الدَّوْدُ فَاسْمٌ جَمْعٌ يَشْمَلُ الْمَذَكَّرَ وَالْمَوْثُثَ.

(١) عَبْدُ يَغُوثٍ: ابْنُ وَقَاصٍ الْحَارِثِيُّ.

(٢) مَنْسُوبَةٌ إِلَى عَبْدِ شَمْسٍ.

(٣) أَيُّ: لِلضَّرُورَةِ.

(٤) الْجَلَاءُ: أَنْ يَذْهَبَ شَعْرُ الرَّأْسِ مِنْ مَقْدَمِهِ، أَوْ: هُوَ قَرِيبٌ مِنَ الصَّلَعِ.

(٥) الشَّاهِدُ الْأَوَّلُ: حَذْفُ «أَلْ» مِنْ «الْأَقْرَعِ» مِنْ أَجْلِ النَّدَاءِ. وَالثَّانِي: إِلْغَاءُ

عَمَلِ «إِنْ» الشَّرْطِيَّةِ لِلضَّرُورَةِ، حَيْثُ رَفَعَ الْفِعْلُ «تَصْرَعُ»، وَمِنْ =

فَجِئْتُ لَنَا بِالثَّامِنِ
لِكَشْفِ مَا بِالْبَاطِنِ

فَعَلَّقَ عَلَى نَظْمِي^(١) وَأَوْجَزَ، وَأَنشَدَ قَوْلَ مَنْ أَرْجَزَ:

لَا هُمْ إِنْ كُنْتَ قَبْلَتْ حِجَّتِيْجَ

فَلَا يَزَالُ شَاحِجٌ يَأْتِيكَ بِجِ

قلنا: لَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ هَمٌّ، فَالشَّاهِدُ فِي «لَا هُمْ». وَأُبْدِلَتْ
الْيَاءُ جِيمًا^(٢)، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم تَسْلِيمًا. فَأُلْقِيَ إِلَيْنَا تَاسِعَهَا، آتَاكَ
اللَّهُ مِنَ الرَّحْمَةِ وَاسِعَهَا. قَالَ: نَعَمْ! وَإِنَّكُمْ لَنُجَبَاءُ، وَطَلَّابُ أَدْبَاءُ.

قَالَ: عَلَى الْكَرَامَةِ وَالْمَحَبَّةِ، دُونَكُمْ قَوْلَ شَاعِرِ بَنِي ضَبَّةٍ^(٣):

أَعْرِفُ مِنْهَا الْحَيْدَ وَالْعَيْنَانَ

وَمِنْخَرَيْنِ أَشْشَبَهَا ظِيَّانَا

= العلماء من يقول: حذف الجواب للضرورة، و«تصرع» في آخر البيت
خبرٌ «إن»، وهو المشهور.

(١) مَا كَانَ مِنْ شَعْرِ غَيْرِي فَإِنِّي أَنْسِبُهُ إِلَيْهِ، أَوْ أَذْكَرُ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لِي أَوْ
لِغَيْرِي فِي الْأَصْلِ أَوْ فِي الْهَامِشِ، وَمَا كَانَ بِلَا قَرِينَةٍ فَهُوَ مِنْ شَعْرِي.

(٢) أَصْلُ «لَا هُمْ»: اللَّهُمَّ، فَحُذِفَتْ «ال» شَذُوذًا، وَأَمَّا إِبْدَالُ الْيَاءِ جِيمًا فَهِيَ
لُغَةٌ لِبَعْضِ الْعَرَبِ، وَكَذَلِكَ الْعَكْسُ.

(٣) قَالَ الْعَيْنِيُّ فِي تَخْرِيجِ شَوَاهِدِ الْأَشْمُونِيِّ: «قَالَ أَبُو زَيْدٍ: أَنشَدَنِي الْمَفْضَلُ
لِرَجُلٍ مِنْ ضَبَّةٍ هَلَكَ مِنْذُ أَكْثَرَ مِنْ مِئَةِ سَنَةٍ»، وَلَمْ يَذْكُرْهُ.

فَقَامَ كَبِيرُهُمْ وَقَحَزَ^(١)، وَقَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا الرَّجَزُ! افْتَحُوا
الْعُيُونَ، أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الشَّاهِدَ فِي النُّونِ. فَإِنَّهَا قَدْ
فُتِحَتْ، وَفِي التَّشْنِيةِ إِذْ لَزِمَتْ^(٢).

فَأَخْتِمْ بِعَاشِرِهِ، مَعَ ذِكْرِ شَاعِرِهِ

إِنَّا لَذَاكِرُهُ بِالشُّكْرِ نَسْتَبِقُ

قَالَ: أَحْسَنْتُمْ أَيُّهَا النُّبَلَاءُ، الْأَمَاجِدَ الْفُضَّلَاءَ. إِلَيْكُمْ الْبَيْتُ
الْخَاتِمُ، وَإِنَّهُ كَالْخَاتِمِ، وَهُوَ لَا بِنِ وَأَبِصَةَ وَاسْمُهُ سَالِمٌ. وَفِيهِ
شَاهِدٌ فَرْدٌ، لِنُوتِرَ فِي الْعَدَّةِ.

وَلَا يُوَاتِيكَ فِيمَا نَابَ مِنْ حَدَثٍ

إِلَّا أَخُو ثِقَةٍ فَاَنْظُرْ بِمَنْ تَثِقُ^(٣)

فَهَزَّهُمْ بِهِ طَرَبًا، وَقَالُوا: أَسْمَعْتَنَا عَجَبًا. بَيْتٌ كَبِيتُنَا، وَدَقِيقٌ فِي
زَيْتِنَا. وَإِلَيْكَ الْجَوَابُ، الْمُؤَيَّدَ بِالصَّوَابِ:.

الْبَاءُ زَائِدَةٌ عَنْ أُخْرَى وَوَارِدَةٌ

فِي الْبَيْتِ شَاهِدَةٌ يَا قَوْمُ فَاَنْطَلِقُوا

(١) وثب.

(٢) أي: لزم الألف.

(٣) يقولوا التحويون: أصل الكلام: فانظر من تثق به، فحذفت هذه الباء،
وَعُوِّضَتْ بِبَاءِ زَائِدَةٍ، وَهِيَ الدَّاخِلَةُ عَلَى «مَنْ».

فَاعْتَنَقَهُمُ الشَّيْخُ وَسَلَّمْ، وَصَلَّ عَلَى النَّبِيِّ وَسَلَّمْ. وَانصَرَفَ
الْجَمَاعَةُ، لَا يَدْرُونَ كَمْ السَّاعَةِ. فَلَذَّةُ الْعِلْمِ تَطْوِي بِسَاطَ الزَّمَانِ،
وَتَطْرُدُ هُمُومَ الْجَنَانِ. وَغَمُومَ الْخِزَانِ^(١)، وَتَخَالِيطَ الْجُلُجُلَانِ^(٢).
وَاللَّهُ وَحْدَهُ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْهِ التُّكْلَانِ !

(١) القلب.

(٢) من أسماء القلب.

المَقَامَةُ المَدِينِيَّةُ

قال أبو العيينة:

حَدَّثَ أَبُو إِسْحَاقَ، فِي يَوْمِ تَلَاقٍ. قَالَ: حَدَّثَنِي رَفِيقُ الْعُمَرُ، فِي لَيْلَةِ سَمَرٍ^(١). قَالَ: طَابَ لِي الْمَقَامُ وَاحْلَوْلَى، بِمَكَّةَ شَرَّفَهَا الْمَوْلَى. وَالْقَلْبُ مُذْبَذَبٌ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ يَثْرِبَ. فَرَمَتْ بِي سَفِينَةُ التَّعْلِيمِ، إِلَيْهَا فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ. فَأَقْبَلْتُ عَلَى الْعُلُومِ بِعِشْقٍ، وَلَمْ أَمِلْ إِلَى سِوَاهَا بِكُلِّ وَلَا شِقٍّ.

وكان لي رفاقٌ ضِعَافُ الْهَمَمِ، لَا يَطْمَحُونَ إِلَى عِلْمٍ أَوْ عِلْمٍ. يَعْجَبُونَ مِنْ جَلْدِي، وَاطِّرَاحِي لِلْهَوَى وَدَدِي^(٢). وَتَمَيَّزَ بَعْضُهُمْ مِنَ الْغَيْظِ، حِينَ رَأَنِي فِي أَشَدِّ الْقَيْظِ. أُسْرِعَ إِلَى مَسْجِدِ النَّبِيِّ الْمُكْرَمِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. لِتَشْرَابِ لَبَانِ الْعُلُومِ، وَغِذَاءِ الْفُهُومِ. وَأَدْعُ طَعَامَ الْجَاشِرِيَّةِ^(٣) لِلأَصِيلِ، بِبَطْنِ طَاوٍ وَجَسَدِ هَزِيلٍ. وَأَجِدُ لِلْعُلُومِ حِلَاوَةً فِي الْجِرِشِيِّ^(٤)، أَحْلَى مِمَّا أَتَغَدَّى^(٥)

(١) سمر سمرًا: لم ينم. والسمر بالفتح: الليل وحديثه.

(٢) الدُّدُ: اللُّهُو واللُّعْبُ.

(٣) الجاشرية: نصف النهار.

(٤) الجِرِشِيُّ: النَّفْسُ.

(٥) الغداء عند العرب: طعام الإفطار في عرفنا اليوم.

به وأتعتشى. ولم يكن لي يومها صاحبة، ولا صَبوةً غالبةً. تَرَجَّلَ
إِلَيَّ الْجِدُّ وَدَنَا، فصادف قلبًا خاليًا فتمكَّنَا. وكان لنا في ذلك
المسير، أشياخُ عِلْمٍ سراسير^(١). وَرَدَّنا عَذَابَ مَنَاهِلِهِمْ، وَشَرَبْنَا
كُؤُوسَ مَسَائِلِهِمْ. وَلَمَّا ارْتَقَيْتُ دَرَجَ الْكُلِّيَّاتِ، كُنْتُ مُشْتَتَ
العَزَمَاتِ. في اختيار الأولَى، والكلِّيَّةِ الفضلى. ثم اعتزمتُ بعد
آن^(٢)، على الانتظام في كُلِّيَّةِ الْقُرْآنِ. وقيل: أُدْخِلَهَا مع
الدَّاخِلِينَ، وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ.

ولمَّا رَأَيْتُ الطَّلَّابَ، يَمْوُجُونَ في الارتياب. كَشَفْتُ لَهُمْ قَنَاعَ
الرَّيْبِ، وَهَتَكْتُ لَهُمْ حِجَابَ الْغَيْبِ^(٣). وَدَرَأْتُ عَنْهُمْ هُجُومَ
التَّرَدُّدِ، بِجُنُودِ التَّعَدُّدِ. وَنَظَّمْتُ كُلِّيَّاتِ الْجَامِعَةِ، فِي آيَاتِ نَافِعَةٍ.
فَاسْتَمِعُوا لَهَا وَلَا تَعْذِلُوا^(٤)، وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا. وَلْيَعْلَمْ
التَّلْعَابَةُ^(٥)، أَنَّ بَعْضَهَا دُعَابَةٌ.

وَالْكُلِّيَّاتُ خَمْسَةٌ: شَرِيعَةٌ

ذِكْرٌ وَهَدْيٌ دَعْوَةٌ وَلُغَةٌ^(٦)

(١) سراسير: جمع سُرُسُور: العالم الفطن، الحاذق بالأمور.

(٢) بعد حين.

(٣) الغيب: الشك.

(٤) لا تلوموا.

(٥) التلعب: كثير اللعب.

(٦) أي: كلية الشريعة، وكلية القرآن، وكلية الحديث، وكلية الدعوة، وكلية اللغة.

أَفْضَلُهَا: كُتِبَ الْقُرْآنُ
 ثُمَّ الْحَدِيثُ فِي الْمَقَامِ الثَّانِي
 ثُمَّ الشَّرِيعَةُ، وَقَوْمٌ رَجَّحُوا
 لِأَنَّهَا لِلْأَوَّلَيْنِ^(١) تَشْرَحُ
 وَقَالَ قَوْمٌ: دَعْوَةٌ، ذَا حَسَنٍ^(٢)
 لِقَوْلِهِ فِي «فُصِّلَتْ»: ﴿مَنْ أَحْسَنُ﴾
 وَمَا رَأَيْتُ غَالِبًا مِنْ أَمَّا^(٣)
 سَاحَتِهَا إِلَّا بَلِيدًا فَدَمًا^(٤)
 إِلَّا رَجَالًا مِنْهُمْ كَوَالِدِي^(٥)
 وَرَجُلٌ يُنْسَبُ لِابْنِ خَالِدٍ

(١) للقرآن والحديث.

(٢) أي: هذا حسنٌ، مبتدأ وخبر.

(٣) قصد.

(٤) غيبًا.

(٥) تخرَّجَ فيها، وكانت في أيامه من أصعب الكليات، ثم حذف منها بعض المواد. ثم صارت بعد ذلك مبتغى من يعسر عليه التخصصات الأخرى، ثم عادت بعد ذلك بأقسام مختلفة.

والخَامِسُ: اللُّغَةُ بِاتِّفَاقٍ

وهي الأخيرة على الإطلاقِ

وَدَاخِلُوهَا أَهْلُ زَهْوٍ زَاهِي

وَتِلْكَ جَرَحَةٌ لَعَمْرُ اللَّهِ^(١)

وكنْتُ أَوَّلَ الْأَقْوَامِ، فِي جَمِيعِ الْأَعْوَامِ. وَلَمْ يَكُنْ أُبْلَغُ مِنْ ذَلِكَ جَهْدِي. وَلَا كَانَتِ الْمَذَاكِرَةُ مِنْ وَكُدي. وَلَكِنَّ الْعُلُومَ مُتَصَافِحَةً، وَكُلُّ صَفْقَةٍ فِيهَا رَابِحَةٌ. فَمَنْ شَرِبَ مِنْ بَعْضِهَا، لَمْ يُذَذَّ^(٢) عَنْ حَوْضِهَا. فَأَغْنَانِي زَادِي، وَنَفَعَنِي اجْتِهَادِي. وَلِلَّهِ هَاتِيكَ اللَّيَالِي الْمِلَاحُ، الَّتِي وَصَلْتُ مَسَاءَهَا بِالصَّبَاحِ. وَقَدْ جَفَا الْأَجْفَانِ طَيْفُ الْكَرَى، وَحَنَوْتُ عَلَى دِفَاتِرِي وَحَنَيْتُ الْقَرَأَ^(٣). أَيْتُ أَفْضُ أَبْكَارَ الْمَعَانِي بِلَا جُنَاحٍ، وَأَطِيرُ فِي سَمَاءِ الْعُلُومِ بِلَا جَنَاحٍ. فَإِذَا اللَّيْلُ أَدْبَرَ، وَتَنَفَّسَ الصُّبْحُ وَأَسْفَرَ. قُمْتُ عَنِ الْمَعَانِي وَهُنَّ مُطَرَّحَاتُ، وَبَنَاتِ الصَّدْرِ وَهُنَّ مُبَرَّحَاتُ.

(١) هذا ما كتبه يومئذٍ، وقد تغيَّرَ الحال اليوم والزَّمان، ومن كلام القدماء: «من أراد أن يجد في نفسه الكبر؛ فليتعلم النَّحو»، ولكن ليس ذلك على إطلاقه.

(٢) لم يُدفع.

(٣) الطَّهر.

أَبَيْتُ أَنَا وَالْمُقَفَّلَاتُ سَوَاتِرُ
وُجُوهاً فَأُغْرِيهنَّ بِالْفَهْمِ وَالْفِكْرِ
أَلَا عِبْهُنَّ بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ تَارَةً
وَبِالْكَسْرِ أَحْيَانًا فَتَسْكُنُ فِي حِجْرِي^(١)
وَأَجْزِمُ أَنِّي لَوْ رَفَعْتُ حِجَابَهَا
إِذَا انْتَصَبَتْ خَجَلِي لَمَّا رَفَضَتْ جَرِّي
وَيُضْبِحْنَ صَرَغَى بَيْنَ عَقْلِي وَدَقْتَرِي
ضَجِيعَاتٍ تُثْرِي رَاقِصَاتٍ عَلَى شِعْرِي^(٢)
وَكُنَّ لِفَهْمِ الْفَدَمِ^(٣) يُظْهِرْنَ عِفَّةً
يُطَالِبُنَّهُ بِالْمَهْرِ وَهُوَ بِلَا مَهْرٍ^(٤)

(١) الحِجْر: موضع مجلس الصبي من الإنسان، والعقل، وهو الذي أردته هنا.

(٢) المراد: بنات الفكر ومسائل العلوم.

(٣) البليد.

(٤) من قصيدة طويلة كتبها عام ١٤١٤ هـ.

ثُمَّ أَسْبَحُ أَطْرَافَ النَّهَارِ، فِي بَحَارِ الْأَحْبَارِ. فَمِنْ دَرَسٍ فِي
 «حُرُزِ الْأَمَانِي»، إِلَى آخِرِ فِي عِلْمِ الْمَعَانِي. وَمِنْ دَرَسٍ فِي «مَرَاقِي
 السُّعُودِ»، إِلَى دَرَسٍ فِي سُلَّمِ الصُّعُودِ. إِلَى خَامِسٍ فِي الْحَدِيثِ،
 وَسَادِ^(١) فِي عِلْمِ الْمَوَارِيثِ. وَسَابِعٍ فِي الْمُعَلَّقَاتِ السَّبْعِ، وَثَامِنٍ
 فِي الْقِرَاءَاتِ السَّبْعِ. وَآخِرُهَا «بَانَتْ سَعَادُ»، ثُمَّ أُبَيَّتُ إِلَى مَعَادِ^(٢).
 وَاسْتَقَرَّ بِي الْمَقَامُ، وَلَا يَزَالُ فِي النَّفْسِ كَلَامٌ.

(١) أَي: سَادِس.

(٢) مَكَّة.

المَقَامَةُ اللِّسَانِيَّةُ

قال أبو العينين:

اجتمعَ في طريق مَكَّةَ، ويُقالُ لها: بَكَّةَ. لَأَنَّهَا تَبُكُّ^(١) أعناقَ
الطَّغَاةِ، وظهورَ^(٢) البُغَاةِ. أفئدةُ^(٣) مِنَ الْبَشَرِ، يُرى عليهم أثرُ
السَّفَرِ. وكلُّهم من الأعرابِ الأفحاحِ^(٤)، والنَّسَبِ الصُّراحِ^(٥). من
ربيعَةٍ ومُضَرٍّ^(٦)، وعُمَانٍ^(٧) وحَمِيرٍ^(٨). وقيسٍ^(٩) والأزدِ^(١٠)،
وهذيلٍ^(١١) وسَعْدٍ^(١٢). وبني كَلْبٍ وقُضَاعَةٍ، وغيرهم من

(١) تقطع.

(٢) جمع ظهر، ويصلح أن يكون مصدرًا.

(٣) فاعل «اجتمع»، ومعناه: جماعة من البشر.

(٤) الخُلُص، ومفرده: قُحَّ.

(٥) الصَّرِيح.

(٦) ربيعة ومضر ابنا نزار بن معد بن عدنان من أولاد إسماعيل عليه السلام.

(٧) أهل عُمان أصلهم من قبيلة عبد القيس، هاجروا إليها، وأقاموا بها.

(٨) حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

(٩) من قبائل قُضَاعَةٍ، يُنسبون إلى قيس بن وائل بن عوف بن مناة بن أد.

(١٠) الأزد: جُرثومة بن جرائم قحطان، ينسبون إلى: الأزد بن الغوث.

(١١) هذيل بطون كثيرة، منهم: لحيان بن هذيل، وصاهلة بن كاهل.

(١٢) ابن بكر.

الجماعة. أَتَوْا مِنْ كُلِّ فِجٍّ^(١) عميق، قاصدين البيت العتيق. يَجَارُونَ^(٢) بالتلبية، وَيَضْرَعُونَ إلى الله بالأدعية. فَسُبْحَانَ خَالِقِ اللُّغَاتِ، وَمَنْ لَا تَخْتَلِطُ عنده الأصوات!!

وكان وراءهم عِلْمُ الأعلام، الحشْكُظِيُّ الإمام، يسمعُ جَلَبَتَهُمْ^(٣)، ولا يَتَبَيَّنُ قَوْلَتَهُمْ. فسأله صاحبُ سِوَادِهِ^(٤)، وأصغرُ أولادِهِ: إِنِّي لم أفهم ما يقوله القوم، في سائر اليوم؟! قال: لا تثرِب^(٥) عليك، ولا لوم. فَلَهَجَاتِ العرب لا تُحْصَى، وَلُغَاتُهَا لا تُسْتَقْصَى. فَادْنُ مِنْهُمْ واقترِبْ، واصْطَبِرْ ثُمَّ ارْتَقِبْ. وأسمعني جُؤَارَهُمْ^(٦)، أَوْضِحْ لكَ تَهْدَارَهُمْ^(٧).

فإذا به يسمعُ أحدهم يقول: عَسْعَلُكَ^(٨) الحِنَانُ. وَعَسْتَعِذُ بِكَ^(٩) مِنَ النَّيرانِ.

(١) طريق، وأصله: الطريق بين الجبلين.

(٢) يصرخون.

(٣) أصواتهم.

(٤) سره.

(٥) التثریب: اللوم، والتعير بالذنب.

(٦) صياحهم.

(٧) مصدر: هدر الحمام: إذا صَوَّت.

(٨) أصلها: أسألك، لكنهم يقلبون الألف عينا.

(٩) أصلها: أستعيز.

قال الحشكطيُّ: هذه يا بُنيَّ عَنْعَنَةُ قَيْسٌ^(١)، وهم من فصحاء النِّيسِ^(٢).

ثم سمعَ آخَرَ يُنادي، من ثنية^(٣) الوادي. اللَّهُمَّ عِطَّةً، أي: حِطَّةً.

قال: هذه فَحْفَحَةُ الْهُذَلِيِّينَ، يُصَيِّرُونَ الْحَاءَ إِلَى الْعَيْنِ، ويقولون: عَتَّى حِينَ.

وثالثاً يقول - في هَيْشٍ^(٤) -: لَبَّيْشَ اللَّهُمَّ لَبَّيْشَ^(٥). ورابعاً يقول لحليلته^(٦): بَارَكَ اللَّهُ فَيْشُ، وباعدَ عَنَّا تَجَافَيْشَ^(٧).

قال: هذه لهجَةٌ رُبِيعَةٌ وَمُضَرَّةٌ، يا معشر من حَضَرَ. وهي الكَشْكَشَةُ المشهُورَةُ، وما هي بِمَهْجُورَةٍ. واستمع إلى ذلك الْعُلَيْكِمِ^(٨)، الذي يقول: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ^(٩). إنه وَكُمُ رُبِيعَةٌ، القبيلة

(١) إبدال الألف عينا.

(٢) (الناس) بالإمالة الكبرى، وبها قرأ أبو عمرو البصري.

(٣) طريق العقبة، أو: طريق إلى الجبل، وفيه.

(٤) في تحرك وهيجان.

(٥) لغة يمانية.

(٦) امرأته.

(٧) تجافيك، أي: بعدك.

(٨) تصغير العُلُكُم، وهو الشديد. وأصله: الشديد من الإبل.

(٩) يقولون: بِكُمْ وَعَلَيْكُمْ، حيث كان قبل الكاف ياء أو كسرة.

الرَّفِيعَةُ. وانظروا هل تسمعون كَلْبًا^(١)، يلهجون ﴿لَوَلِيتَ مِنْهُمْ رُعبًا﴾^(٢). أو من يقول: رميتُ بالعَشِجِ، مَعَ الشَّيْخِ عَلِيجٍ^(٣). أولئك الجماعةُ، من قبيلة قُضَاعَةَ. ولغتهم: الجَعَجَعَةُ، أيها الكُرْسُوعَةُ^(٤). اليوم تسمعون ما لا تعلمون، وتعلمون ما لا تسمعون، تَعْلَمُونَ اختلاف اللُّسَانِ، وإن لم تَخْتَلَفِ الألوانُ. وأنها آيةٌ، كما جاء في الآية^(٥).

أرأيتم إلى قبيلة سَعْدٍ^(٦)، وهُذَيْل والأَزْدُ. وقيس والأنصارُ، وآخرين في الأمصارِ. يَقْلِبُونَ النُّونَ^(٧) عَيْنًا عند الطَّاءِ، ويُسمَّى ذلك الاستنطاء^(٨).

وبَيْنَا^(١) نحن كذلك؛ إذ طلع علينا رجلٌ كبيرُ الجَعْبَةِ^(٢). يقول: طُفْتُ بالجَعْبَةِ^(٣)، وربَّ الجَعْبَةِ^(٤). فقال له رجلٌ من عُمان،

(١) أي: قبيلة كلب.

(٢) يكسرون الهاء في (منهم) ونحوه، ولو لم يكن قبل الهاء ياء ولا كسرة.

(٣) أصله: العشي، وعليّ.

(٤) الكُرْسُوعَةُ والكُرْسُوعَةُ: الجماعة من الناس.

(٥) هي قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافُ اللَّسَانِ﴾ وَالْوَزْنُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَا يَتَرَفَعُ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٢﴾ [الزمر].

(٦) سعد بن بكر.

(٧) النون الساكنة.

(٨) وعليه القراءة الشاذة: ﴿إِنَّا أَنْطَيْنَاكَ الْكُوثرَ﴾.

مَشَا اللهُ كَانَ^(٥). وآخر من شكِّله، يقول لَبْنِه وأهْلِه: طَابَ
أَمْهَوَاءُ، أي: طَابَ الهَوَاءُ. قَالَ الْحَشَكَطِي: هَذِهِ الطُّمُطُمَانِيَّةُ،
تَعْرُضُ فِي اللُّغَةِ الْحِمِيرِيَّةِ.

ثُمَّ مَرَّ بِنَا رَجُلٌ جَافٌ^(٦)، يَجْعَلُ الْقَافَ كَالْكَافِ^(٧). وَرَهْطٌ
يَنَادِي: أَمَّا مَرْرُكَ بِالْوَادِي، وَنَزَلْتُ^(٨) بِحَيِّ الْبَوَادِي؟^(٩)

قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: فَلَمَّا جَنَّ^(١٠) عَلَيْنَا اللَّيْلُ، حَسَوْنَا^(١١) قَهْوَةَ^(١٢)
بِالْهَيْلِ. وَانْقَلَبْنَا إِلَى أَهْلِنَا فَآكِهَيْنِ^(١٣)، غَيْرَ خَزَايَا وَلَا فَارِهَيْنِ^(١٤).

- (١) بَيْنَا، كَبِينَمَا.
- (٢) بَفَتْحِ الْجِيمِ: وَعَاءُ النَّشَابِ، وَيُشَبِّهُ الْبَطْنَ بِهَا، وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا.
- (٣) أَي: بِالْكَعْبَةِ.
- (٤) بِإِبْدَالِ الْكَافِ جِيمًا، وَهِيَ مِنْ أُرْدَا اللُّغَاتِ.
- (٥) ذَكَرَ الثَّعَالِبِيُّ أَنَّهَا اللَّخْلَخَانِيَّةُ، وَهِيَ لُغَةُ أَعْرَابِ الشَّحْرِ وَعُثْمَانَ، وَأَصْلُهُ:
مَا شَاءَ اللهُ كَانَ.
- (٦) مِنَ الْجَفَاءِ، أَصْلُهُ: جَافِي، وَالْأَفْصَحُ حَذْفُ الْيَاءِ.
- (٧) نَسَبَهَا ابْنُ فَارَسٍ لَتَمِيمٍ، كَمَا فِي «الْمَزْهَرِ» لِلْسَيُوطِيِّ (٢٢٢/١).
- (٨) أَصْلُهُ: مَرَرْتُ، وَنَزَلْتُ.
- (٩) حَيٌّ مَعْرُوفٌ بِمَدِينَةِ جُدَّةَ.
- (١٠) غَطَى بِظِلَامِهِ.
- (١١) الْحَسَوُ: شَرِبَ فِي مَصٍّ.
- (١٢) أَي: قَهْوَةُ بُنٍّ، بِقَرِينَةِ (الْهَيْلِ). وَالْقَهْوَةُ - فِي الْأَصْلِ - اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ
الْخَمْرِ.
- (١٣) ضَاكِكِينَ.
- (١٤) فَرَحِينَ فَرَحَ بَطَرٍ.

نَحْمَدُ مولانا الرَّحْمَانُ. على ما علَّم مِنَ الْبَيَانِ، وجعل لنا السَّمْعَ
والأَبْصَارَ والأَفْئِدَةَ، وقد سمع اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ.

المَقَامَةُ الحَرَمِيَّةُ

قال أبو العيينين:

تَزَوَّجَ طَامِرٌ^(١) ابْنَ طَامِرٍ، طَبَاخِيَّةً^(٢) مِنَ الحَرَائِرِ. لَيْسَكُنْ إِلَيْهَا فِي رَوَاحِهِ، وَمَسَائِهِ وَصَبَاحِهِ. وَيَقْرَأُ بِهَا عَيْنًا، وَيَصِلُ بِهَا يِينًا^(٣). وَلَيَوُوبَ مَعَهَا إِلَى سَعَةِ وَدَعَةٍ، وَجَفْنَةٍ مُدْعَدَّةٍ^(٤). فَبَلَغَتْ بِهِ قُلُلَ الأَمَانِيِّ^(٥)، وَأَلْبَسَتْهُ حُلْلَ التَّهَانِيِّ. وَرَقَّتْ بِهِ إِلَى سَمَاءِ السَّعَادَةِ، وَفَلَكَ السِّيَادَةِ. فَحَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا، وَصَارَتْ وَحْمَى^(٦). فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا دُعَاءَ خَفِيٍّ، أَنْ يَهَبَّهُمَا غُلَامًا زَكِيًّا. فَارْتَكُضَ فِي بَطْنِهَا الْجَنِينُ، وَجَاءَهَا الْمُخَاضُ^(٧) الْمُبِينُ. فَلَمَّا مَالَتْ وَتَدَلَّكَتْ، وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ. طَابَتْ بِذَلِكَ نَفْسًا،

(١) يُكْنَى بِهِ عَنِ الْمَجْهُولِ.

(٢) الْمَرْأَةُ الشَّابَّةُ الْمُتَمَثِّلَةُ.

(٣) بُعْدًا وَفَرَاقًا.

(٤) جَفْنَةٌ مَمْلُوءَةٌ، يُقَالُ: دَعَدَعَ الْجَفْنَةَ: إِذَا مَلَأَهَا.

(٥) أَعَالِي الأَمَانِيِّ، الْقَلَّةُ: أَعْلَى الْجَبَلِ.

(٦) وَحِمَتِ الْمَرْأَةُ: إِذَا اشْتَدَّتْ شَهْوَتُهَا لِنَوْعٍ مِنَ الْأَكْلِ.

(٧) دَنُوُ الْوِلَادَةِ.

وقدّموا لها خويّة^(١) وخُرساً^(٢). ولكأنّ قائلاً مِنْ بَعِيدٍ، يُخاطب
الوكيدُ :

وَلَدَتِكَ أُمُّكَ يَا ابْنَ آدَمَ بَاكِياً

وَالنَّاسُ حَوْلَكَ يَضْحَكُونَ سُوراً

فَاعْمِدْ إِلَى عَمَلٍ تَكُونُ إِذَا أَتَوْا

يَوْمَ الْقِيَامَةِ ضَاحِكاً مَسْرُوراً^(٣)

وعاش في دَعَاٍ وَسَرْهَفَةٍ^(٤)، وعيشَةٍ مُرْفَرَفَةٍ^(٥). وزَهْرَفَةٍ^(٦)
وَتَنْزِيَةٍ^(٧)، ورخاءٍ وبُلْهَنِيَةٍ^(٨). حَتَّى بَلَغَ الْفِطَامَ، وأطاقَ الْقِيَامَ.
وارْتَفَعَ حَتَّى صَارَ كَالْجَحْشِ^(٩)، أَوْ كَالْحَزْوَرِّ^(١٠)

(١) ما تأكله المرأة عن الولادة.

(٢) ما يُعمل للمرأة حين الولادة.

(٣) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَيَقْلِبُ إِلَيْكَ أَهْلَهُ مَسْرُوراً﴾، ولا أعرف قائلهما.

(٤) سَرْهَفَتُ الصَّبِيَّ: أحسنت غذاءه ونعمته.

(٥) واسعة.

(٦) عيشة مزوّقة.

(٧) نَزَا الصَّبِيَّ تَنْزِيَةً: إذا لاعبه رفعا ووضعاً.

(٨) سعة في العيش.

(٩) مرحلة للصبي بعد الفطام.

(١٠) الصبي إذا قوي.

واجْحَنَشْش^(١). ولم يبلغ ذلك الآن^(٢)، إلاّ وقد حفظ القرآن. وصار يافعاً مُراهِقاً. ومُتَرَعِرِعاً فائِقاً. ومُدْرِكاً حَانِطاً^(٣)، وحالماً فارطاً^(٤). وأشهدَ وتَفَيَّلَ^(٥)، ومَرَدَ وجهه^(٦) وتَبَقَّلَ^(٧). وهو في هذا مُسَامِرٌ للدَّفَاتِرِ، مُلَازِمٌ للمَحَابِرِ. طَلَّابٌ لِلْعِلْمِ، مُصَاحِبٌ لِأُولِي الْحِلْمِ. كان يَدْعُ أَقْرَانَهُ لِدَدٍ^(٨)، في طَرَائِقٍ قِدَدٍ^(٩).

وينفذ من باب المَرَوَّةِ أو الصَّفَا، يطلب رياض العِلْمِ والصَّفَا. يقول قبل دُخُولِهِ، والسَّلَامَ على رَسُولِهِ:
خَلِيلِي مُرَايِي عَلَى صَحْنِ كَعْبَةٍ

لِنَقْضِي لُبَانَاتٍ^(١٠) الْفَوَادِ الْمَعَذِبِ

(١) الصَّبِيّ إذا قارب الاحتلام.

(٢) الزَّمان.

(٣) المدرك والحانط: الغلام إذا بدا البُشْرُ في وجهه.

(٤) محتلماً. وفَرَطَ بمنعَى سبق.

(٥) ازداد شبابه.

(٦) مَرَدَ وجهه: نبت وجهه، وبدا شاربه.

(٧) تبقل: نبت شعره.

(٨) الدَد: اللّهُو.

(٩) مختلفة.

(١٠) حاجات.

تَبَصَّرُ خَلِيلِي هَل تَرَى مِنْ مَقَاعِدِ

عَلَيْهَا رِجَالٌ يَرُشَحُونَ بِصَيِّبٍ^(١)

وَحَوْلَهُمْ طُلَّابٌ عِلْمٍ كَأَنَّهُمْ

عَلَى مَنَهْلٍ عَذْبِ الْمَوَارِدِ طَيِّبِ

يَقُولُونَ أَنبَانَا وَحَدَّثَ مَالِكٌ^(٢)

بِإِسْنَادِهِ الْمَوْصُولِ رَفَعًا إِلَى النَّبِيِّ^(٣)

وَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ عَنِ الْحَسَنِ الرُّضَا

أَوْ السَّيِّدِ الْمَوْلَى سَعِيدِ الْمُسَيَّبِ

وَهَلْ ثَمَّ مَنْ يُقْرَى الْخُلَاصَةُ^(٤) وَالَّتِي

بِتَصْرِيفِ أَفْعَالٍ^(٥)، وَتَثْلِيثِ قُطْرُبٍ^(٦)

(١) الصَّيِّبُ: المطر.

(٢) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٣) خلاصة الكافية «ألفية ابن مالك».

(٤) أعني بها «لامية الأفعال».

(٥) «مثلث قطرب»، وقطرب هو: محمد بن المستنير البصري، وكان على

طريقة المعتزلة النظامية (ت ٢٠٦هـ).

وما شئتُ ممَّا أَشْتَهِي وَيَلْذُّ لِي

من العلم تَشْرَابًا على كُلِّ مَذْهَبٍ

ولم يَزَلْ ذلك عَادَتَهُ وَدَيْدَنَهُ، وَهَجِيرَاهُ^(١) الْحَسَنَةُ. يَغُوصُ على الدَّقَائِقِ، وَيَسْتَكْشِفُ مُخَبَّاتِ الْحَقَائِقِ. وَهُوَ الْيَوْمَ قُمْدٌ^(٢) بَلْ عَنَظُنْطُ^(٣)، تَارَةً يَتَمَصَّرُ^(٤) وَتَارَةً يَتَشْنَقُطُ^(٥). وَحِينَئِذٍ يُنْجَدُ^(٦) وَأَحْيَانًا يُتْهِمُ^(٧)، وَطَوْرًا يُعْرِقُ^(٨) وَأَطْوَارًا يُشْتِمُ^(٩). يُنْقَبُ فِي الْبِلَادِ، لِلْعُلُومِ لَا لِلتَّلَادِ^(١٠). فَإِذَا الشَّبَابُ تَوَلَّى، وَصَارَ بَعْدَ ذَلِكَ كَهَلًا. فَالزَّهَادَةُ لَهُ أَوْلَى، وَإِنَّهُ لَيَحْدُونِي الْحَادِي، وَيَسُوقُنِي التَّمَادِي. أَنْ أَسْتَطْرِدَّ فِي بَيَانِ الْأَطْوَارِ، مِنْ الْكُھُولَةِ إِلَى الْبَوَارِ^(١١). فَمَنْ شَابَ

(١) العادة والديدن والهجيرا: ألفاظ متقاربة المعنى.

(٢) القُمدُ: الشَّديد، والغلام من خمس عشرة إلى خمس وعشرين.

(٣) من الخامسة والعشرين إلى الثلاثين.

(٤) يميل إلى مصر، والمراد: أخذه العلم عن أهل مصر.

(٥) يأخذ عن أهل شنقيط.

(٦) يأخذ عن أهل نجد.

(٧) عن أهل تهامة، ومكة منها.

(٨) عن أهل العراق.

(٩) عن أهل الشام، غفر الله لأولئك الأشياخ، ورفع درجاتهم، وأحسن

ذكرهم في العالمين، آمين..

(١٠) المال.

(١١) الموت.

فهو: أَشْمَطُ^(١) أو أَشْيَبُ. وَمَنْ بلغ الخمسين فهو: شَيْخٌ لا يلعب.
وهو: مُخَلَّدُ^(٢) فَتَهَشَّلُ^(٣)، والمُسْنُ لفظٌ أَشْمَلُ. فَيَفَنُ^(٤)
فَقَحْمُ^(٥)، فَقَحْرُ^(٦) فَمُقْلَحِمُ^(٧)، وَرَضَمَانُ^(٨) وَهَمُّ؟^(٩) وَهَرَمُ^(١٠)
وَدَلِيفُ^(١١)، وهو الكبير الضَّعِيفُ. وماجُ^(١٢) وَمُفْنَدُ^(١٣)، ويقال:
مُفْنَدٌ. وَخَرَفٌ وَنَعَثَلُ^(١٤)، وَعَلُ^(١٥) وَحَوَقَلُ^(١٦). وَعُنْجُلٌ وَدَحْمَلُ.
وَقَعْضَمٌ وَهَيْلٌ، ويطلقُ هذا على الإبل. والله القائل:

-
- (١) الذي وخطه الشيب.
 - (٢) الذي أسنَّ، ولَمَّا يَشِبْ.
 - (٣) بعد المخلد.
 - (٤) اليَقَنُ: المُسْنُ.
 - (٥) الذي ارتفع عن المسنِّ.
 - (٦) الذي تضعضع لحمه.
 - (٧) الذي أسنَّ، وفيه جلدٌ.
 - (٨) الشيخ إذا ثقل.
 - (٩) الذي بلغ الغاية القصوى من العمر، والشيخ الفاني.
 - (١٠) الهَرَمُ: أرذل العمر، وأقصى الكبر.
 - (١١) الذي تقاربت خطاه؛ لكبره، وضعفه.
 - (١٢) الذي لا يستطيع أن يمسك ريقه لكبره.
 - (١٣) المنسوب للَفْنَد، وهو الخرف بسبب الكبر.
 - (١٤) المسنَّ الخرف.
 - (١٥) المسنَّ التَّحِيل.
 - (١٦) الشيخ المسنَّ الذي فتر عن الجماع، ولم يذكره القاموس.

ابن عشر من السنين غلامٌ رُفِعَتْ عَنْ نَظِيرِهِ الْأَقْلَامُ
 وابنَ عشرينَ لِلصَّبَا وَالتَّصَابِي لَيْسَ يَثْنِيهِ عَنْ هَوَاهُ مَلَامُ
 وَالثَّلَاثِينَ قُوَّةً وَشَبَابٌ وَهَيَامٌ وَلَوْعَةٌ وَغَرَامُ
 فَإِذَا زَادَ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرًا فَكَمَالٌ وَشِدَّةٌ وَتَمَامُ
 وَابْنُ خَمْسِينَ مَرَّةً عَنْهُ صِبَاهُ فَيَرَاهُ كَأَنَّهُ أَحْلَامُ
 وَابْنُ سِتِينَ صَيْرَتُهُ اللَّيَالِي هَدَفًا لِلْمُنُونِ فَهِيَ سَهَامُ
 وَابْنُ سَبْعِينَ لَا تَسْلُنِي عَنْهُ فَابْنُ سَبْعِينَ مَا عَلَيْهِ كَلَامُ
 فَإِذَا زَادَ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرًا بَلَغَ الْغَايَةَ لَا تَرَامُ
 وَابْنُ تِسْعِينَ عَاشَ مَا قَدْ كَفَاهُ وَاعْتَرَاهُ وَسَاوَسُ وَسَقَامُ
 فَإِذَا زَادَ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرًا فَهُوَ حَيٌّ كَمِيَّتٍ وَالسَّلَامُ
 [فَإِذَا زَادَ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرًا فَعَلَى الْقَبْرِ جَثْوَةٌ وَرِجَامٌ ^(١)]

(١) أي: تراب وحجارة - نسأل الله حُسْنَ الختام وَطِيبَهُ - ، والبيت الأخير من زيادتي ، ولا أعرف قائل هذه الأبيات ، أملاَنيها الوالد (رحمه الله) عن ورقة بخط أحد علماء اليمن ، نسيْتُ اسمه ، وللأبيات ألفاظ أخرى منها ما هو في «فتح الرحيم الرحمن» ، وما كتبتُه هو أحسن ما رأيته من ألفاظها.

المَقَامَةُ الحَزْمِيَّةُ

قال أبو العيينين:

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَيَّ بَنَ أَحْمَدُ. وَسَلَامٌ عَلَى
قُرْطُبَةٍ، وَبَلَدٍ أَنْجَبَهُ. طَوَّقَنِي كِتَابُكَ «الطُّوقُ»^(١)، بَعَالِي أَدْبَهُ
وَالذَّوْقُ. الَّذِي يَجْرِي كَعُبَامٍ^(٢) الْمَاءِ، وَسَحَابِ السَّمَاءِ، وَتَنْحُلُ
بِهِ عُقْدَةُ الْعَبَامَاءِ^(٣). وَدَخَلْتُ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ بَابٍ^(٤)، وَبَلَغْتُ مِنْهُ
الْأَسْبَابَ. أَسْبَابَ سَمَاءِ الْحُبِّ وَمَا هَيْتُهُ، وَرَأَيْتُ هُنَاكَ بَابَ
عِلَامَتِهِ. وَمَنْ أَحَبَّ فِي نَوْمِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ بِوَصْفِ شَادِنِهِ وَرَثِمِهِ.
وَمَنْ أَحَبَّ مِنْ نَظَرَةٍ، وَمَنْ لَا يَحِبُّ إِلَّا بَعْدَ فِتْرَةٍ، وَمَنْ أَحَبَّ
لِوَصْفِ لَا يَسْتَحْسِنُ غَيْرَهُ. وَوَلَجْتُ بَابَ التَّعْرِيزِ، وَإِشَارَةِ الْعَيْنِ
بِالتَّمْرِيزِ. ثُمَّ جَنَحْتُ إِلَى الْمُرَاسَلَةِ وَالسَّفِيرِ، وَإِلَى طَيِّ السَّرِّ
الْخَطِيرِ. وَدَخَلْتُ بَابَ الْإِذَاعَةِ، ثُمَّ بَابَ الطَّاعَةِ. وَخَرَجْتُ إِلَى
الْمُخَالَفَةِ وَالْعَاذِلِ، وَالْمُسَاعِدِ مِنَ الْأَفْضَلِ. وَرَأَيْتُ ثَمَّةَ الرَّقِيبِ،
عِنْدَ الْوَاشِي إِلَى الْحَبِيبِ. وَلَقِيتُ الْوَصْلَ وَالْهَجْرَ، وَالْوَفَاءَ

(١) الطوق: «طوق الحمامة في الإلف والألف».

(٢) الماء الكثير.

(٣) الأحمق.

(٤) سأذكر جميع أبواب كتابه «طوق الحمامة» اللفظ أو المعنى على الترتيب
إجمالاً.

والغدر. والبين والقنوع، ووجدت الضنى بين الضلوع. وخفت السلو والمنية، وعرفت قبح المعصية الدنية، ووقفت عند العفة السنية. ولم أبرح بابها، ولا فارقت أعتابها.

وأما كتابك «المحلى»، فقد دنا إلى القلب وتدلى. وتولى من أمره ما تولى. ولا يزال موقوفاً على سبيل الوصال، بالغدو والآصال، حتى يلقي «الإيصال»^(١). أكبر كتب الإسلام، في فقه الأحكام.

ولقد وصلت القول، وجئت بالعجيب والزول^(٢). في كتاب «الفصل»، في الملل والأهواء والنحل. وأمتعت أولي الألباب، بـ «جمهرة الأنساب». وإن الأعين والأسماع، لتلذ بـ «مراتب الإجماع»، و«حجة الوداع». و«نقط العروس»^(٣)، و«مداوة النفوس». وكتابك العجيب، الموسوم بـ «التقريب»^(٤). وسفر الماتع، المنعوت بـ «الصادع»^(٥). ومما أبهج السريرة، كتابك «جوامع السيرة»، ورسائلك الصغيرة. ولقد أحكمت غاية

(١) كتابه «الإيصال» في سبعين مجلداً، مفقود، وهو أكبر كتبه، بل أكبر كتب الإسلام في بابها.

(٢) العجب.

(٣) نقط العروس في النواذر (مطبوع).

(٤) التقريب في حد المنطق.

(٥) الصادع والرادع فيمن كفر أهل التأويل من المسلمين، والرد على من قال بالتقليد.

الإحكام، تصنيفك في أصول الأحكام. وقَدَّمت الأُصولَ على
طَبَقٍ مِنْ ذَهَبٍ، بِقَبَسٍ ذِي لَهَبٍ، فَسُبْحَانَ مَنْ وَهَبَ !!

وأَمَّا كتابك «التَّلْخِيصُ والتَّخْلِيسُ»^(١)، فقد قرأته بِإِمْعَانٍ
وَتَمَحِيصٍ. وطالعتُ مِنْ بَعْدُ، «الرَّدَّ عَلَى الْهَاتِفِ مِنْ بَعْدُ». وكذا
رسالتك الباهرة، وقصيدتك الظَّاهرة. في الرَّدِّ عَلَى الْجَاهِدِ
الْكُفُورِ، الْمَلِكِ نَقْفُورِ.

ولا سَامَحَ اللَّهُ مَنْ أَحْرَقَ تَصَانِيْفَكَ الْغَوَالِي، وَتَوَالِيْفَكَ الْغَوَالِي.
بِتَحْرِيطِ الْحَاقِدِينَ، وَحَسَدِ الْحَاسِدِينَ !! أَمَّا عِلْمُ الْفَجْفَاجِ^(٢)،
مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ عِلْمٍ وَحِجَاجٍ !! أَتَرَى الْهُوَجَ^(٣) أَعَارَهُ أَثْوَابَهُ،
وَالْإِبْعَاطَ^(٤) فَتَحَ لَهُ أَبْوَابَهُ !! لَقَدْ أَفِكَ وَافْتَرَى، وَأُثِمَ وَاجْتَرَأ !!
وَمَا أَحْرَقَ الْأَخْرَقَ^(٥) الضَّبَّيْسَ^(٦)، سِوَى الْكَاغِدِ^(٧) وَالْقِرَاطِيْسِ.
وَلَقَدْ أَبْقَى لَهُمُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، مَا يَسُدُّ الْغَلَاصِمَ^(٨) وَالْحُلُقُومَ.
وَسَيَّرَدُ الْجَمِيعَ إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ، وَيُكْشِفُ عَنْ قَنَاعِ الرَّيْبِ.

(١) طبع مرّات.

(٢) الكثير الكلام، المُتَشَبِّعُ بما لم يُعْطَ.

(٣) الهَوْجُ: الطَّيْشُ وَالْحُمُقُ وَالتَّنَزُّقُ.

(٤) الغلو في الجهل.

(٥) الحمق والطيش والعجلة.

(٦) الثقليل الروح.

(٧) الورق.

(٨) جمع غلصمة، لها معانٍ، منها: أصل اللسان، والعقدة على ملتقى اللِّهَاءِ
والمرئ.

ولله أنت! ما أشدَّ عزمك الذي لا يني^(١)، وما أروع موقفك
السني، وشِعرك الذي آنقني. وأنت تُخاطب الأوباش^(٢)، بِرِبَاطة
جاش^(٣)!!

فإن تحرقوا القرطاسَ لا تحرقوا الذي

تضمَّنه القرطاسُ بل هو في صدري

يسيرُ معي حيثُ استقلتُ ركائبي

وينزلُ إن أنزلُ ويدفنُ في قبري

دعوني من إحراقِ رَقٍّ وكاغدٍ^(٤)

وقولوا بعلمِ كي يرى الناسُ من يدري

وإلا فعودوا في المكاتبِ بدأةً

فكم دونَ ما تبغونَ لله من سِترٍ

كذلك النصاري يحرقونَ إذا

علتُ أكفهم القرآنَ في مُدنِ الثغرِ

(١) لا يتعب.

(٢) الجهلاء.

(٣) رِبَاطة الجاش: ثبات القلب عند الفزع.

(٤) الرق والكاغد: ما يكتب فيه.

وما تَقَمُّوا من نَهْجِكِ الْجَلِيلِ، إِلَّا أَنْكَ مُعْتَصِمٌ بِالْذَّلِيلِ. مُطَرِّحٌ
لِلتَّأْوِيلِ، وَبَعْضُ الْأَقَاوِيلِ. وما ضَرَّ تَصَانِيْفَكَ وَقَدْ بَلَغْتَ الْآفَاقَ،
إِحْرَاقٌ وَلَا إِغْرَاقٌ، بَلْ يَدْرُسُهَا أَهْلُ الْعِلْمِ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ،
وَمَا دَرَسَهَا دَارِسٌ إِلَّا أَفَاقَ وَفَاقٍ. كما قال، من صالَ وَجالَ، في
هذا المِجالِ.

ما يَضُرُّ الْبَحْرَ أَمْسَى زَاخِرًا

أَنْ رَمَى فِيهِ غُلَامٌ بِحَجَرٍ

كَمْ نَاضَرَتْهُمْ حَتَّى حَرَدُوا^(١)، وَبَالَحَتْهُمْ^(٢) حَتَّى قَرَدُوا^(٣)!!
وَلَكَمْ أَغْوَصَتْ بِالْخُصُومِ^(٤)، وَأَقْدَعَتْ^(٥) بِالْفُهْمِ. حينَ كُنْتَ
تَصُكُّهُمْ صَكَّ الْجَنْدَلِ^(٦)، وَتُنَشِّقُهُمْ^(٧) تَشْقَ الْخَرْدَلِ!!

تَاللَّهِ مَا آثَرْنَاكَ إِلَّا لِسَعِيكَ الْحَيْثُ، فِي نُصْرَةِ الْحَدِيثِ.
وَنُھُوضِكَ بِالتَّجْدِيدِ، وَقَدْ فَشا التَّعَصُّبُ وَالتَّقْلِيدُ. وَغَضَبُكَ لِلْحَقِّ

(١) غضبوا.

(٢) أَعْيَتْهُمْ.

(٣) سَكَتُوا عِيًّا.

(٤) جعلتهم في حيرة؛ من فرط ما أبديت لهم من عويص العلم وشديده.

(٥) رميتهم بالسوء.

(٦) الحجارة.

(٧) تُشْمِئُهُمْ.

وأهله، والجهد دونه ومن أجله. ولصدقك ولصدق آيات،
وعلامات ودلالات. يعرفها أهل الترسّم^(١)، ولا تخفى على
ذوي التوسّم^(٢)!! ولستُ فيك بغالي، وإن حسبوا أن لستُ
بغالي^(٣)، وسأسارعُ إلى الحقِّ بخيلي وبغالي^(٤).

ألا لا يجهلن أحدٌ علينا فيرميننا بتقليد الرجال
كدأود الرضا وسليل حزم وغيرهما من أفراد الجبال
فإن الحقَّ أقربُ يا خليلي من الخِلانِ .. إنَّ الحقَّ غالي
وذلك نهجُ أصحاب المَقفَى^(٥) وأتباع وأتباع وآل^(٦)

وما عذبني شيءٌ كالوفاء، لأهل العرف وإخوان الصِّفاء. وإنَّ
أولي العلم هم الأولي، بالشكر على الجميل وأعلى. وإنِّي لأدعو
المولى سراً وعلانية، لعلماء ثمانية. شربتُ من معين تصانيفهم
حتى رويت، واقتبستُ من نور نهجهم حتى قويت.

(١) التبع.

(٢) الفراسة.

(٣) من الغلاء، ضدَّ الرخص.

(٤) جمع بغل.

(٥) صلى الله عليه وسلم.

(٦) أبيات من قصيدة كتبها في الردِّ على بعض الأصحاب.

ثمانية أُشْرِبْتُ مِنْ سَيْبِ عِلْمِهِمْ
وما كنتُ أَهْوَى غَيْرَهُمْ مِنْ ثمانية
عليُّ ابنِ حزمٍ والجُنَيْدُ^(١) وأحمدُ
بِحَرَآنَ^(٢)، والجُعْفِيُّ، بِأَجْزَا ثَمَانِيَةِ^(٣)
مَعَ ابنِ الوزِيرِ^(٤) الجُبْرِ والزَّرْعِيِّ^(٥) ولي
بِأَسْيُوطَ شَيْخُ^(٦) والمنارُ الثَّمَانِيَةِ^(٧)

- (١) أبو القاسم الجنيد بن محمد (ت ٢٩٧هـ)، ولكلامه وكلام السالكين من قبله ومن بعده - كالحسن البصري، ويحيى بن معاذ، وبشر الحافي، وداوود الطائي، والداراني، والهروي، والكرماني - أثرٌ في تحريك القلوب وإصلاحها وقوتها وقوتها، وهي من كلام الحكمة التي يؤتيها الله مَنْ يَشَاءُ ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، ومنهم المنتفعون بالحكمة.
- (٢) أحمد ابن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ).
- (٣) محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، والأجزاء الثمانية: صحيحه «الجامع الصحيح».
- (٤) محمد بن إبراهيم ابن الوزير (ت ٨٤٠هـ).
- (٥) أبو بكر ابن قيم الجوزية الزرعي (ت ٧٥١هـ).
- (٦) جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، ولله دره، ما كان أعظم فضل مصنفاته على المكتبة الإسلامية !!
- (٧) مدرسة المنار، لا سيما تفسير المنار، ومجلة المنار، أنصح بقراءتهما لأنهما من أوسع المعارف المتأخرة وأصفاها. وطالب العلم إذا انتفع بخبرة علماء عصره اختصر على نفسه وقتًا طويلاً وجهداً كبيراً. ولمدرسة

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

= المنار وثورتها على التقليد والخُرافة والتعصب ونصرة الإسلام، فضلٌ على النهضة الحديثة في المشرق والمغرب ورجال الدعوة والعلم والإصلاح، أمثال حسن البناء، وابن باديس، والإبراهيمي، وابن عاشور، والقاسمي، وابن سعدي، ومن جاء بعدهم كالألباني وسواه. كلُّ قد مسّه قبسٌ من منارها في التحرر والتجديد، لا في كل شيء.

العقامة الفخرية (بين المذيع والتلفاز)

قال أبو العيين:

حَدَّثَ هِيَ بِنُ بَيٍّ^(١)، قَالَ: تَسَاجَلَ الشَّاهِدُ وَالْمَشْهُودُ^(٢)،
عَلَى مَلَأٍ مِنَ الشُّهُودِ. قَالَ أَحَدُهُمَا - وَالْقَوْمُ قَعُودٌ -: أَنَا الْحَقِيقُ
بِالْفَشَاءِ^(٣)، لِأَنِّي قَبْلَكَ فِي النَّشْأَةِ. وَالْفَضْلُ لِلأَوَّلِ، كَمَا قَالَ
الأَوَّلُ:

فَلَوْ قَبْلَ مَبْكَاهَا بَكَيْتُ صَبَابَةً^(٤)

بَلِيلِي شَفَيْتُ النَّفْسَ قَبْلَ التَّنَدُّمِ

وَلَكِنْ بَكَتْ قَبْلِي فَهَيَّجَ لِي الْبُكَاءُ

بُكَاهَا فَقُلْتُ: الْفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ

(١) عَلِمَ عَلَى مَجْهُولٍ، وَيُقَالُ: هَيَّانَ بَنِيَّانَ.

(٢) أُرِدْتُ بِالشَّاهِدِ: الْمَذِياعِ. وَالْمَشْهُودِ: التَّلْفَازِ.

(٣) الْفَشَاءُ: الْفَخْرُ، مِنَ الْفَشَاءِ.

(٤) مَحَبَّةٌ وَشَوْقًا.

وفي أمثال العوام، وأثير الكلام^(١): قَدِيمُكَ نَدِيمُكَ، وَنَدِيمُكَ حَمِيمُكَ. وما أنتَ إِلَّا طَوْرٌ مِنْ أَطْوَارِي^(٢)، وَوَتَرٌ مِنْ أَوْتَارِي. نَظَرُوا إِلَى مُقْتَبِلِي^(٣) وَعُلُوَانِي^(٤)، وَبَدَاهَتِي^(٥) وَعُغْنُوَانِي^(٦). فَأَخْرَجُوا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ^(٧)، قُرُونُهُ فَوْقَ الْجِدَارِ^(٨). كَثِيرَ الْكُلْفَةِ، وَلَوْ كَانَ فِي الْغُرْفَةِ.

فَلَمَّا سَمِعَ الْمَشْهُودُ^(٩)، كَلَامَ الرَّادُّودِ^(١٠). فَكَأَنَّ مِنْ حَبْوَتِهِ^(١١)، وَأَسْرَعَ فِي قَوْمَتِهِ. وَأَنْشَدَ - وَهُوَ يَخْتَالُ - قَوْلَ مَنْ قَالَ:
مَنْ يُسَاجِلُنِي^(١٢) يُسَاجِلُ مَاجِدًا يَمْلَأُ الدَّلَوَ إِلَى عَقْدِ الْكَرَبِ^(١٣)

-
- (١) مآثور الكلام.
(٢) حالٌ من أحوالي اللاّحقّة؛ لأنّ المذيع أكتشف أولاً.
(٣) حالي الأول.
(٤) علُوَانِي: عنواني.
(٥) بداهتي: أوّلِي.
(٦) أوّل تألّقي.
(٧) صوتٌ، وأصل للبقر.
(٨) المراد ما يُسمّى بالإريل.
(٩) هو التلفاز كما تقدّم.
(١٠) هو المذيع كما سلف.
(١١) احتباء الرجل يكون بجلوسه منتصب السّاقين، ويَلْفُ عليهما ثوبًا يحيط به.
(١٢) يفاخرني.
(١٣) البيت للعباس بن عتبة بن أبي لهب. والكَرَب: الحبل الذي يَشُدُّ الدَّلَو.

أنا مِرْآةُ الزَّمانِ^(١)، وسُلْوانُ بني الإنسانِ. زادني الله بَسْطَةً في الحِسمِ، ومَزِيداً في حُرُوفِ الاسمِ^(٢). وزيادةُ المَبْنى، جَلالَةٌ في المَعْنى^(٣). وإنَّه لأَغْنى وأَقْنى. الوُجُوهُ إليَّ نَاطِرَةٌ، والأَفْواهُ نَحْوي فَاغِرَةٌ، والأَنامُ خَلْفِي سَاهِرَةٌ. أَتَتَّقِي الخَبَرَ، مِمَّا بَقِيَ وَغَبَرَ^(٤). فَلَيْسَ الخَبَرُ كَالْعِيانِ، يا رَفِيقَ العُمَيَّانِ. وليس كُلُّ سَبْقٍ فَضْلاً، ولا كُلُّ طَلٍّ وَبَلٍّ^(٥). كما قال مَنْ هَضَمَ، هذا المَعْنى ونَظَّمَ.

والطَّلُّ قد يَدُوْ أَمامَ الوَبْلِ والْفَضْلُ لِلْوَائِلِ لا لِلطَّلِّ
فائْتَفَضَ المَذْياعُ، وهو مُلتاعٌ. يقول: أَيُّها المَأكِرُ النَّاكِرُ،
والْحَكَمُ الجائِرُ. إنْ تَريدُ إلّا أَنْ تَحْجُبَ ضَوْءَ الغَزالَةِ^(٦)، يَدِ
الجُحُودِ والبَطالَةِ. تُفَاخِرُ بالضَّخامةِ والسَّمْنَةِ، وذاك مِنْ قِلَّةِ
الفِطْنَةِ. وتَزْهُو بِطُولِ الاسمِ، وبَسْطَةِ الحِسمِ. تَقْلِيداً لِلقَاعِدَةِ
المَكْذُوبَةِ، والجَمْلَةِ المَخْثُوبَةِ^(٧). هل سَمِعْتَ يا ابْنَ الأَتانَةِ^(٨)،

(١) لأنه يُصوِّرُ الأشياءَ.

(٢) لأنَّ اسمَه (تليفزيون) .

(٣) زيادةُ المَبْنى، جَلالَةٌ في المَعْنى: قاعدة مشهورة، ولكنَّها غيرُ مُطَرَّدة، فقد يكون اللفظ كبيراً وما صدق عليه صغيرٌ، كالْقَرَعَبْلانَةِ.

(٤) ذهب.

(٥) الوَبْلُ والوَائِلُ: المطر الكثير، والَطَّلُ يكون قبله.

(٦) الشمس.

(٧) المَخْثُوبَةُ: الفاسدة. والمراد: الجملة التي ذُكِرَتْ قبلُ: وهي: زيادة المَبْنى دليلٌ على زيادة المَعْنى.

(٨) لغة في الأتان، وهي أنثى الحمار.

عن القرعَبلانة. أكبرُ أسماءِ العالمين، بلا مِين. لِمَا يُشَبِّهُ الذَّرَّةَ،
أو البُرَّة. وهل حروفُ العرشِ إلا ثلاثة، معشر اللوثة^(١) !

ثُمَّ إِنِّي خَفِيفُ الْمَحْمَلِ، لَطِيفُ الْمَحْمَلِ^(٢)، لَا يَكَادُ يَخْلُو
بَيْتٌ مِنْ أُنَيْنِي، وَطَنَيْنِي وَرَنَيْنِي، وَشَجْوِي وَشُجُونِي. وَلَا أَعْلَمُ
مَنْ يَرْمِي مَالِكِي^(٣) بِالتَّحْرِيمِ، وَلَا يَنْهَتْ شَافِعِي^(٤) بِالتَّجْرِيمِ.
فَكُلُّهُمْ يَخْنَفُ^(٥) إِلَيَّ، وَيَحْمَدُ مَوْلَاهُ عَلَيَّ. تُلْفِينِي فِي قَصْرِ
الْخَلَائِفِ وَالْمُلُوكِ، وَيَبْتَ الْفَقِيرِ وَالصُّعْلُوكِ. وَفِي يَدِ الرَّاعِي
لِأَنْعَامِهِ، وَالْبَدْوِيِّ فِي آجَامِهِ^(٦). وَلَدَى الزَّارِعِ فِي بُسْتَانِهِ،
وَالصَّانِعِ بَيْنَ دُحَانِهِ. وَفِي دُورِ الْعُلَمَاءِ، وَمَسَاكِنِ الْعُظَمَاءِ. فِي
جَمِيعِ الدِّيَارِ، وَكُلِّ الْأَقْطَارِ.

انْظُرْ إِلَى صَحْبِي، وَهُمْ قُعُودٌ قُرْنِي. يَحْمِلُونَنِي كَالرَّضِيعِ،
وَيَعْدُونَ بِي فِي كُلِّ رِيعٍ. وَرُبَّمَا عُلِّقْتُ عَلَى الْأَغْصَانِ، أَوْ فِي
مَشَاكِي^(٧) الْبُنْيَانِ. كَمَا قِيلَ:

(١) بِضَمِّ اللَّامِ: الْجَمَاعَةُ.

(٢) مِنَ الْخَمَلَةِ، كِسَاءٌ كَانَ يُلبَسُ الْمَذِياعِ.

(٣) مَالِكِي: مَنْ يَمْلِكُنِي.

(٤) شَافِعِي: أَعْنِي: وَجُودُهُ مَعَ الْمَسْجَلِ فِي جِهَازٍ وَاحِدٍ، يَشْفَعُ بِهِ.

(٥) بِكسر النون: يَمِيلُ.

(٦) الْأَجَمُ: كُلُّ بَيْتٍ مَرْبَعٌ مُسَطَّحٌ، وَالْأَجْمَةُ: الشَّجَرُ الْكَثِيرُ الْمَلْتَفِ،
وَالْجَمْعُ: آجَامُ.

(٧) جَمْعُ مَشْكَاةٍ: كُوَّةٌ غَيْرُ نَافِذَةٍ فِي الْجِدَارِ.

بِلا فِتْنَةٍ تُخْشَى وَلَا سُوءِ عِشْرَةٍ وَلَا أَتَقِي مِنْهُمْ لِسَانًا وَلَا يَدًا
فَدَعُ عَنْكَ الْمُخَاضِنَةَ^(١)، وَالْمُحَاشِنَةَ^(٢) وَالْمُخَاشِنَةَ.

فَاقْبَلَ التَّلْفَازَ فِي صَرَّةٍ^(٣)، وَوَقَفَ فِي الصُّدْرَةِ^(٤). وَقَالَ: اسْمَعْ
يَا هَذَا، وَلَا تَرُغْ لَوَآذًا^(٥). إِنْ كُنْتَ عَلِمَ الْيَقِينَ فَأَنَا الْعَيْنُ، بِلا مَيْنٍ
وَلَا غَيْنٍ^(٦). وَلَيْسَ مَعَ الْعَيْنِ أَيْنُ، أَتَسْوِي بَيْنَ التَّقْدِينَ^(٧)،
وَالْحَاضِرِ وَالْدَيْنِ. لَقَدْ سَلَبْتُكَ كُلَّ خِلَالِكَ، وَمَحَاسِنِ خِصَالِكَ.
فَمَا مِنْ خَصْلَةٍ إِلَّا وَلِي مِنْهَا نَصِيبٌ، وَلَا فَضْلَ إِلَّا كَانَ لِي مِنْهُ
شَائِبٌ^(٨). وَقَدْ صِرْتَ أَيُّهَا الْأَبْلَقُ^(٩)، فِي عُمُومِي الْمُطْلَقِ^(١٠)،
فَمَا مِنْ تَلْفَازٍ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ، إِلَّا وَفِي بَطْنِهِ إِذَاعَةٌ. بِصَوْتِ

(١) المغازلة، والترامي بالقول الفاحش.

(٢) السَّبَاب.

(٣) صيحة.

(٤) الصدر.

(٥) مراوغة.

(٦) بين الذهب والفضة.

(٧) وَلَا لَبْسَ.

(٨) جمع شُؤْبُوب: أوَّل المطر.

(٩) الْبَلَقُ: سواد في بياض.

(١٠) العموم المطلق، كقولك: كلّ سعوديٍّ عربيٍّ، ولا ينعكس، وهنا نقول:

كلّ تلفاز مذياع، ولا ينعكس. وهناك عموم وخصوص وجهي.

صَدَّاحُ، فِي كُلِّ صَحْصَاحٍ^(١). وَسُتْصَبِحُ مِنَ الْمَأْثُورِ، كَبَعْضِ الْخَيْتَعُورِ^(٢). تُوضَعُ فِي الْمُتَحَفِّ، كَمَا يُوضَعُ الْقَرْطَفُ^(٣).

وَلَمْ يَقُلْ بِتَحْرِيمِي إِلَّا مَنْ عَجِلَ، أَوْ وَرَعَ أَوْ وَجِلَ، وَبِئْسَ الصَّاحِبُ الْعَجِلُ! وَبَعْضُ الْوَرَعِ خَجَلٌ. وَمَا أَبْرَأَى نَفْسِي، وَلَا أَجْحَدَ نَوْسِي^(٤). وَالْكَيْسُ مَنْ أَخَذَ نَفْعِي، وَاتَّقَى نَفْعِي^(٥). فَأَنَا كَالسَّيْفِ ذُو حَدَّيْنِ، وَالسَّكِينِ فِي الْيَدَيْنِ. فَمَنْ شَاءَ فَلْيَقْطَعْ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْنَعْ^(٦).

قَالَ الْمَذِياعُ: أَيُّهَا الْمُتَلَفُ لِلْعُيُونِ، الْمُسَمَّى بِالتَّلْفِيزِيُونِ. خَيْرُكَ وَفَيْرُ، وَشَرُّكَ كَثِيرُ. كَمْ هُنَالِكَ مِنْ عَيُونٍ مُحْمَرَّةً، وَوَجُوهٍ مُصْفَرَّةً. وَأَجْسَادٍ وَانِيَّةً، وَقُلُوبٍ عَانِيَّةً. وَجُسُومٍ أَرْنَتْ^(٧)، وَبُطُونٍ سَمِنَتْ. جَرَاءَ الْقُعُودِ، وَالنَّظَرِ وَالشُّهُودِ. ضَعُفَتْ الْقَمَاحِدُ^(٨) وَالرَّقَابُ،

(١) ما استوى من الأرض.

(٢) السَّرَابُ، وَكُلُّ مَا لَا يَدُومُ عَلَى حَالَةٍ وَيَضْمَحِلُّ.

(٣) القُطَيْفَةُ.

(٤) النَّوْسُ وَالنَّوَسَانُ: التَّذْيِذُ.

(٥) غُبَارِي.

(٦) كَنَعَ، كَمَنَعَ: انْقَبَضَ، وَانْضَمَّ.

(٧) امْتَلَأَتْ شَحْمًا.

(٨) آخِرُ الْقَفَا.

وَوَيْتَ الْجُنُوبُ وَالْأَصْلَابُ. يَا مَشْهُودَ السَّادَةِ^(١) وَالْعَوْغَاءُ^(٢)،
وَمَرَّاحَ الْقَذُورِ^(٣) وَالْبِغَاءُ. وَالْمَجَانِينَ وَالْعُقْلَاءُ، وَالْخِيفَافِ
وَالثُّقْلَاءُ. هَلَّا سَأَلْتُ أُولَى الْأَبْصَارِ! لِمَ قُدِّمَ السَّمْعُ^(٤) عَلَى
الْإِبْصَارِ، فِي كَلَامِ الْجَبَّارِ؟ أَنَا آلَةٌ سَمْعٌ، أَيُّهَا السَّمْعُ. وَالشَّيْءُ
يَشْرَفُ بِآلَتِهِ، وَمُتَعَلِّقُهُ وَحَالَتِهِ. وَإِنَّمَا شَرَفْتُ بِذَلِكَ، وَلَمْ تَشْرَفْ
بِهِ هُنَالِكَ. لِأَنِّي خُصِّصْتُ بِالْإِسْمَاعِ، بِالْإِجْمَاعِ. وَالسَّمَاعُ لَكَ
عَرَضٌ وَإِنْ تَجَوَّهَرُ^(٥)، وَالنَّظَرُ فَيْكَ جَوَهَرٌ وَإِنْ تَجَهَّوَرُ^(٦). وَمِمَّا
زَادَنِي شَرَفًا وَفَخْرًا، وَطِيبَ ذِكْرٍ وَذِكْرَى. أَنَّنِي أَضْمُّ بَيْنَ
الْأَحْضَانِ، إِذَاعَةَ الْقُرْآنِ. وَإِذَاعَةَ نَدَاءِ الْإِسْلَامِ، الْمُنَادِيَةَ بِالسَّلَامِ.
وَقَدْ بَقِيَ فِي الْجَعْبَةِ^(٧)، مَا يَغِيظُ رَبَّ الْكَعْبَةِ! وَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ
الْكَبِيرِ، وَهُوَ نِعَمَ الْمَوْلَى وَنِعَمَ النَّصِيرِ.

(١) الأشراف.

(٢) الجهلة.

(٣) المرأة التي اعتزلت الرجال.

(٤) الذُّب.

(٥) وإن كان موجوداً بالأصالة، لكن الأصل الجلوس للتلفاز المشاهدة.

(٦) وإن صار مجهوراً به، أي: مصحوباً بصوت.

(٧) الكِنَانَةُ التي فيها الرِّمَاح، والعامَّة يضمُّون الجيم، وهو لحن.

المَقَامَةُ الأَعْرَابِيَّةُ

قال أبو العيين:

خَيْلَ إِلَيَّ أَتْنِي لَقِيتُ بِيَّابٍ^(١)، خَرَابٌ، رَجُلًا مِّنَ الأَعْرَابِ. مِّنْ
بَادِيَةِ ذِي الرُّمَّةِ غَيْلَانَ^(٢)، غَيْرُ طَوِيلٍ مُّشْعَانٍ^(٣). يَمِيلُ إِلَى
الْقَمَاءِ^(٤) وَالْقَلَّاشَةِ^(٥)، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ. فَرَدَّ التَّحِيَّةَ،
وَتَكَلَّمَ بِأَرْيَحِيَّةٍ^(٦). وَجَاءَتْنَا الْخَادِمُ^(٧) تَمْشِي عَلَى رِسْلِ، بِقَعْبَيْنِ
مِّنْ رِّسْلِ^(٨). وَتَحَادَّثْنَا حَتَّى انْدَفَعَ الْإِيحَاشُ^(٩)، وَسَرَى فِي
عُرُوقِنَا الْإِتِّعَاشُ. وَلَمْ يَكُ يَفْهَمُ الْخِطَابَ، إِلَّا بِالْفَصَاحَةِ
وَالْإِعْرَابِ.

(١) خراب.

(٢) غيلان ذو الرُّمَّة، شاعرٌ أمويٌّ، معظمُ شِعْرِهِ مُشْتَمِلٌ عَلَى أَلْفَافٍ أَهْلُ
الْبَادِيَةِ، لَا سِيَّمَا وَصَفَ الصَّحْرَاءَ وَالْإِبِلَ وَالْقَفَارَ.

(٣) مَتَفَشَ الشَّعْرَ، نَافَرَ الرَّأْسَ.

(٤) الْقَمَاءُ: الصَّغَرُ وَالذَّلُّ.

(٥) الْقَلَّاشَةُ: الصَّغَرُ وَالْقِصَرُ.

(٦) بَسْخَاءَ.

(٧) يُقَالُ لِلْمَرْأَةِ الَّتِي تَخْدُمُ: خَادِمٌ وَخَادِمَةٌ.

(٨) بِلِئَاءٍ مِنْ لَبَنٍ.

(٩) الْوَحْشَةُ.

فقلتُ له: أَنْتُمْ مَعْشَرَ الْأَعْرَابِ، وساكني البَدْوِ واليَبَابِ.
مَسَاوِيكُ اللِّسَانِ، وَمَعْجُونَ الْأَسْنَانِ^(١). أَسَايِذَةُ ابْنِ
قُرَيْبٍ^(٢)، في الغَرِيبِ بلا رَيْبٍ. وَمِنْكُمْ تَلَقَّنَ وَأَضِيعُ اللِّسَانِ،
عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ^(٣). وصانعُ وزنِ القصِيدِ، فَتَى
فَرَاهِيدٍ^(٤). والعالمُ البرْعِيسُ^(٥)، مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسٍ^(٦). وَسَحْبَانُ
وَائِلٍ^(٧)، وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْأَوَائِلِ.

وَالْيَكْمُ يَخْتَصِمُ النَّاسَ، لِيَحْكُمُوا بِالْقِسْطَاسِ^(٨). فَتَحْكُمُونَ
بِالسَّوِيَّةِ، وَتَعْدِلُونَ فِي الْقَضِيَّةِ. وَتُقْسِطُونَ وَلَا تَقْسِطُونَ^(٩)،
وَتَعْدِلُونَ وَلَا تَعْدِلُونَ^(١٠).

(١) كناية عن أنهم يرجعون لتصحيح النطق بالألفاظ.

(٢) عبد الملك بن قُرَيْبِ الْأَصْمَعِيِّ (٢١٦هـ)، روى عن الأعراب شيئاً كثيراً.

(٣) أبو بشر عمرو بن عثمان (سيبويه)، واضع علم النحو (١٨٠هـ).

(٤) الخليل بن أحمد الفراهيدي، واضع علم العروض وشيخ سيبويه (ت ١٧٠هـ).

(٥) الصبور.

(٦) محمد بن إدريس الشافعي، أحد الأئمة الأربعة، حُجَّةٌ في العربية (ت ٢٠٤هـ).

(٧) سحبان وائل: خطيبٌ يُضْرَبُ به المثل في الفصاحة والبلاغة (ت ٥٤هـ).

(٨) بالعدل.

(٩) يقال: قسط: إذا جار، وأقسط: إذا عدل، فالهمزة فيه للإزالة.

(١٠) تَعْدِلُونَ فِي الْحَكَمِ، وَلَا تَعْدِلُونَ عَنِ الْحَقِّ.

يُقال: إِنَّكُمْ حَكَمْتُمْ بَيْنَ الْكِسَائِيِّ وَعَمْرُو^(١)، فِي بَعْضِ الْأَمْرِ.
أَعْنِي: مَسْأَلَةَ الزُّبُورِ وَالْعُقْرَبِ^(٢)، وَكُنْتُمْ إِلَى الْكِسَائِيِّ أَقْرَبَ.
وَلَمْ تَقْدِرُوا عَلَى الْمُصَارَحَةِ، فِي تِلْكَ الْمُطَارَحَةِ. وَقُلْتُمْ فِي وَجَلٍ
وَخِيفَةٍ: الْقَوْلُ مَا قَالَ ذُو الْكُوفَةِ. فَاعْتَمَّ لِذَلِكَ سَيِّبُوهُ، وَنَكَصَ
عَلَى عَقِبَيْهِ. وَانْطَلَقَ إِلَى الْعَرَاءِ^(٣)، وَهُوَ مِنْ قَوْلِكُمْ بَرَاءً. وَغَصَّ
حِينَهَا بِرِيقِهِ، وَقَضَى^(٤) فِي طَرِيقِهِ. وَبَقِيَ النَّاسُ فِي لَيْتٍ وَلَوْ،
وَأَكْثَرُ النَّاسِ بَوَّ^(٥).

وَلَقَدْ صَوَّرَ ذَلِكَ النَّاطِمُ، أَبُو الْحَسَنِ حَازِمٌ^(٦). تَصْوِيرًا يَنْخَلِعُ
لَهُ الْفُؤَادُ حُزْنًا، وَتَسِيلُ لَهُ الدَّمُوعُ مُزْنًا^(٧). وَنَقَلَ أَيْبَاتَهُ ابْنُ هِشَامٍ

(١) سيبويه.

(٢) المسألة الزُّبُورِيَّة: نِسْبَةٌ إِلَى الزُّبُورِ، مَسْأَلَةٌ مُحَاجَّةٌ بَيْنَ الْكِسَائِيِّ
وَسَيِّبُوهِ، يُقَالُ: إِنْ الْكِسَائِيُّ أَرَادَ تَغْلِيظَ سَيِّبُوهِ، فَقَالَ لَهُ: كَيْفَ تَقُولُ
فِي: كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ الزُّبُورَ أَشَدَّ لِسَعَةٍ مِنَ الْعُقْرَبِ، فَإِذَا هُوَ إِيَّاهَا، أَمْ فَإِذَا
هُوَ هِيَ؟ فَقَالَ سَيِّبُوهِ: فَإِذَا هِيَ هِيَ. فَعَلَّطَهُ الْكِسَائِيُّ، فَاحْتَكَمُوا إِلَى
الْأَعْرَابِ، وَلُقِّنُوا أَنْ يُوَافِقُوا الْكِسَائِيَّ، فَاعْتَمَّ سَيِّبُوهِ لِذَلِكَ، وَمَاتَ
بَعْدَهَا. وَحَيَاكَةُ الْقِصَّةِ فِيهَا مَا يَشِيرُ إِلَى الْوَضْعِ !

(٣) فضاء الصحراء.

(٤) مات.

(٥) البَوَّ: لَهُ مَعَانٍ، مِنْهَا: الْأَحْمَقُ، قَالَ سَبْحَانَهُ: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

(٦) حازم بن محمد القرطاجني، أديب من العلماء، له شعر (٦٨٤هـ).

(٧) المزن: المطر.

الأريب، في «مُعْنِي اللَّيْبِ». وَقَدْ أَحْسَنَ فِيهَا مَا شَاءَ، وَقَالَ فِي
آخِرِ الْإِنْشَاءِ:

وَالْعُرْبُ قَدْ تَحْذِفُ الْأَخْبَارَ بَعْدَ إِذَا

إِذَا عَنَّتْ فَجَاءَ الْأَمْرَ الَّذِي دَهَمَا

وَرُبَّمَا نَصَبُوا لِلْحَالِ بَعْدَ إِذَا

وَرُبَّمَا رَفَعُوا مِنْ بَعْدِهَا رُبَّمَا^(١)

فَإِنْ تَوَالَى ضَمِيرَانِ اكْتَسَى بِهِمَا

وَجْهَ الْحَقِيقَةِ مِنْ إِشْكَالِهِ غَمَمَا^(٢)

لِذَاكَ أَعْيَتْ عَلَى الْأَفْهَامِ مَسْأَلَةٌ

أَهْدَتْ إِلَى سَيِّئِيهِ الْحَتْفَ وَالْغُمَمَا^(٣)

قَدْ كَانَتْ الْعَقْرَبُ الْعَوْجَاءُ أَحْسَبُهَا

قَدُمًا أَشَدَّ مِنَ الزُّبُورِ وَقَعَ حُمَى^(٤)

(١) بتخفيف الباء.

(٢) أي: خفيت الحقيقة.

(٣) جمع غُمة.

(٤) جمع حُمة: السُّم.

وفي الجَوَابِ عَلَيْهَا هَلْ إِذَا هُوَ هِيَ

أَوْ هَلْ إِذَا هُوَ إِيَّاهَا قَدْ اخْتَصَمَا

وخطأ ابنُ زيادٍ^(١) وابنُ حمزة^(٢) في

ما قال فيها أبا بشرٍ^(٣) وقد ظَلَمَا

وَعَاظَ عَمْرًا عَلِيٌّ فِي حُكُومَتِهِ

يَا لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ فِي أَمْرِهِ حَكَمًا

كَغَيْظِ عَمْرٍو عَلِيًّا^(٤) فِي حُكُومَتِهِ

يَا لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ فِي أَمْرِهِ حَكَمًا

وَفَجَعَ ابْنُ زِيَادٍ^(٥) كُلَّ مُتَخَبِّ

مِنْ أَهْلِهِ إِذْ غَدَا مِنْهُ يَفِيضُ دَمًا

(١) المراد به الفرّاء، واسمه: يحيى بن زياد.

(٢) عليّ بن حمزة الكسائي.

(٣) كنية سيبويه.

(٤) المراد بعمرّو وعليّ في هذا البيت: عمرو بن العاص، وعليّ بن أبي

طالب، وفي البيت السابق: سيبويه وعليّ الكسائي.

(٥) الفرّاء.

كَفَجَعَةِ ابْنِ زِيَادٍ كُلِّ مُتَخِيبٍ

مِنْ أَهْلِهِ إِذْ غَدَا مِنْهُ يَفِيضُ دِمَا^(١)

وَأَصْبَحَتْ بَعْدَهُ الْأَنْقَاسُ^(٢) بَاكِيةً

فِي كُلِّ طِرْسٍ^(٣) كَدَمَعٍ سَحٍّ وَأَنْسَجَمَا

وَلَيْسَ يَخْلُو أَمْرُؤٌ مِنْ حَاسِدٍ أَضْمٍ^(٤)

لَوْ لَا التَّنَافُسُ فِي الدُّنْيَا لَمَّا أَضِمَا^(٥)

وَالْغَبْنُ فِي الْعِلْمِ أَشْجَى مِحْنَةٍ عُلِمَتْ

وَأَبْرَحُ النَّاسِ شَجَوَا عَالِمٌ هُضِمَا

كُلُّ ذَلِكَ وَالْأَعْرَابِيُّ يَنْتَفُ إِبْطَهُ، وَلَا يُظْهَرُ الْغِبْطَةُ. فَقُلْتُ:
مَا لَكَ أَيُّهَا الْبَادُ، أَنَا فِي وَادٍ وَأَنْتَ فِي وَادٍ؟!

(١) بكسر الدال، جمع، والذي قبله بالفتح، مفرد، والذي وجدته في النسخ المطبوعة الفتح في اللفظين..

(٢) جمع نقس: المداد.

(٣) صحيفة.

(٤) حاقد حاسد.

(٥) غَضِبَ.

فَقَالَ: بَلْ سَمِعْتُ هَذِهِ الْمُحَاضِرَةَ، يَا ذَا الْحَاضِرَةِ. وَلَكِنِّي فِي شَكٍّ مِنْ حَيَاكَةِ الْحِكَايَةِ، وَتَفَاصِيلِ الرِّوَايَةِ. نَبِّئْنِي بِإِسْنَادِهَا بَعْلَمَ، وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ. لَا تَقُلْ: هَذَا خَبَرٌ مَشْهُورٌ عَلَى الْأَلْسِنَةِ، نَقَلَهُ فُلَانٌ وَاسْتَحْسَنَهُ. فَمَا كُلُّ مَشْهُورٍ صَحِيحٌ، قُلْتُ: وَبَعْضُ الْمَشْهُورِ صَحِيحٌ.

فَقَالَ بِصَوْتٍ عَالٍ - بَعْدَ نَحْنَحَةٍ وَسُعَالٍ -: هَذِهِ جُزْئِيَّةٌ، يَا أَخَا الْكَلِّيَّةِ. قُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ! أَعْرَابِيٌّ يَنْطِقُ، بِمُفْرَدَاتِ الْمَنْطِقِ. فَزَهَرْقُ^(١) حَتَّى اسْتَلْقَى، وَاسْلَهَمَ^(٢) حِينَ اسْلَنْقَى^(٣). ثُمَّ نَهَضَ وَقَالَ، إِنَّ الْبَالَ، فِي بَلْبَالٍ وَبَلْبَالٍ^(٤). وَكَيْفَ لَا آسَى^(٥)، وَقَدْ جَعَلْتُمُونَا عَصَا مُوسَى، تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونُ، وَتَلْعَقُ مَا تَسْفِكُونُ!! ثُمَّ عَادَ إِلَى رَحْلِهِ، وَانْقَلَبَ إِلَى أَهْلِهِ. وَقَالَ: إِلَى اللَّقَاءِ، عِنْدَ شَجَرِ الْآءِ^(٦).

(١) زَهَرْقَ: أَكْثَرَ مِنَ الضَّحْكَ.

(٢) اسْلَهَمَ: تَغَيَّرَ لَوْنُهُ..

(٣) اسْلَنْقَى: اسْتَلْقَى عَلَى ظَهْرِهِ.

(٤) هَمَّ وَوَسَّوَسَ.

(٥) لَا أَحْزَنُ وَأَتَوَجَّعُ.

(٦) نَوْعٌ مِنَ الشَّجَرِ، مَفْرَدَةٌ: آءٌ.

المَقَامَةُ التَّمْهَدِيَّةُ

(بين تميمي وهذلي)

قال أبو العيين :

إِلْتَقَى هُذْلِيٌّ فَتَى مِنْ تَمِيمٍ، عِنْدَ كُرَاعِ الْغَمِيمِ^(١). قَالَ التَّمِيمِيُّ:
كَيْفَ الْحَالُ؟^(٢) قَالَ الْهُذْلِيُّ: مَا هَذَا السُّؤَالُ، أَيُّهَا السَّحْلَالُ^(٣)؟
تَسْأَلُنِي فَلَطًا^(٤)، وَأَمْرًا خَائِبًا فُرْطًا! وَجَبَذَ^(٥) بِيَدِهِ الْعَجُوزَ^(٦)،
قَائِلًا: إِنَّ هَذَا لَا يَجُوزُ، وَلَوْلَا أَنَّكَ شَبَخَ^(٧) عَجُوزُ. لَفَقَاتُ
عَيْنَكَ، حَتَّى تُبْصِرَ حَيْنَكَ^(٨)!

(١) الْغَمِيم: وادٍ، أَمَامَ عُسْفَانَ بِشَمَانِيَةِ أُمَيَّالَ.

(٢) الْحَالُ: الْمَرَأَةُ، فِي لُغَةِ هَذِيلَ، وَهَذِهِ اللَّفْظَةُ هِيَ عَقْدَةُ هَذِهِ الْمَقَامَةِ، الَّتِي
بُنِيَتْ عَلَيْهَا الْمَشْكَلَةُ بَيْنَ الْهُذْلِيِّ وَالتَّمِيمِيِّ.

(٣) كَبِيرُ الْبَطْنِ.

(٤) فَجَاءَةً، فِي لُغَةِ هَذِيلَ.

(٥) لُغَةٌ فِي جَذَبَ، لَدَى التَّمِيمِيِّينَ.

(٦) الْبِدَ الْيُمْنَى.

(٧) هُوَ الشَّيْخُ فِي لُغَةِ هَذِيلَ.

(٨) مَوْتِكَ.

قال التَّمِيمِيُّ - وكأَنَّمَا صُقِعَ^(١)، أو دُفِعَ فَصُرِعَ -: وَيَلَكْ!
عَيْنِي^(٢) لَمْ أَقُلْ هُجْرًا^(٣)، ولا فَعَلْتُ حِجْرًا^(٤). أَفْلَطَ^(٥) يَدِي، أَيُّهَا
الرَّدِّي. فَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ قَحْمًا^(٦)، أَكُنْزُ مِنْكَ لَحْمًا. وَأَشَدُّ بَأْسًا،
وَأَعْظَمُ فَأْسًا، وَأَصْلَبُ رَأْسًا. وما أَنْتَ إِلَّا رِبْذَةٌ^(٧) البَعِيرِ^(٨)، أو
نُخَالَةُ الشَّعِيرِ^(٩)! وجاءت سَيَّارَةٌ^(١٠)، فاستَقْدَمَهُمْ بالإشارة. قال
الهدلي - وهو في دُعْرٍ -: أَيُّهَا الْعَبْرُ^(١١)، أَحْكُمُوا بَيْنَنَا بِالْحَقِّ
ولا تُشْطِطُوا، وأَقْشَطُوا ولا تَقْشَطُوا^(١٢). إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ
السَّبْنَدَى^(١٣)، فَعَلَ شَيْئًا إِذَا^(١٤). تَخِرُّ مِنْهُ الْجَعَامِيسُ^(١٥)

-
- (١) صُقِعَ بمعنى: صُعِقَ عند التَّمِيمِيِّينَ.
(٢) عَيْنِي: أصلها: إِنِّي، والتَّمِيمِيُّونَ يبدلون مثل هذه الهمزة عَيْنًا.
(٣) قولاً فاحشاً.
(٤) حراماً.
(٥) أي: أفلت.
(٦) الشيخ الهرم الكبير.
(٧) هي الصُّوفَةُ أو الخِرْفَةُ التي يُطلَى بها الجمل الأجرب، وهي لفظة
تميمية.
(٨) بكسر الباء، على لغة تميم.
(٩) بالكسر أيضاً.
(١٠) جماعة تسير.
(١١) الجماعة في لغة هذيل.
(١٢) أقسط بمعنى: عدل وأزال الظلم. وأما قسط: فمعناه: جار وظلم.
(١٣) الطويل في لغة هذيل.
(١٤) عظيماً.
(١٥) النخل في لغة هذيل.

الطَّوَالُ، وَتَنْفَطِرُ لَهُ مَنَاكِلُ^(١) الْحِبَالِ. يَسْأَلُنِي عَنِ الْحَالِ بِوَقَاحَةٍ
وَجُرْأَةٍ، يَسْأَلُنِي وَاللَّهِ عَنِ الْمَرْأَةِ !

بِأَيَّةِ عُرْفٍ أَمْ بِأَيِّ مُرُوءَةٍ

تَسَلُّ^(٢) أَيُّهَا الْمِسْكِينُ عَنْ عَوْرَاتِي^(٣) ؟ !

إِذَا زَالَ مِنْ وَجْهِ الْحَيَاءِ إِشَاحُهُ^(٤)

تَخَوَّفَ^(٥) ذَاكَ الْوَجْهَ فِي لِحْظَاتِ

أَلَا فَسَلُّوا^(٦) هَذَا السَّمِيجَ^(٧) عَنِ الَّذِي

أَبَانَ بِهِ جَهْرًا عَلَى الطَّرِيقَاتِ !!

وَجَعَلَ يَشْعُرُ، مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ^(٨). وَالْقَوْمُ فِي ضَحِكٍ
وَقَرَقَرَةٍ، وَعَجَبٍ وَكَرْكِرَةٍ. فَازْدَادَ غَيْظُ الْهَذَلِيِّ وَتَنَمَّرَ، وَجَاشَ مِنْ

(١) جمع مَنَكَلٍ، وهو الصخر في لغة الهذليين.

(٢) بإسقاط الهمزة، لغة هذيل.

(٣) بفتح الواو، هُذَلِيَّةٌ.

(٤) الإشاح: لغة في الوشاح، هُذَلِيَّةٌ.

(٥) تَنَقَّصَ، ومنه قوله تعالى في سورة (النحل): ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمُ
لَرَّءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٤٧).

(٦) بإسقاط الهمزة، لغة هذيل.

(٧) السَّمِيجُ: الذي لا ملاحه له، في لغة هذيل، وأعني به سؤاله عن
(الحال).

(٨) أي: يقول الشعر من حيث لا يدري.

الْحَقَّ^(١) وَتَسَعَّرَ. قالوا: أَيُّهَا الرَّجُلُ، إِنَّكَ لَوَجِلٌ عَجَلٌ. يكفي أَنْ
نَقُولَ: إِنَّكَ عَرِيضُ الْقَفَا، وَحَسْبُكَ بهذا وكفى. إِنَّهُ يَسْأَلُ عَنْ
ذَاتِكَ، لَا عَنْ شَرِيكَ حَيَاتِكَ. فَلَيْسَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ وَالْبَرَبِ،
إِطْلَاقُ الْحَالِ عَلَى ذَاتِ الْمَحْجَرِ. أَصْلَحَ اللَّهُ بِأَلْكَ^(٢)، وَشَفَى
بَلْبَ أَلْكَ^(٣). وَأَقْصَى خَالَكَ^(٤)، وَأَرَاكَ عِيَالَكَ!! فَصَرَخَ التَّمِيمِيُّ
وَضَرَبَ بِالْمِخْجَنِ^(٥)، وَقَالَ: وَاللَّهِ كِدْتُ أُجَنُّ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
نَجَّانِي مِنَ الْقَتْلِ، وَأَنْقَذَنِي مِنَ الْبَسْلِ^(٦). وَذُهُولَ هَذَا الْهَذَلِيِّ،
عَنْ اخْتِلَافِ لِسَانِهِ وَمِقْوَلِي!! مَا هَذِهِ الْغُلْظَةُ^(٧)، الَّتِي أَصَابَتْني
بِكُظَّةٍ^(٨). أَفَرَعْتَنِي بِمَخُوفٍ، حَتَّى صِرْتُ كَالْمَدْوُوفِ^(٩)؟! تَاللَّهِ
مَا أَنْتَ إِلَّا صَاحِبُ تَوْهِيْقٍ^(١٠)، ضَلِلْتُ^(١١) عَنْ سَوَاءِ الطَّرِيقِ.

(١) الغضب.

(٢) عقلك.

(٣) همك.

(٤) ظنك وتوهمك.

(٥) العصا.

(٦) الهلاك.

(٧) بضم العين، لغة تميم.

(٨) كرب وجهد.

(٩) المعلول أو المسحوق، والقياس: مدوف، ولكن التميميين يقولون
ذلك، كما يقولون أيضاً: مَدْيُونٌ وَمَزْيُونٌ ومقوود.

(١٠) يقال: توهق فلان فلاناً في الكلام: إذا اضطره إلى ما يتحير فيه.

(١١) بكسر اللام، لغة تميم.

كيف لي أن أسأل عن الزوجة^(١)، ولم أرك قبل في وادٍ ولا لجة. ولا أكلت معك في جفنة^(٢) أو صحفة^(٣)، ولا لقيت بك ضحى أو سدفة^(٤)! إن هذا لشيء عجاب، ما سمعنا به ولا قرأناه في كتاب. ولم نعهده^(٥) في جد ولا لعب! ضيقت علي الأرض بما رحبت^(٦)، وهلكك^(٧) نفسي بلا رحمت^(٨). أين أنت أيها الغافل، عن خلق ابن غافل^(٩)؟ عليه الرحمة والرضوان^(١٠)، في كل وقت وأوان. صاحب العلم والحكم، الرامي أفلاطون

(١) الأفضح: زوج، والتميمون يقولون: زوجة.

(٢) الجفنة: القصعة الكبيرة، والصحفة نحوها.

(٣) السدفة: الظلمة، لغة تميمية.

(٤) بكسر النون، وأهل تميم يكسرون أول المضارع في نحو هذا.

(٥) بسكون الحاء، على لغة تميم.

(٦) يقول التميميون: هلكني، وهلكنتي، والمشهور في اللغات الأخرى: أهلكني وأهلكنتي.

(٧) بالتاء المفتوحة، وقريش وسائر الحجازيين يَقْفُونَ - في مثل هذا - بالهاء، وقد رُسِمَت كثير من التاءات في القرآن على التاء المفتوحة، ومن ذلك: ﴿رَحِمَتْ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٨]، ﴿نَعِمَتَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٣١]، ﴿يَقِيتُ اللَّهُ﴾ [هود: ٨٦].

(٨) عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي، الصحابي الجليل، المشهور بالفقه والزهد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢هـ).

(٩) الرضوان: ضدُّ السُّخْط، بضم الراء، على لغة تميم.

بالبكم^(١). وعالي الرتبة، عبد الله بن عتبة، مفتي طيبة^(٢). وعظيم الشأن، القاسم بن معن^(٣). والهذلي بالولاء المنقول، التابعي مكحول^(٤). والشعراء البواقع، والفصحاء المصاقع: أبو ذؤيب^(٥) وأبو بكر^(٦)، وأبو خراش^(٧) وأبو صخر^(٨). والشاعر الفحل، أبو كبير بن سهل^(٩).

فتهلل وجهه الهذلي وبرق، وهذأت سوره^(١٠) ورق. وإنما دواء العربي وشفاءه، أن يذكر له آباؤه. وأن يشبهوا بالنجوم

(١) أفلاطون: .

(٢) مفتي طيبة: عبد الله بن عتبة بن مسعود، مفتي المدينة، وأحد الفقهاء السبعة (ت ٩٨هـ).

(٣) القاسم بن معن المسعودي الهذلي، قاضي الكوفة، من حفاظ الحديث (ت ١٧٥هـ).

(٤) مكحول الشامي، فقيه كثير الإرسال، توفي سنة بضع عشرة ومئة.

(٥) خويلد بن خالد بن محرث الهذلي، شاعر فحل، مخضرم، توفي نحو ٢٧هـ.

(٦) سلمى بن عبد الله، وقيل في اسمه: روح. أخباري (ت: ١٦٧هـ).

(٧) خويلد بن مرة خراشة بن عمرو الهذلي، شاعر مخضرم، وفارس فاتك، توفي نحو ١٥هـ.

(٨) عبد الله بن سلمة، شاعر من الفصحاء، وكان موالياً لبني مروان، متعصباً لهم (ت ٨٠هـ).

(٩) شاعر مخضرم، (ت ١٥هـ) تقريباً.

(١٠) حدة غضبه.

الطَّوَالِعُ، والبُدُور اللَّوَامِعُ. فَاتَّقَدَ خَاطِرُهُ، وَتَقَلَّبَ نَاضِرُهُ. وَقَالَ:
سَارِدٌ عَلَى ثَنَائِكَ بِنَاءً، وَأَرْفَدُهُ بِنَاءً وَسَنَاءً. وَسَأَكُونُ لَكَ يَا ابْنَ
تَمِيمٍ، مِثْلَ أَخٍ حَمِيمٍ. وَأَذْكُرُ أَسْلَافَكَ الْأَسَاوِدَ^(١)، وَأَبَاءَكَ
الْأَمَاجِدَ. فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ، يَا أُولِي الْقُوَّةِ وَالْفُتُوَّةِ. ثُمَّ أَلْقَى السَّمْعَ،
إِلَى ذَلِكَ الْجَمْعِ. فَجَمَعَ مَا قَالُوا فِي صَدْرِهِ، ثُمَّ نَظَمَهُمْ فِي شِعْرِهِ.
إِنَّ التَّمِيمِيِّينَ بَيْنَ النَّاسِ

كَذَهَبٍ أَوْ جَوْهَرِ الْأَلْمَاسِ
مِنْهُمْ أَبُو عَمْرٍو فَتَى الْعَلَاءِ
وَابْنُ الْمُبَارِكِ عَلَى وَلَاءِ^(٢)
وَأَكْثَمُ وَأَقْرَعُ وَابْنُ شُمَيْلٍ^(٣)
وَالزَّبْرَقَانُ وَابْنُ عَمْرٍو وَالْفُضَيْلُ^(٤)

(١) الأجلَاء.

(٢) أبو عمرو بن العلاء البصري، أحد القراء السبعة (ت ١٥٤هـ). وابن
المبارك، هو عبد الله، التميمي بالولاء، الإمام المشهور (ت ١٨١هـ).

(٣) أكثم بن صيفي، حكيم العرب في الجاهلية (ت ٩هـ). والأقرع، هو ابن
حابس المجاشعي، صحابي، ومن سادات العرب في الجاهلية (ت
١٣هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وابن شميل، هو: النضر المازني، أحد أئمة اللغة،
أخرج له أصحاب الكتب التسعة (ت ٢٠٣هـ).

(٤) الزَّبْرَقَانُ بن بدر السَّعْدِي، صحابي، من رؤساء قومه، شاعر فصيح (ت
٤٥هـ) تقريباً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وابن عمرو هو القعقاع، أحد الفرسان =

وصاحب التوحيد ذو التجديد

والموصلي، وعدي زيد^(١)

والشعراء: مالك، وقطري

ورؤبة والدارمي والمنقري^(٢)

ثم قام فنحر قلو صه، وقال: دواء الشق أن تحوصه^(٣). وقد
قسوت عليك في الطغي^(٤)، وتجاوزت في البغي. ويوم تأت^(٥)

= المخضرمين، له صُحبة، وكان شاعراً فحلاً (ت ٤٠هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
والفضيل هو ابن عياض، من كبار العبّاد وأئمة الحديث، جاور بمكة،
وتوفي بها (سنة ١٨٧هـ).

(١) صاحب التوحيد، هو: محمد بن عبد الوهاب، الإمام المُجدّد (ت
١٢٠٦هـ). والموصلي، هو: أبو يعلى، صاحب المسند (ت ٢٠٧هـ).
وعديّ بن زيد، هو: العبّادي، شاعرٌ من دهاة الجاهليين (توفي نحو ٣٥
ق. هـ).

(٢) مالك، هو: ابن الرّيب المازنيّ، شاعرٌ فاتكٌ، رُوِيَ عَنْهُ أخبارٌ في قطع
الطريق مُدّة (ت ٦٠هـ). وقطري، هو: ابن الفجّاء المازنيّ، خطيبٌ
شاعرٌ من رؤوس الأزارقة الخوارج (ت ٧٠هـ). ورؤبة، هو: ابن
العجاج، الشاعر المشهور (ت ١٤٥هـ)، وتوفي أبوه (٩٠هـ).
والدارميّ، هو: المسكين، شاعرٌ من أشرف التميميين (ت ٨٩هـ).
والمنقريّ، هو: اللّعين، سمعه عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ينشد شعراً
والناس يُصَلُّون، فقال: من هذا اللّعين؟ فَعَلِقَ بِهِ (ت ٧٥هـ).

(٣) الحوص: الخياطة، وهذا مثل يضرب في رتق الفتق، وإطفاء الفتنة.

(٤) بلغة هذيل، والأبيات من نظمي في «ما هبّ ودبّ».

(٥) بحذف الياء، على لغة هذيل، مثل: لا أدّر، ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ
لَا تَكَلُمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ سُفٍّ وَسَعِيدٌ﴾ (هود: ١٠٥).

إِلَى دِيَارِنَا، وَتَحُلُّ بِرَحَالِنَا، وَتَأْكُلُ مَتَى ^(١) طَعَامِنَا. تَجِدُ كُلَّ
إِكْرَامٍ، مِنْ إِخْوَةٍ كِرَامٍ. وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ عِنَاقٍ، وَأَنْجِدَارِ
الدَّمَغِ مِنَ الْأَمَاقِ، وَزَفَرَاتِ الْحَسَرَاتِ مِنَ الْأَعْمَاقِ. وَقَالَ
التَّمِيمِيُّ: سَادُّعُو لَكَ فِي وَثْرِي ^(٢) وَصَلَاتِي. وَقَالَ الْهُذَلِيُّ: لَنْ
أُنْسَاكَ مَحْيَايَ ^(٣) وَمَمَاتِي. وَقَالَ مَنْ هَوَى مِنْ الْأَفْئِدَةِ ^(٤): سُبْحَانَ
مُقَلَّبِ الْأَفْئِدَةِ! وَسَلُّوْا الْمَوْلَى لِلْهُذَلِيِّ أَنْ يُسْعِدَهُ، وَلِلتَّمِيمِيِّ أَنْ
يُرْفِدَهُ ^(٥).

(١) متى: بمعنى: من، في لغة هذيل.

(٢) بكسر الواو، لغة تميم، وغيرهم بالفتح.

(٣) بإسكان الياء، لغة هذيل، وقرأ بها نافع باختلاف عنه.

(٤) أي: مَنْ نَزَلَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ مِنَ النَّاسِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَجْعَلِ افْتِدَاءَ

مِنْ النَّاسِ تَهْوِيَةً إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

(٥) يَهَبُ لَهُ رِفْدًا (عطاءً).

المقامة الدريكية

وهي نثرٌ للقصيدة البديعة المعروفة بـ (مقصورة ابن دُرَيْد)

قال أبو العنين:

يا ظَبْيَةَ تَرَعَى بين الأشجارُ، ألا تَرَيَ رَأْسِي المُشابه للنَّهارُ.
فكان كاللَّيْلِ البَهِيمِ^(١)، حَلَّ فيه شُعاعٌ عَمِيمٌ. وغازَ ماءَ الشَّرَّةِ^(٢)
والمِرَّةِ^(٣)، حُزَنِي مِرَّةً بعد مِرَّةً. وأضَّ^(٤) رَوْضُ لَهْوِي ذَاوِيَا^(٥)،
بعد ما كان على الرِّيِّ ثَاوِيَا^(٦). وضرَمَ^(٧) النَّأْيُ^(٨) الأليمُ، جَذْوَةً
(بتثليث الحِيمِ). تَسْفَعُ أثناء حَشَايَ^(٩)، حتى جَفَا الكَرَى عَيْنَايَ.
وكلُّ ذلك مُطَّرَحُ، في جَنبِ ما أَبْقَاهُ النَّوَى واطَّرَحُ. وكلُّ غُصْنٍ

(١) المظلم.

(٢) من الحدة والنشاط.

(٣) القوة.

(٤) كصار، وزناً ومعنى وعملاً.

(٥) ذابلاً.

(٦) مقيماً.

(٧) أشعل.

(٨) البُعد.

(٩) تحرق وسط حشاي.

إذا ذَوَى، غُناماه^(١) نَفَادٌ وَتَوَى^(٢). فَفِي كُلِّ مَصَّةٍ، تُجْرِضُنِي^(٣)
 غُصَّةً. إِنْ مَنَعَ التَّجَلُّدُ مِنَ الدَّمْعِ، فَالْقَلْبُ مَوْقُوفٌ عَلَى سُبُلِ
 الْهَمْعِ. مَنَزَلَةٌ يَأْبَاهَا الْأَرِيبُ، وَالْعَاقِلُ الْأَدِيبُ. شَيْمٌ سَحَابٍ
 خُلِبَ^(٤)، وَمَوَاقِفُ قُلُوبٍ. وَجَدْتُ يَلَاقِي الْعَذَابَ، وَحَالٌ لَا تَرْضَى
 بِهَا الضُّبَابَ^(٥). أَرْمَقُ^(٦) الْعَيْشَ عَلَى بَرَضٍ^(٧) عَنِيدٍ، أَمَّا
 الْارْتِشَافُ فَبَعِيدٌ.

اتَّئِدُ^(٨) يَا دَهْرُ إِنْ لَمْ تَكُ عُتْبَى، فَسَوَاءٌ عَلَيَّ إِرْوَادُكَ^(٩) وَالْعُتْبَى.
 رَفَّةً^(١٠) عَلَيَّ فَقَدْ طَالَ النَّصَبُ، وَاسْتَبَقَ بَعْضَ غُصْنٍ كَالْحَطَبِ.
 لَا تَحْسَبْنِي ضَارِعًا لِنَكْبَةٍ، تَعْرِقُنِي عَرَقَ حَرَبَةٍ. مَارَسْتُ مَنْ
 لَوْ هَوَتْ عَلَيْهِ الْأَفْلَاكُ، لَمْ يُنَادِ بِالْهَلَاكِ. لَكِنَّهَا نَفْثَةُ مَصْدُورٍ^(١١)،

(١) منتهى أمره، وكذلك حُمَادَاهُ وَقُصَارَاهُ.

(٢) هلاك.

(٣) تقف في حلقي.

(٤) كاذب.

(٥) جمع ضب.

(٦) أسدّد.

(٧) شيء قليل.

(٨) تأنّ.

(٩) رفقك.

(١٠) خفف عني، وأنلني الرّغد.

(١١) تفلة مصاب في صدره.

تُخْرِجُ مَا فِي الصُّدُورِ. مَا كُنْتُ أُدْرِي أَنَّ الْقَضَاءَ، يَقْذِفُنِي فِي فَضَاءٍ. وَتِلْكَ عَادَةُ الزَّمَانِ، وَمَا يُبْلِيهِ الْجَدِيدَانُ^(١). إِنَّ أَمْرًا الْقَيْسُ^(٢) وَابْنَ أَبِي الْجَبْرِ^(٣)، سَاقَهُمَا الْأَمْلُ إِلَى الْقَبْرِ. وَكَذَلِكَ ابْنُ الْأَشَجِّ^(٤) وَابْنُ الْمُهَلَّبِ^(٥). وَالْوَضَّاحُ^(٦) الْمَغْلَبُ. فَهَلْ أَنَا بِدَعُ مِنْ عَرَانِينَ^(٧)، جَارَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ^(٨) السِّنِينَ.

إِنْ أَنَا لِنِي الْقَدَرُ مَا أُرِيدُ، لَمْ آلْ^(٩) فِي تَقْرِبِ الْبَعِيدِ. وَقَدْ سَمَا عَمْرُو^(١٠) إِلَى الدِّمَا، فَاحْتَطَّ مِنْهَا كُلَّ عَالِي الْمُسْتَمَى. وَاسْتَنْزَلَ الزَّبَاءَ^(١١) بِالْقَسْرِ، وَهِيَ فِي أَعَالِي الْقَصْرِ، أَمْنَعُ مِنْ عُقَابٍ وَنَسْرِ.

- (١) اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ.
- (٢) اَمْرُو الْقَيْسِ بْنِ حُجْرِ الْكَنْدِيِّ، أَشْهَرُ شُعْرَاءِ الْعَرَبِ عَلَى الْإِطْلَاقِ (هَلَكَ سَنَةَ ٨٠ ق هـ).
- (٣) عَمْرُو بْنُ أَبِي الْجَبْرِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ شَرْحَبِيلِ الْكَنْدِيِّ، شَاعِرٌ مَخْضَرٌ.
- (٤) قَيْسُ بْنُ مَعْدِي كَرْبِ الْكَنْدِيِّ، مِنْ مَلُوكِ الْيَمَنِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ (مَاتَ نَحْوَ سَنَةِ ٢٠ ق هـ).
- (٥) يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ، مِنْ الْقَادَةِ الْأَجْوَادِ (ت: ١٠٢ هـ).
- (٦) جَذِيمَةُ الْوَضَّاحِ الْقَضَاعِيِّ، مِنْ مَلُوكِ الْعِرَاقِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، عَاشَ عَمْرًا مَدِيدًا (مَاتَ نَحْوَ سَنَةِ ٣٦٦ ق هـ).
- (٧) سَادَةٌ.
- (٨) تَقْلِبَاتُهُ.
- (٩) لَمْ أَقْصُرْ.
- (١٠) عَمْرُو بْنُ عَدِيٍّ، طَالِبٌ بَدَمَ خَالِهِ الَّذِي قَتَلَتْهُ الزَّبَاءُ.
- (١١) الزَّبَاءُ بِنْتُ عَمْرٍو بْنِ الظَّرْبِ بْنِ حَسَّانِ بْنِ أَذْيَنَةَ بْنِ السَّمِيدِعِ، صَاحِبَةٌ تَدْمَرُ وَمَلِكَةُ الشَّامِ وَالْجَزِيرَةِ (مَاتَتْ سَنَةَ ٣٨٥ ق هـ).

وسيف^(١) جرَّعَ الأحبوشَ السَّمَّ^(٢)، وابن هند^(٣) باشرتْ نيرائهُ
الدَّمَّ. ما اعتنَّ^(٤) لي يأسٌ، إلَّا صِحتُ به: لا تأسُ!

قَسَمًا بِالْيَعْمَلَاتِ^(٥)، النَّاجِيَاتِ فِي الْفَلَوَاتِ. الْخُوصِ^(٦)
الضَّوَامِرُ، الرَّاسِيَاتِ كَالْبَوَاخِرِ. الْحَامِلَاتِ فِي الْبَرِّ، كُلُّ
مُحَقَّقٍ^(٧) بَرٌّ. يَنْوِي الَّتِي فَضَّلَهَا عَلَى الْبُنَى^(٨)، وَالْمَرَوَتَيْنِ
وَمِنَى. وَالتَّعْرِيفَ وَجَمْعًا^(٩)، وَعَيْنَاهُ تَسِيلُ دَمْعًا. بَلْ أَقْسِمُ بِالَّتِي
تَعْدُو الْمَرَطَى^(١٠)، وَهِيَ أَسْرَعُ خُطَا. تَعَادَى كَالسَّرَاحِينِ^(١١)،
وَالشُّبَا^(١٢) يَبَارِينُ. يَحْمِلُنْ كُلُّ بَاسِلٍ^(١٣) شَمَرِي^(١٤)، شَهْمُ الْجَنَانِ

- (١) سيف بن ذي يزن الحميري، من ملوك اليمن ودهاتهم (مات سنة ٥٠ ق هـ).
- (٢) بفتح السين، ويضم، وقد يكسر.
- (٣) عمرو بن المنذر اللخمي، اشتهر بنسبته إلى أمه هند، ملك الحيرة في الجاهلية (مات نحو ٤٥ ق هـ).
- (٤) عَرَضَ وَتَبَدَّى.
- (٥) جمع يعملة: الناقة النجيبة.
- (٦) غائرات الأعين.
- (٧) معوج.
- (٨) جمع بنية، كل شيء مبني.
- (٩) عرفة ومزدلفة.
- (١٠) ضرب من السير.
- (١١) جمع سرحان: الذئب.
- (١٢) اسم جمع شباة: الرماح.
- (١٣) كرية المنظر.
- (١٤) مشمر ثيابه، كناية عن استعداده لملاقاة الأبطال.

جَرِيٌّ. لَا يَهَابُ الْعِدَا، وَلَا يَخَافُ الرَّدَى. إِنِّي لَا أَزَالُ فِي دِرْعِ
الْثَّنَا، عَلَى مَنْ أَحْبَبْتُ فِي تِلْكَ الْبُنَى. إِنَّ الْعِرَاقَ لَمْ أَفَارِقْ
سَاكِنِيهِ، عَنْ شَنَاءٍ^(١) وَلَا زُهْدٍ فِيهِ. هُمْ شَنَاخِيبٌ^(٢) السَّاهِرَةُ^(٣).
وَالْبُخُورُ الزَّاهِرَةُ. لَمْ يَزِغْ عَنْهُمْ فَوَّادِي، لَكِنِّي تَبَعْتُ مُرَادِي.
وَلَوْ أَشَاءَ لَا عَبَّيْتُ غَادَةً^(٤)، تُضْنِي^(٥) وَفِي رَشْفِهَا السَّعَادَةُ. فِي
خَدِّهَا حُمْرَةٌ بَيَاضٌ، كَرَوْضٍ مِنَ الرِّيَاضِ. وَلَوْ نَاجَتْ أَعْصَمُ^(٦)
الْجَبَلُ، لَانْحَطَّ لَهَا وَقِيلُ. وَلَوْ أَصَابَتْ الْقَانِتِ الْمُعْتَرِلُ، لَغَفَلَ عَنْ
تَسْبِيحِهِ وَنَزَلَ.

قَدْ مَارَسْتُ مِنِّي الْخُطُوبُ خَبِيرًا، يُسَاوِرُ الْهَوْلَ عَسِيرًا. طَعَمِي
شَرِيٌّ^(٧) لِلْأَلْدَاءِ، وَالْأَرِي^(٨) بِالرَّاحِ^(٩) لِأَلْوَدَاءِ. لَا تَطْبَّيْنِي^(١٠)
الْأَطْمَاعُ، إِذَا اسْتَمَالَتْ الرَّعَاعُ^(١١). وَالنَّاسُ كَالشَّجَرِ، فَمِنْهُ مَا
يُرُوقُ النَّظْرَ. وَمِنْهَا مَا يَقْتَحِمُهُ الْبَصَرُ.

(١) بغض.

(٢) جمع شنخوب: رؤوس الجبال.

(٣) الأرض المخيفة التي تُسهر سالكيها.

(٤) امرأة ناعمة.

(٥) تمرض.

(٦) الوعل إذا كان أبيض الذراع.

(٧) الشرى: الحنظل.

(٨) العسل.

(٩) الخمر.

(١٠) لا تستميلني.

(١١) الجهلة.

وَدُونَكَ هَذِهِ الْحِكْمُ، الَّتِي تَرْمِي سُقْرَاطُ^(١) بِالْبَكَمِ. الشَّيْخُ لَا يَتْرُكُ أَخْلَاقَهُ، حَتَّى يَلْفَ سَاقَهُ سَاقَهُ. مَنْ ظَلَمَ عَزَّ، وَمَنْ عَزَّ بَزَّ^(٢). وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ دَهْرِهِ وَاعِظُ، لَمْ يَتَنَفَّعْ بِالْمَوَاعِظِ. وَمَنْ لَمْ تُفِدْهُ الْعِبَرُ، فَهُوَ أَعْمَى الْبَصِيرَةِ وَالْبَصَرِ. وَمَنْ قَاسَ الْغَائِبَ عَلَى الشَّاهِدِ، قَرَّبَ إِلَى ذَهْنِهِ الْأَبْعَدِ. وَمَنْ عَارِضَ الْأَطْمَاعَ بِالْيَاسِ، أَحَبَّهُ النَّاسُ. وَمَنْ نَهَى نَفْسَهُ عَنِ الْهَوَى، كَانَ الْغِنَى صَاحِبَهُ حَيْثُ اتَّوَى^(٣). وَمَنْ ضَيَّعَ الْحَزْمَ نَدِمَ، وَمَنْ عَجَبَ رُجِمَ. وَالنَّاسُ وَاحِدٌ كَأَمَّةٌ، وَأَلْفٌ كَعَمَّةٌ. وَإِنَّمَا الْمَرْءُ حَدِيثٌ حَسَنٌ، فَكُنْ كَالْحَدِيثِ الْحَسَنِ. وَإِنَّ آفَةَ الْعَقْلِ الْهَوَى، فَمِنْ اتَّبَعَ الْهَوَى فَقَدْ هَوَى. عَوَّلْ عَلَى الصَّبْرِ الْجَمِيلِ، فَهُوَ أَهْدَى سَبِيلٌ، وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

(١) فليسوف يوناني، أحد مؤسسي الفلسفة الغربية (مات ٤٦٩ ق م).

(٢) غلب.

(٣) قصد.

المَقَامَةُ الصِّدَاعِيَّةُ

قال أبو العيين:

حدَّث أبو إسحاق، قال: عَرَضَ لي عارضٌ مِنْ لَازٍ^(١)، وَنَوْعٌ مِنْ الْجَوَازِ^(٢)، فَاَنْطَلَقْتُ إِلَى سُوْقِ عُكَازٍ^(٣). لَعَلِّي أَطَّلِعَ إِلَى الْهُمَامِ^(٤)، الْحَشَكْظِيَّ الْإِمَامَ. فَأُطْرِبَ سَمْعِي بِغَوَالِي غُرَرِهِ^(٥)، وَلَأَلِي دُرَرِهِ. فَوَافَيْتُ السُّوقَ بِالْعَشِيِّ^(٦)، وَالْقَوْمَ مِنْ حَوْلِ الْحَشَكْظِيِّ. وَهُوَ يُلْقِي عَلَيْهِمْ مِنْ سِحْرِ هُوِ الْحَلَالِ، وَكَلِمِ هُوِ الْمَاءِ الزُّلَالِ. يَنْثَرُ لَهُمْ مِنْ أَسْرَارِ الْعَرَبِيَّةِ كُلِّ عَجِيبٍ، وَمِنْ أَعْمَاقِ بَحْرِهَا كُلِّ غَرِيبٍ.

(١) اللَّازُ: الْعَمَّ.

(٢) الضَّجْر.

(٣) عُكَازٌ - بضم أوله، وآخره ظاء معجمة - قال اللَّيْثُ: سُمِّيَ عُكَازٌ عَكَازًا؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تَجْتَمِعُ فِيهِ فَيَعْكُظُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالْفَخَارِ، أَيْ: يَدْعُكَ. وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: عَكَازٌ نَخْلٌ فِي وَادٍ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ الطَّائِفِ لَيْلَةً، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ مَكَّةَ ثَلَاثَ لَيَالٍ، وَبِهِ كَانَتْ تَقَامُ سُوقُ الْعَرَبِ.

(٤) الْهُمَامُ: السَّيِّدُ الشُّجَاعُ السَّخِيُّ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ فِي النِّسَاءِ.

(٥) غُرَرِهِ: جَمْعُ غُرَّةٍ: أَنْفُسُ الشَّيْءِ وَخِيَارُهُ. وَالْمُرَادُ: تَفَاسُّ قَوْلِهِ.

(٦) الْعَشِيُّ وَالْعَشِيَّةُ: آخِرُ النَّهَارِ.

فقلت: أدنو منه حتى لا أفوت حرفاً، ولا أطبق عن رؤية
مُحيّاه^(١) طرفاً. فقال في صدر كلامه - بعد حمديه وسلامه -:
يا معشر أهل الضّاد^(٢)، نحن في زمن العجائب والأضداد.
عسعس^(٣) الليل قبل الصّبح^(٤)، وغدت الطيور الصّبح^(٥).
والسحاب لم يخفها^(٦)، وهو من فوقها. ومررت بقانع^(٧)، غير
قنوع ولا قانع. يتصدّق بالحاء، فأطلبته^(٨) وراح. ولقيت
حميماً^(٩) تجدياً، قد صار^(١٠) بدرّاً^(١١) بدرّاً. يشرب من
الحميم^(١٢) الدائم، وهو قائم غير دائم^(١٣). وقد أمعن بما معه إلى

(١) مُحيّاه: وجهه.

(٢) تُسمّى لغة العرب لغة الضاد؛ لأنّ حرف الضاد لا يوجد في لغة غيرها.

(٣) عسعس الليل: أقبل بظلامه أو أدبر (ضد).

(٤) الفجر. أو: أول النهار؛ لأن الصبح يطلق على أول النهار، وعلى الفجر.

(٥) الطيور الصّبح: ذات لون يضرب إلى الشّبهة، أو: سواد يضرب إلى
الحمرة.

(٦) أخفى بمعنى ستر وأظهر. قيل: منه قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ
أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه]، أي: أظهرها، وهو مرجوح.

(٧) أي: طامع، والأصل في معناه: ضد الطمع، وعليه اللفظ الآتي.

(٨) يقال: أطلبه: إذا أعطاه ما يطلب، أو عرّضه للطلب.

(٩) صديقاً.

(١٠) صار هنا بمعنى: أمسك، ومنه قوله تعالى: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [البقرة]:
[٢٦٠].

(١١) البدر معروف، وهو أيضاً الغلام.

(١٢) الماء الحار.

(١٣) الدائم: يطلق على الساكن والمتحرك (ضد).

نَاحِيَّتِهِ، وَانْقَبَضَ فِي حَاجَتِهِ. وَدَخَلَ بَعْدَ^(١) الْيَوْمِ الْغَابِرِ^(٢)،
لِيُخْرِجَ أَمْسَ الدَّابِرِ. إِلَى قَوْمِهِ الْأَفْدَامِ^(٣)، وَهُمْ يُضَيُّونَ^(٤) فِي فُنُونِ
الْكَلَامِ. وَلَمْ يُضْبُوا^(٥) ذَلِكَ الْيَوْمَ، حَتَّى غَشِيَهُمُ النَّوْمُ.

قال: فَانْكَفَأَتْ^(٦) أرومُ الاطِّلاعِ، إِلَى التَّلَاعِ^(٧)، مِنْ عَوَالِي
البَقَاعِ. فَلَمْ يَرُعْنِي إِلَّا سَيِّدُ الْجَمَاعَةِ، يُنَادِي فِي تِلْكَ السَّاعَةِ، مِنْ
صَدْرِ الْقَاعَةِ. فَحَضَرْتُ لَدَيْهِ، مَعَ وَالِدِيهِ وَوَلَدَيْهِ. وَالِدَيْهِ
الْيَفَيْنِ^(٨)، وَوَلَدَيْهِ الْحَزَوْرَيْنِ^(٩). فَكُنَّا فِي أَرْزَا^(١٠) ضِيَافَةٍ، وَفِي
أَمْنٍ بِلَا مَخَافَةٍ. وَأَلْفِينَاهُ شُجَاعًا^(١١) جَبَانًا، وَلَقِينَا مِنْ بُخْلِهِ أَلْوَانًا.

(١) بعد تأتي بمعنى قبل، في ظنّ بعض اللّغويين.

(٢) الغابر: بمعنى الذاهب، ويأتي بمعنى الباقي (ضد)، ومنه قوله تعالى:

﴿إِلَّا أَمْرَاتُهُ كَانَتْ مِنْ أَلْفَيْرِينَ﴾ [الأعراف: ٨٣]، على كلا

التفسيرين.

(٣) جمع فَدَمٌ، وهو البليد.

(٤) يقال: أَضَبَّ: إِذَا صَاحَ وَتَكَلَّمَ.

(٥) لم يدخلوا.

(٦) انْكَفَأَتْ: رَجَعَتْ.

(٧) جمع تَلْعَةٍ: الْمَرْتَفَعُ مِنَ الْأَرْضِ وَالْمُنْحَفِضُ (ضد).

(٨) الْمُسْتَيْنِ.

(٩) الصغيرين.

(١٠) يقال: رَزَاهُ رُزْعًا: أَصَابَ مِنْهُ خَيْرًا، وَالشَّيْءُ نَقَصَهُ (ضد).

(١١) الشجاع: القوي، والضعيف. ذكر ذلك ابن أبي القاسم ابن الأنباري

في كتابه (الأضداد ٣٨٥).

طويل السَّاقُ، مَشْمُولُ الْأَخْلَاقِ. وَلَهُ امْرَأَةٌ بَلْهَاءٌ^(١)، وَأُخْرَى دُغَةٌ^(٢) بَلْهَاءٌ. وَبَاتَ الرِّكْبُ مَا بَيْنَ قَائِمٍ وَهَاجِدٍ^(٣)، أَوْ رَاكِعٍ أَوْ سَاجِدٍ^(٤). حَتَّى وَلَّى اللَّيْلُ أَذْبَارَهُ، وَأَسْفَرَ الصُّبْحُ إِسْفَارَهُ^(٥). وَاجْلَعَبَّتْ^(٦) الْإِبِلُ فِي الْفَدَاثِ^(٧)، قَبْلَ مَغِيبِ الشَّاهِدِ^(٨). فَقِيلَ: هَذَا يَوْمُ الْبَيْنِ^(٩)، بَعْدَ مَا كَانَ مِنْ طُولِ الْبَيْنِ^(١٥). فَأَسْرَ^(١٠) أَهْلُهَا النَّدَامَةَ بِصَوْتٍ عَالٍ، وَضَرَبُوا لِلنَّاسِ الْأَمْثَالَ. وَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ، وَفِي الْفَلَاةِ بَعْدَ مَا تَفَكَّهُوا يَتَفَكَّهُونَ^(١١). وَرَأْسُهُمْ عَلَى حَرْفٍ^(١٢) عَظِيمَةٍ، بِحَرْفٍ سَبِيلٍ^(١٣) مُسْتَقِيمَةٍ. بَيْنَ شَجَرٍ

(١) المرأة البلهاء: الكاملة العقل، ويقال أيضاً لناقصة العقل (ضد).

(٢) أي: حمقاء.

(٣) الهجود: النوم واليقظة، وهو المراد هنا.

(٤) المنتصب في لغة طي.

(٥) أسفر الصبح: أضاء وأشرق.

(٦) سارت بجِدٍّ، واجلعبت: اضطجع (ضد).

(٧) الفدث: الفلاة والمكان المرتفع، والأرض المستوية.

(٨) الشاهد في اللغة له معانٍ، منها: النجم، وهو المراد هنا.

(٩) البين: الوصل والفراق.

(١٠) قيل: الإسرار يكون بمعنى الجهر في اللغة، وحملوا عليه قوله - تبارك

وتعالى -: ﴿وَأَسْرَأُ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأنبياء: ٣]، وهو قولٌ ضعيفٌ.

(١١) التفكه: الحزن، وأيضاً: التنعم، وهو الأصل.

(١٢) من معاني الحرف: الناقة الهزيلة والعظيمة (ضد).

(١٣) بشفير طريق، والسبيل تُذَكَّر وتؤنث.

أَحْوَى^(١)، يَقْصِدُ طَرِيقًا يُطَوَّى. وَالتَّقَى ثَمَّ^(٢) رَجُلٌ وَآخَرُ، وَكُلُّ
مِنْهُمَا مَوْلَى^(٣) لِلْآخَرِ. وَلَهُمَا مَوَالِيٌّ مِنْ دُونِ ذَلِكَ، يَرْتَعُونَ فِي
تِلْكَ الْمَسَالِكِ.

قال أحدهما: مَا أَنْتَ إِلَّا نِدِّي^(٤)، وَشَبَّهِي وَضِدِّي. وَلَقَدْ
خِفْتُ بِكَ وَمَا خِفْتُ^(٥)، حِينَ شَخَّصْتَ وَرَائِي^(٦) وَمَا حِفْتُ^(٧).
وَإِنِّي لَظَنِينٌ، أَنْ أَقُولَ عَنْكَ: ظَنِينٌ^(٨). فِي كُلِّ خَطْبٍ جَلَلٌ، أَوْ
خُطْبٍ جَلَلٌ^(٩). فَلَا تَكُ مِنَ الْبَاخِعِينَ^(١٠) سَمْدًا^(١١)، وَلَا مِنَ
السَّاعِينَ عَمْدًا. فَكُلُّ مَا أَفْرَطْتَهُ مَكْتُوبٌ، وَمَا فَرَطَ مِنْكَ

(١) الأَحْوَى: يَطْلُقُ عَلَى الْيَابِسِ وَالْأَخْضَرِ (ضد).

(٢) هُنَاكَ.

(٣) الْمَوْلَى: يَطْلُقُ عَلَى السَّيِّدِ وَالْعَبْدِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ
مَوْلَى﴾ [الدخان: ٤١]، وَيَطْلُقُ أَيْضًا عَلَى الْقَرِيبِ وَابْنِ الْعَمِّ.

(٤) النَّدُّ: الْمَثِيلُ وَالضَّدُّ، وَكَذَلِكَ الضَّدُّ، بِمَعْنَى الْمَثِيلِ وَعَكْسِهِ.

(٥) خِفْتُ: يَأْتِي بِمَعْنَى شَكَّكَتْ، وَأَيَّقَنْتْ.

(٦) أَمَامِي.

(٧) أَيُّ: وَمَا مِلْتُ.

(٨) ظَنِينٌ: بِمَعْنَى: مُتَّهَمٌ وَبِخِيلٌ، وَرَسَمْتُ بِالْظَّاءِ فِي بَعْضِ الْمَصَاحِفِ.

(٩) الْجَلَلُ: الْأَمْرُ الْكَبِيرُ وَالصَّغِيرُ أَيْضًا.

(١٠) الْهَالِكِينَ.

(١١) السَّمْدُ: بِمَعْنَى الْحَزْنِ فِي لُغَةِ طَبِيعٍ، وَبِمَعْنَى اللُّهُو: فِي لُغَةِ الْيَمَنِ. وَقَالَ
مُجَاهِدٌ: مَعْنَى ﴿سَمِدُونَ﴾ [النجم: ٦١]: مُبْرَطَمُونَ.

مَحْسُوبٌ^(١). سَوَاءٌ عَفَا أَوْ قَلَصَ^(٢)، أَوْ عَفَا^(٣) وَمَا نَقَصَ. وَلَسَوْفَ يُصَرِّى مَا قُطِعَ، وَيُصَرِّى^(٤) مَا جُمِعَ. وَلَاتِ حِينَ صَرِيخٍ، يَوْمَ يَصْرَخُ الصَّرِيخُ^(٥). بَلَا مُدَارَاةً، لِأَحَدٍ دَارَاهُ^(٦). يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَنْ أَتْرَبَ^(٧) مَالُهُ، وَلَا يَجَانِبُهُ^(٨) عِيَالُهُ. وَيَفِرُّ مِنْهُ الصَّاحِبُ وَالسَّاقِبُ، فَكَيْفَ بِالْبَعِيدِ السَّاقِبُ^(٩). فَلَا يَنْتَفِعُ امْرَأٌ بِصَقْبِهِ بَلْ يَصْقَبُ^(١٠)، وَإِنْ طَلَبَ الْعُتْبَى لَمْ يُسْتَعْتَبْ^(١١). أَيْنَ سَبْحُكَ الْجَمِيلُ، وَقَدْ كُنْتَ فِي سَبْحٍ^(١٢) طَوِيلٌ؟؟ قُمْتَ وَسَجَدْتَ، وَأَنْفَتَ وَمَا سَجَدْتَ^(١٣).

(١) أفرط: بمعنى: أخر، ويأتي بمعنى: قدم. وفرط معناه: سبق.

(٢) نقص.

(٣) زاد، أو: نقص.

(٤) صَرَّى الشَّيْءُ: جمعه، أو: فرقته.

(٥) الصريخ: المغيث، والمستغيث.

(٦) داراه: دافعه وداراه ولاينه.

(٧) أترَب: قلَّ ماله، أو: كثر (ضد). والأصل استعماله فيمن قلَّ ماله، ومنه

قوله - تعالى - ﴿أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبٍ﴾ [١١] [البلد].

(٨) جانب مجانية: صار إلى جنبه، وهو معنى قوله - تعالى - ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ

مِنْ أَخِيهِ﴾ [٢٦] [عبس]، ويأتي بمعنى: باعده.

(٩) الساقب: البعيد، وأيضًا القريب.

(١٠) صَقَبَ كَفَرَحَ، بمعنى: بعد وقرب (ضد)، والصَقَب: القرب والبعد.

(١١) يقال: استعته: أعطاه العتبي، أي: الرضا، وطلب إليه العتبي.

(١٢) السبح: الانتشار في الأرض والتصرف في المعاش، والفراغ والنوم.

(١٣) سجد: خضع، وانتصب (ضد).

وَاطَّرَحْتَ الْمُخَاوَذَةَ، وَمِلْتَ إِلَى الْمُخَاوَذَةِ^(١) وَالْمُنَابَذَةَ. وَلَمْ تَأْخُذْ
بِالْأَزْرِ، وَأَخَذْتَ بِالْأَزْرِ^(٢). الْمُفْضِي إِلَى الْوِزْرِ. أُمِرْتَ أَنْ تَكُونَ
جَبْرًا، فَصِرْتَ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ جَبْرًا، فَلَا تَبْغِي لَكَ جَبْرًا^(٣). هَذِهِ
صَحِيفَتُكَ الْخَضْرَاءُ خَضْرَاءُ، وَجِلْدَتُكَ الصَّفْرَاءُ صَفْرَاءُ. مِنْ
كَيْدِكَ الْأَحْمَرُ، لِكُلِّ أَبْيَضٍ أَحْمَرٌ^(٤). فَارْمِيزٌ^(٥) مَكَانُكَ،
وَلَا تَرْمِيزٌ، وَذُقْ مِنَ الذَّلِّ مَكَانَ الْعِزِّ. إِنَّكَ مِنَ الْفَائِزِينَ^(٦)،
الطَّرِبِينَ^(٧) الْعَاجِزِينَ. وَمَا أَنْتَ إِلَّا فَيَّاشٌ، لَا كَرِيمَ وَلَا فَيَّاشٌ^(٨).
غَرَّكَ التَّقْرِیْضُ، وَمَا اسْتَمَعْتَ إِلَى أَيِّ تَقْرِیْضٍ^(٩). رَكَنْتَ إِلَى

(١) المخاوذة: المخالفة والموافقة، والمعنى: تركت الموافقة، وأخذت
بالمخالفة.

(٢) الأزر: القوة، والضعف. والمعنى: أخذت بالضعف، ولم تأخذ ما أوتيت
بقوة.

(٣) الجبر: الملك والعبد (ضد)، وجبر الكسر، أي: عدله. والمعنى: كلفت
أن تكون عبدًا، فصرت ملكًا جبارًا، فلا نطلب لك ما يجبر ضعفك.

(٤) الأخضر يطلق على لون الخضرة، وعلى الأسود، والأصفر يطلق أيضًا
على الأسود، والأحمر للأحمر والأبيض. والمعنى واضح.

(٥) ارْمِيزٌ: لزم مكانه، وزال عنه (ضد).

(٦) الهالكين، الفوز: الظفر، والهلاك أيضًا.

(٧) طرب بمعنى: فرح، وحزن (ضد)، والمراد هنا: الثاني.

(٨) الفياش: الكريم المفضل، والمكاثر بما ليس عنده.

(٩) التقريض: المدح، والذم.

الدَّعَّةُ^(١)، وَتَزَيَّنْتَ بِحُسْنِ الرَّعَّةِ^(٢). وَتَوَقَّلتَ فِي أَرْضٍ جَفْجَفَ^(٣)، وَقَاعٍ صَفْصَفَ. تَتَنَصَّفُ^(٤) مَنْ تَرِيدُ، لِأَنَّكَ جَبَّارٌ عَنِيدٌ. تَظُنُّ أَنَّكَ أَرَأَيْتَ^(٥)، وَغَفَلْتَ عَنْ ﴿أَرَأَيْتَ﴾^(٦).

قال أبو إسحاق: وَلَمْ يَزَلْ شَيْخُنَا الْحَشْكُظِيُّ عَلَى ذَلِكَ النَّسَقِ، حَتَّى أَقْبَلَ اللَّيْلُ بِمَا وَسَقَ^(٧). وَلَوْ شَاءَ لَوَصَلَ اللَّيْلُ بِالْإِصْبَاحِ، وَلَمْ يَسْكُتْ عَنِ الْكَلَامِ الْمُبَاحِ.

(١) السَّعَّةُ فِي الْعِيشِ.

(٢) الرَّعَّةُ: حَسَنُ الْهَيْئَةِ، وَسَوْؤُهَا.

(٣) الْجَفْجَفُ: الْأَرْضُ الْمُرْتَفَعَةُ، وَالْمُنْخَفِضَةُ.

(٤) تَتَنَصَّفُ: اسْتَخْدَمَ وَخَدِمَ (ضد).

(٥) يُقَالُ: أَرَأَى إِرَاءً: إِذَا صَارَ ذَا عَقْلٍ، وَيُقَالُ: أَرَأَى: إِذَا تَبَيَّنَتِ الْحِمَاقَةُ فِي وَجْهِهِ.

(٦) إِشَارَةٌ إِلَى سُورَةِ «الْمَاعُونِ».

(٧) بِمَا جَمَعَ.

العقامة الدوائية

قال أبو العيين:

حَدَّثَ طَامِرُ بْنُ طَامِرٍ^(١)، قَالَ: لَقِيتُ فِي بَعْضِ الْأَسْفَارِ، فِي بَعْضِ الْأَقْطَارِ. عَالِمًا بِمَنَافِعِ الْأَعْشَابِ، وَهُوَ شَيْخٌ فِي صُورَةِ شَابٍّ. فَبَيَّتُ النِّيَّةَ، عَلَى أَنْ تَجْمَعَنَا لَيْلَةً نَابِغِيَّةً^(٢). أُبْعِثُ فِيهَا مَا فِي فِكْرِهِ، وَأُحْصِلُ مَا فِي صَدْرِهِ. مِنْ تَجَرِبَةٍ وَخِبَرَاتٍ، بِمَنَافِعِ النَّبَاتِ. فَقُلْتُ: اجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا، وَلَا تَجْمَعْ مَعَنَا أَحَدًا!

وَحِينَ جِئْتُهُ أَكْرَمَ الْوِفَادَةَ، فَعَقَدْنَا مَجْلِسَ الْإِفَادَةِ. فَلَمَّا أَنْصَتَ إِلَى كَلَامِي، وَاطَّلَعَ عَلَى إِلْمَامِي. قَالَ: سَلْ أَيُّهَا الشَّابُّ، عَمَّا شِئْتَ مِنَ الْأَعْشَابِ. فَإِنَّ مَعْرِفَتِي عَنْ تَجَرِبَةٍ وَتَحْلِيلٍ. وَدِرَاسَةٍ وَتَأْصِيلٍ! فَقُلْتُ: أَوَّلُ شَيْءٍ - أَيُّهَا الْجَلِيلُ -، أَسْأَلُكَ عَنْهُ الزَّنْجَبِيلُ. فَإِنَّهُ مِمَّا ذُكِرَ فِي الْقُرْآنِ، فِي سُورَةِ الْإِنْسَانِ^(٣). وَأَلْفَتْ

(١) طَامِرُ بْنُ طَامِرٍ: يُكْنَى بِهِ عَنِ الْمَجْهُولِ.

(٢) طَوِيلَةٌ، وَيَكْنَى بِهَا عَنِ الطُّولِ؛ نَسَبَةٌ إِلَى نَابِغَةِ بَنِي ذُبْيَانَ، وَكَانَ كَثِيرَ الرَّهْبَةِ وَالْخَوْفِ، وَهُوَ الْقَاتِلُ:

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمَتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ

(٣) فِي قَوْلِهِ سَبْحَانَهُ: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ (٧).

فيه مُصَنَّفَاتٌ، في الزَّمَنِ الذي فَاتَ. وَمِنْ ذَلِكَ: كِتَابُ الزَّنَجِيلِ الْقَاطِعِ، في هَتَكِ ذَاتِ الْبَرَّاقِعِ^(١)؟ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ مَقَالِي، وَقَهَقَهُ بِصَوْتٍ عَالِيٍّ! وَقَالَ: إِعْلَمْ بِأَنَّ الزَّنَجِيلَ مَعْرُوفٌ، مِنْذُ حَوَالِي ثَلَاثَةِ أَلُوفٍ^(٢). وَهُوَ أَكْثَرُ عُشْبٍ انْتَشَرَ، يَسْتَعْمِلُهُ الْبَشَرُ. لِلْإِلْتِهَابِ وَالْمَفَاصِلِ وَالشَّرِيَانِ، وَاضْطِرَابِ الْمَعِدَةِ وَالْغِيَانِ. وَهُوَ لِيَسْخِنَ الْجِسْمَ مِنَ الْبَرْدِ، خَيْرٌ مِنْ جُبَّةِ الْبُرْدِ^(٣). وَهُوَ لِإِلْتِهَابِ الْحَلْقِ وَالْغَلَاصِمِ^(٤)، عَاصِمٌ وَأَيُّ عَاصِمٍ. وَلِلتَّقْلُصِ، وَالتَّخْلُصِ. وَيُوصَفُ لِلْحَامِلِ قَبْلَ الْوِلَادَةِ، وَنَافِعٌ لِأَهْلِ الْفَدَامَةِ^(٥) وَالْبِلَادَةِ. وَهُوَ الدَّوَاءُ الْفَاصِلُ؛ لِدَاءِ الْمَفَاصِلِ^(٦). وَيَحْمِي مِنَ الْآثَارِ السَّامَةِ، لِلْعَدَوَى وَالْأُوبَةِ الْعَامَّةِ. وَيَذَكِّرُ أَنَّهُ نَافِعٌ لِلْكَاسِتُرُولِ وَالتَّصَلُّبِ، وَتَغْيِيرِ الْمِزَاجِ وَالتَّقَلُّبِ. هَذِهِ فَوَائِدُهُ الْمَعْلُومَةُ بِالتَّجْرِبِ، لَا بِالْحَدْسِ^(٧) وَلَا بِالتَّقْرِيبِ. وَأُثْبِتَ الدِّرَاسَةَ الْيَوْمَ،

(١) الحرائر. وعنوان الكتاب مذكور في كتاب «كشف الظنون».

(٢) من الأعوام.

(٣) نوع من الثياب.

(٤) جمع غَلَصَمَةٍ: مُلتقى اللِّهَاءِ والمريءِ، أَوْ: رَأْسُ الْحُلُقُومِ، أَوْ: اللَّحْمِ بَيْنَ الرَّأْسِ وَالْعُنُقِ.

(٥) الْفَدَامَةُ: الْعِيُّ فِي بِلَادَةٍ.

(٦) الْمَعْرُوفُ بِالنَّقَرَسِ، وَالْمَفَاصِلُ: جَمْعُ مَفَصِّلٍ، كَمَجْلِسٍ، وَيَجْعَلُهُ الْعَامَّةُ كَمَنْبَرٍ.

(٧) الْحَدْسُ: التَّخْمِينُ وَالظَّنُّ.

أَنَّهُ يَزِيدُ مِنْ فِتْرَةِ النَّوْمِ. وَأَنْ اسْتِعْمَالَهُ الْمَدِيدُ، يَتَعَارَضُ مَعَ
امْتِصَاصِ الْحَدِيدِ. وَبَيْنَا هُوَ يَتَفَجَّرُ وَيَتَبَحَّرُ؛ إِذْ قَدَّمَ لَنَا الشَّيْءَ
الْأَخْضَرَ.

فَقُلْتُ: هَذَا أَوْ أَنَّ الْحَدِيثَ عَنْهُ، قَبْلَ أَنْ تَسْقِينَا مِنْهُ. وَسَأَجْعَلُ
مَا تَقُولُهُ نَظْمًا؛ حَتَّى يَكُونَ أَكْثَرَ هَضْمًا. وَهَذَا فَحْوَى مَا قَالَهُ، فِي
تِلْكَ الْمَقَالَةِ:

الشَّيْءُ نَافِعٌ عَنِتُّ: الْأَخْضَرَ

لِتَلَفِ الْأَكْبَادِ وَالرَّبُّو اذْكُرَا
وَسَرَطَانِ وَارْتَفَاعِ الدُّهْنِ

وَالضَّغْطِ وَاللِّثَاتِ^(١)، عَدْوَى الْأُذُنِ
وَطَارِدُ اللَّبَرْدِ وَالتَّأَكُّسِ

تَسَمُّ تَصَلُّبِ تَجَعُّدِ
وَفَوْقَ هَذَا خَافِضُ لِّلْسُكْرِ

يَزِيدُ فِي الطَّاقَاتِ وَالتَّفَكُّرِ

قُلْتُ: فَمَا الْقَوْلُ فِي الْقِرْفَةِ وَالْقَرَنْفُلِ، بِإِيجَازٍ وَتَرَسُّلٍ؟ قَالَ:
كِلَاهُمَا لِلْهَضْمِ وَالْقَرْحِ^(١)، وَيُولِّدَانِ النَّشَاطَ وَالْفُرْحَ. وَالْقِرْفَةُ أَشَدُّ

(١) جمع لثة، بكسر اللام وتخفيف الثاء.

قُوَّةً وَأَكْثَرُ نَفْعًا. وَتَقْطَعُ نَزِيفَ الرَّحِمِ قَطْعًا. وَفِيهَا مَادَّةٌ تُوقِفُ
خَلَايَا السَّرَطَانَ، فِي الْكَبِدِ وَالْمُصْرَانِ^(٢). وَلِيُحْظَرَ بَتَاتًا، تَدَاوُلُهَا
بَيْنَ مَرَضَى الْبُرُسْتَاتَا^(٣). وَيُوصَفُ الْقَرْنَفُلُ لِأَلَمِ الْأَسْنَانِ، وَاللِّثَةِ
وَاللِّسَانِ.

قُلْتُ: فَإِنِّي أَشْكُرُكُمْ، إِذَا ذَكَرْتُمْ مَنَافِعَ الْكُرْكُمِ. فَعِظَّمْ مِنْ
فَوَائِدِهِ، وَشَمَّرَ عَنْ سَاعِدِهِ. وَقَالَ: مَا أَكْتُبُهُ شِعْرًا، يُسَطَّرُ فِي
الشُّعْرَى^(٤)!

الْكُرْكُمُ الْمَعْرُوفُ ذَا بِالْهَرْدِ

لِسَرَطَانٍ وَالتَّهَابِ الْكِيدِ

وَالْمَرَارَةِ وَعُسْرِ الْهَضَمِ

وَالْأَزْمَاتِ وَالتَّهَابِ الْعَظْمِ

وَأَبْيَضِ الْمِيَاهِ بِالْعُيُونِ

وَأَصْلُ نَفْعِهِ فِي الْكُرْكُومِينَ^(١)

(١) جمع قُرْحَةٍ.

(٢) جمع مصير: الأمعاء الغليظة.

(٣) البرُستاتَا: غُدَّةٌ صَغِيرَةٌ، أَكْبَرُ مِنْ حَجْمِ الْبَنْدَقَةِ، تَحْتَ الْخُصْيَةِ مِنْ
الدَّخْلِ.

(٤) نجم معروف.

قلت: فأخبرني - حفظك الباري - عن البَلْمِيطِ المِشْكَاري.
قال: هو دواءُ البرُوسَتَات، قلت: فما يشبههُ من النَّبات؟! قال:
عِنَبُ الدُّبِّ، حَمَاكَ الرَّبُّ.

قلت: فحدثني بالمرّة، عن المرّة. فقال ما معناه، مِمَّا عَنَاهُ:

المُرُّ صَمَغٌ لِلْإِتِهَابِ الحَلَقِ

وَلِثَنَةٍ وَلِلْجُرُوحِ مُنْقِ

وَضَابِطٌ إِيْقَاعَ جِسْمٍ وَبِهِ

نَفْعٌ لِدَوْرَةِ الدِّمَا فَاتَّبِعْهُ

ولم نزلْ معه في بحثٍ ومناقشة، ومساءلةٍ ومفاتيشة، حتّى
ذهب عامّة اللّيل، بعد أن ختمنا بمنافع الهَيْل، واتفقنا على
مَوْعِدَةٍ آخِرَةٍ، على هذه السَّاهِرَةِ^(٢).

(١) اسم لعنصر من عناصره.

(٢) الأرض.

المَقَامَةُ الْمَسِيرِيَّةُ

قال أبو العينين:

جَلَسَ ثَلَاثُ نِسَاءٍ، يَتَحَدَّثْنَ فِي الْمَسَاءِ. حَدِيثَ اللَّهِو
وَالْمَسَرَّاتِ، عَلَى الشَّيْءِ وَالْمُكْسَرَاتِ^(١). وَاتَّفَقْنَ أَنْ يَكْشِفْنَ عَنْ
بُعُولَتِهِنَّ السُّتَارَ، وَيَتَبَادَلْنَ الْأَسْرَارَ. وَكَأَنَّمَا نَمَّا إِلَى السَّمْعِ،
حَدِيثَ أُمِّ زَرْعٍ^(٢).

فَقَالَتِ الْأُولَى: زَوْجِي هُوَ الشَّيْخُ فُلَانٌ، زُغَادِبٌ^(٣) رِيَّانٌ^(٤)،
لَيْسَ بِالْدَّخْشَمِ^(٥) وَلَا بِالْبَحْدَاحِ^(٦)، لَهُ صَوْتُ صَدَّاحٍ وَعِطْرٌ

(١) هي في عرف اليوم: مجموعة من البذور والبقول، كبذور الدُّبَاءِ،
واللُّوز، والفسق ...

(٢) حديث أم زَرْع: تتحدث فيه إحدى عشرة امرأة عن أزواجهنَّ، آخرهنَّ
أم زرع. وقد أخرجه البخاري في النكاح، باب حسن المعاشرة مع
الأهل (ح ٥١٨٩)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب ذكر حديث أم
زرع (ح ٢٤٤٨) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مرفوعاً.

(٣) غليظ الوجه.

(٤) ممتلئ.

(٥) الغليظ، الأسود.

(٦) اللَّيِّن.

فَوَاحٌ. لديه مسجدٌ يخطبُ فيه الجمعةُ، ويصليُ الخمسَ بمن معه. وله مكتبةٌ ملاء بها الدَّارُ، وطَمَسَ بها الجِدَارُ. جعلَها مَحَلَّ نَوْمِهِ وَسُهَادِهِ^(١)، ومتعلِّقٌ روحه وفؤاده، وطعامه وسفاده^(٢). إذا دَخَلَ لا يَدْبُ إِلَّا إِلَيْهَا، وإذا أَقْبَلَ لا يَقْبَلُ إِلَّا عَلَيْهَا. عَشِقَهَا مِنْ دُونِي، وأَعْرَضَ عَنْ شُؤُونِي. إذا كَلَّمَ حَمَجَ^(٣)، وإذا سَمِعَ صَوْتًا نَفَجَ^(٤). يقولُ: لا تُكَلِّمُونِي وأنا في المكتبة، ولو صِرْتُمْ ذَوِي مَتْرَبَةٍ^(٥). ولطالما قال في المنابر، وكتبَ في الدفاتر: حقوقَ ذَوَاتِ النُّونِ^(٦)، ودُعِجِ^(٧) العيونَ. وعَذَرْتُهُ فِي ذَلِكَ وَمِثْلِي مَنْ يَعْذُرُ، وَغَفَرْتُ لَهُ مَا نَسِيَ أَوْ يَذْكُرُ. لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ عَادَةٌ، أَفْقِدُهُ سَاعَةً أَوْ زِيَادَةً. لَا أَجِدُ لَهُ وَقْتَهَا أَثَرًا، وَلَا أَرَى لَهُ عَثِيرًا^(٨). وَلَا يَسْتَجِيبُ لَاتِّصَالٍ، مِنْ هَاتِفٍ أَوْ جَوَّالٍ. فَأَزْعَجَ ذَلِكَ مِنِّي الْبَالُ^(٩)، وَحَرَّكَ مِنِّي الْبَلْبَالُ^(١٠). وَرَكِبَنِي جِبَالٌ مِنَ الْهَمِّ،

(١) سهره.

(٢) جماعه.

(٣) فتح عينيه فزعًا.

(٤) فزع.

(٥) ملتصقين بالتراب؛ فقرا.

(٦) نون النسوة.

(٧) الدّعج: سواد العين في سعة.

(٨) غبارًا.

(٩) القلب.

(١٠) الخاطر.

وَعَشِينِي قَطَعُ مِنْ ظُلُمَاتِ الْغَمِّ. فَلَمَّا تَمَلَّكَنِي الْارْتِيَابُ، عَزَمْتُ عَلَى الْبَحْثِ عَنْ ذَلِكَ الْغِيَابِ. فَإِذَا بِالزَّوْجِ النَّحْرِيضِ، وَاللَّوْذَعِيِّ^(١) الْخَطِيرِ. غَارِقٌ فِي بَحَارٍ، مِنْ زَوَاجِ الْمِسْيَارِ^(٢)!! فَرَاغْتُ فِهْرَسَ حَيَاتِي، وَكَيْفَ كَانَ يَخْرُجُ وَكَيْفَ يَأْتِي؟! فَوَجَدْتُ شَيْئًا نُكْرًا، وَلَمْ أَسْطِيعْ عَلَيْهِ صَبْرًا. فَعَزَمْتُ عَلَى الْفِرَاقِ، وَطَلَبْتُ الطَّلَاقَ. وَانْقَلَبْتُ إِلَى أَهْلِي، وَتَرَكْتُ بَعْلِي. فَهَذَا خَبْرِي، وَذَلِكَ قَدْرِي.

فَقَالَتِ الثَّانِيَةُ: زَوْجِي كَثِيرُ الْهَذَرِ^(٣)، قَلِيلُ الْحَذَرِ. لَا يَعْصِي أَمْرًا، وَلَا يَكْتُمُ سِرًّا. ضَرِبُ^(٤) سَمْعَمَعٍ^(٥)، لَهُ نِسَاءٌ أَرْبَعُ. وَكُنْتُ فِيهِنَّ اللَّبِيقَةَ^(٦)، عَلَى الْحَقِيقَةِ. وَكَثَالِثَةُ الْأَثَافِيِّ^(٧)، وَكَالْقَوَادِمِ^(٨) مَعَهُنَّ الْخَوَافِيِّ^(٩). وَعِشْنَا سُعْدَاءَ، فِي قَلِيلٍ مِنَ الْعَدَاءِ. وَكَانَ

-
- (١) الْخَفِيفُ الذَّكِيُّ، الظَّرِيفُ الذَّهْنُ، الْحَدِيدُ الْفَوَادُ، الْفَصِيحُ اللِّسَانُ.
 - (٢) زَوَاجٌ مُحْدَثٌ، تُسْقِطُ فِيهِ الْمَرْأَةُ مَطَالِبَةَ الزَّوْجِ بِالْقِسْمَةِ، وَيَسِيرُ إِلَيْهَا وَعِنَهَا مَتَى شَاءَ.
 - (٣) الْكَلَامُ الْكَثِيرُ الرَّدِيِّ.
 - (٤) بَكْسَرُ الضَّادِ: الرَّجُلُ الْمَاضِي النَّدْبِ، وَالْخَفِيفُ اللَّحْمِ.
 - (٥) الصَّغِيرُ الرَّأْسِ. وَقِيلَ: هُوَ: الْخَفِيفُ اللَّحْمِ، السَّرِيعُ الْعَمَلِ، الْخَبِيثُ اللَّبَقُ طَالٍ أَوْ قَصِرَ. وَقِيلَ: هُوَ: الْمُنْكَمَشُ الْمَاضِي.
 - (٦) اللَّبَقَةُ وَاللَّبِيقَةُ: الْحَسَنَةُ الدَّلُّ وَاللَّبْسَةُ.
 - (٧) ثَالِثَةُ الْأَثَافِيِّ: الْحَيْدُ النَّادِرُ مِنَ الْجَبَلِ، يَجْمَعُ إِلَيْهِ صَخْرَتَانِ، ثُمَّ يَنْصَبُ عَلَيْهَا الْقَدْرَ.
 - (٨) رِيَشُ الطَّائِرِ فِي مُقَدِّمِ الْجَنَاحِ.
 - (٩) رِيْشُهُ مِنَ الْخَلْفِ.

مِمَّا يُطْفِي نِيرَانَ الْغَيْرَةِ، وَيَحُدُّ مِنْ غُلُوءِ^(١) الْحَيْرَةِ. مَا كَانَ يَصُبُّ عَلَيْنَا مِنْ وَفَرِهِ، وَرِيَالَاتِهِ وَدَثْرِهِ. وَرِيَشٍ وَرِيَاشٍ^(٢)، وَبُلْهْنِيَّةٍ^(٣) فِي الْمَعَاشِ. وَكَانَ أَحَدَ أَعْيَانِ التُّجَّارِ، فِي بَيْعِ الْعَقَارِ. فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ قَرِينٌ كَانَ ذَا مَالٍ قَلِيلٍ، وَبَصَرَ بِالتَّجَارَةِ كَلِيلٍ^(٤). فَظَنَرَ بَعَلُنَا إِلَيْهِ، بَعْدَ أَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ. فَرَأَى فِي وَجْهِهِ نَضْرَةَ النَّعِيمِ، بَعْدَ أَنْ كَانَ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ. فَسَأَلَهُ عَنْ سِرِّ غَيْبَتِهِ وَبُعْدِهِ، وَسَبَبِ بَخْتِهِ^(٥) وَسَعْدِهِ. وَمَنْ أَيْنَ لَهُ هَذَا الثَّرَاءُ، وَقَدْ كَانَ مِنْ بَنِي غُبْرَاءٍ^(٦). يُكْثِرُ السُّؤَالَ وَالطَّلَابَ، وَإِذَا مَرَّ نَبَحْتُهُ الْكِلابُ؟! فَقَالَ: سَأُنْبِتُكَ بِذَلِكَ، وَأَدُلُّكَ عَلَى إِنْمَاءِ مَالِكَ، بِمَا سَلَكَتُهُ مِنْ مَسَالِكٍ. لَقَدْ جَمَعْتُ مَا كَانَ لِي مِنْ قَلِيلٍ مُتَفَرِّقٌ، وَافْتَرَضْتُ مِنَ الْبَنْكِ بِالتَّوَرُّقِ^(٧). وَطَلَبْتُ الطَّارِفَ^(٨) وَالتَّالِدَ^(٩)، وَجَعَلْتُهُ فِي مَحْفَظَةِ

(١) حدة.

(٢) الوفرة والدثر والريش والرياش، كلها بمعنى المال.

(٣) سعة العيش ورغده.

(٤) ضعيف.

(٥) حظه.

(٦) الغبراء: هي الأرض، وبنوها: هم الفقراء. وفي ذلك يقول طرفة:

رَأَيْتُ بَنِي غُبْرَاءٍ لَا يَنْكُرُونَنِي وَلَا أَهْلُ هَذَاكَ الطَّرَافِ الْمَمْدُودِ

(٧) أن يشتري من البنك سلعة بثمن مؤجل، ثم يبيعها البنك لغيره حالة.

(٨) الطارف من المال: المُسْتَفَادُ المُسْتَحْدَثُ، ولم يكن أصلياً من ميراث، ولا اعتقار.

(٩) المال التاليد: القديم الثابت.

خَالِدٌ. وهو صديقٌ حميمٌ، وخبيرٌ قديمٌ. في المتاجرة بالأسهم في الشراكات، كثيرة الأرباح والبركات. فلم يَمُضِ عامٌ، إلا وقد عَلتِ الأرقامُ. وصارت أضْعَافًا مُضَاعَفَةً، والأرباحُ بيننا مُنَاصَفَةً. قالت المرأة: فلم يَلْبَثُ البعلُ الهُكْعَةُ^(١)، أن جَمَعَ ما كان مَعَهُ. ومِقْدَارُهُ عَشْرَةُ مَلايين، وتَلَّها^(٢) في يد ذلك الأمين. واكْتَتَبَ عَقُودًا موثِقَةً، بِتَفْصِيلاتٍ مُدَقَّقَةٍ. فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدَحِّضِينَ^(٣)، وسقط في قَاعِ الخُسْرَانِ المُبِينِ. وخرَّتِ الأسهمُ على رأسِهَا، وأفرغت مُعْظَمَ ما في كَاسِهَا. وظَهَرَ أَنَّ ما انْطَوَتْ عليه قَعَاقِعُ^(٤) وفَرَاقِعُ^(٥)، ممزُوجَةٌ بتكاذيبَ وَجَعَاجِعُ^(٦). فسُقِطَ الرَّجُلُ في يَدِهِ، وفُتَّ^(٧) في عَضُدِهِ. وَصَبَّ جَامٌ^(٨) غَضَبِهِ على خَلِيلِهِ، وَتَفَرَّقَ بهما الحالُ عن سَبِيلِهِ. وَخَذَلَهُ حَلَابِيُهُ^(٩)،

(١) الأحمق.

(٢) طَرَحَهَا.

(٣) المزلقين.

(٤) حكاية صوت السيوف والدروع.

(٥) صوت نقض الأصابع.

(٦) الجعجعة: صوتٌ فيه غلظٌ، كصوت دوران الرَّحَى.

(٧) فُتَّ في عَضُدِهِ: وهنت قوته.

(٨) الجام: إناء من فضة.

(٩) الحَلَابِي مُفْرَدُهَا: الحَلْبَةُ بالفتح: الدُّفْعَةُ من الخيل في الرِّهَانِ، وخيل

تجتمع للسباق من كلِّ أَوْبٍ لِلتَّصْرَةِ.

وَطَيْسُهُ^(١) وَأَقَارِبُهُ. والمرءُ إذا افْتَقَرَ، مُقِتَ واحْتَقِرَ. فَبَرَزَتْ معَايِبُ ما كان يَسْتُرُ بِالسَّخَاءِ، وَسَبَّابًا لِلرَّخَاءِ. فَقَرَفَ^(٢) من حَيَاتِهِ، وَطَلَّقَ زَوْجَاتِهِ^(٣). وَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ رُمِيَ بِسَهْمِ الطَّلَاقِ، فِي ذَلِكَ الْإِغْلَاقِ^(٤).

قالت الثالثة : زوجي خطيبٌ داعيةٌ، تعي خُطْبَهُ أَذَانٌ وَاعِيَةٌ. من أرقَّ النَّاسِ طبعًا، خُطِبَ على أَعْوَادِ مَنْبَرِي^(٥) سَبْعًا. رقيقة الحواشي، في ليالٍ غواشي^(٦). له في كل نادٍ مقامٌ، وفي كل ميدانٍ كلامٌ. يُعْنَى بَدْرَسِهِ، وَيَرْفُقُ بِعَرْسِهِ^(٧). نهاره صائمٌ، وَلَيْلُهُ قَائِمٌ. دائمُ الذِّكْرِ، كثيرُ الشُّكْرِ. أَرْغَمَ حُسَّادَهُ، وَأَتَعَبَ رُؤَادَهُ. ثاقِبُ الرَّأْيِ والرُّؤْيَا، لا أَرَبَ له في الدُّنْيَا. وَكُنَّا مَعَهُ فِي رَاحَةِ بَالٍ^(٨)، على أَحْسَنِ حَالٍ. حَتَّى ابْذَعَرْتُ^(٩) هَاتِيهِ الْفَضَائِيَّاتِ^(١٠)،

(١) كلٌّ ما في وجه الأرض من تراب وقُمام، والمراد: كلٌّ ما يملك.

(٢) ملَّها.

(٣) يقال للمرأة ذات الزوج: زوج، وهو الأفصح، وبالتاء جائز.

(٤) الغضب.

(٥) كناية عن معاشرته لها سبعة أعوام.

(٦) مظلمة.

(٧) امرأته.

(٨) قلب.

(٩) ظهرت.

(١٠) القنوات الفضائية.

المِيَالَاتُ الْمُمِيلَاتُ. التي لها رُؤُوسٌ كَرُؤُوسِ الْقَاقِ وَالْقُوقِ^(١)،
أَوْ ذَنْبُ الْغُرْتُوقِ^(٢). فَاجْتَذَبَتْهُ تِلْكَ الْقَنَا^(٣)، وَصَارَ يَظْهَرُ هُنَا
وَهُنَا، وَهُوَ الرَّجُلُ الْفَعْفَعُ^(٤)، وَالْحُذَاقِي^(٥) الْيَلْمَعُ^(٦)، وَحَدِيثُهُ
السَّحْرُ الْحَلَالُ، وَالْعَذْبُ الزُّلَالُ. فَإِنَّهُ ذُو ذَرَابَةِ^(٧) وَلَسَنَ^(٨)، وَأَمَّا
خَلْقُهُ فَكُلُّ خَلْقِ اللَّهِ حَسَنٌ^(٩). غَيْرَ أَنَّ لِكُلِّ مَا يَسْقُطُ مَن يَلْقُطُ،
وَلِكُلِّ رَسَنٍ^(١٠) مَن يَرِبُطُ. فَلَمْ يَكُ إِلَّا شَهْوَرٌ؛ حَتَّى تَحْوَلَ الشَّيْخُ
الْوُقُورُ إِلَى عَنَظُنْطٍ^(١١) خَيْثُورٍ^(١٢). قَلْبَ دِمَاغِهِ الْمُعْجَبُونَ
وَالْمُعْجَبَاتُ، بِالسُّؤَالِ وَالرَّسَائِلِ وَالِاتِّصَالَاتِ. وَصَارَ الْخَطِيبُ
مَخْطُوبًا، وَلَدَى الرَّعَائِبِ^(١٣) مَطْلُوبًا. وَضَجِيجُ الْجَوَالِ لَا يَفْثُرُ،

(١) القاق: الأحمق الطائش، والقوق: طائر طويل العنق.

(٢) طائر.

(٣) اسم جمع قناة.

(٤) الرجل الخفيف.

(٥) الحُلُو الكلام، الرُّطْب اللسان.

(٦) اسم برق، يُشَبَّه به الكذوب.

(٧) فصاحة.

(٨) بلاغة.

(٩) تُعَرِّض بِقُبْحِهِ.

(١٠) الحبل.

(١١) طويل العنق حسنه.

(١٢) الدَّاهِيَة.

(١٣) السمين الممتلئ.

وَرَنِينُ الْهَائِفِ يَهْدِرُ، وصوتُ خَاطِفٍ^(١) ظَلَّةٌ يُصَفِّرُ. هذه مُعْجَبَةٌ بِصَوْتِهِ، وأخرى بِبِسْمَتِهِ وَسَمْتِهِ. وثالثةٌ بِلَفْظِهِ وَسَبْكِهِ، وجَوْدَةِ فِكْرِهِ وَحَبْكِهِ. ورابعةٌ تَدْعُو بَأَن يَجْمَعَهُمُ اللَّهُ فِي مُسْتَقَرٍّ رَحْمَتِهِ، وَأَن يَرْزُقَهُ اللَّهُ مَنْ هُوَ فِي مِثْلِ طَلْعَتِهِ. وما مُسْتَقَرُّ الرَّحْمَةِ عِنْدَ الْبُلْهَاءِ، إِلَّا غُرْفَةُ الشَّوْشَلَاءِ^(٢). ولو تَرَاهُ وَهُوَ يُكَلِّمُ سَوْطَهُ^(٣)، لَقُلْتَ: إِنَّهُ قَحْمٌ^(٤) مِنْ الْحَوْطَةِ^(٥).

فَهَاجَتْ رِيَّاحُ التَّغْيِيرِ فِي حَظِيرَةِ الْمَوَدَّةِ، وَهَبَّ إِعْصَارُ الْأَغْيَارِ بِنَارِ الْغَيْرَةِ عَلَى الْبَيْتِ فَهَدَّاهُ. وَتَضَاعَلَ اللَّطْفُ، وَخَرَّ السَّقْفُ. فَعَجَلْتُ بِالْأَسْتِطْلَاقِ^(٦)، وَالتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ^(٧). وَانْقَلَبْتُ إِلَى أَهْلِي فِي غَيْرِ سُرُورٍ، وَلَا جَذَلٍ وَلَا حُبُورٍ^(٨).

(١) طائرٌ إذا رأى ظِلَّهُ فِي الْمَاءِ أَقْبَلَ لِيَخْطِفَهُ، وَجَعَلَتْهُ اسْمًا لِلْفَاكْسِ.

(٢) غُرْفَةُ النُّومِ، وَالشَّوْشَلَاءُ: الْجَمَاعُ.

(٣) جَوَالُهُ، وَفِي الْحَدِيثِ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكَلِّمَ الرَّجُلُ عَذْبَةَ سَوْطِهِ».

وَهُوَ جُزْءٌ مِنْ حَدِيثِ مَرْفُوعٍ، أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٨٣/٣)، وَالتِّرْمِذِيُّ

(٢١٨١)، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي

(السَّلْسَلَةُ الصَّحِيحَةُ: ١٢٢).

(٤) مَسْنٌ.

(٥) حَوْطَةُ بَنِي تَمِيمٍ.

(٦) طَلَبُ الطَّلَاقِ.

(٧) كُنَايَةٌ عَنِ الشَّدَةِ.

(٨) الْجَذَلُ وَالْحُبُورُ: الْفَرَحُ وَالسُّرُورُ.

العَقَامَةُ العَقَارِيَّةُ

(مناظرة بين مالكٍ ومُستأجرٍ)

قال أبو العيين:

حدّث أبو إسحاق، في نَفَرٍ مِنَ الحَذَاقِ، قال: تَشَاجَرَ مُسْتَأْجِرٌ وَمَالِكٌ، مِنْ بَنِي مَالِكٍ. قال المستأجرُ: الأرضُ كُلُّها لي، أنزلُ حيثُ شِئتُ بمالي. أتبوأُ حيثُ أشاء، وأبتعدُ عَمَّنِ أساء. إذا ضاق بي مكانٌ، لم يَضُقْ بي مكانٌ. إن جَارَ عليَّ جاري، تركتُ له وَجَارِي^(١). وإن قَلَقَنِي^(٢) صَوْتُ، فلا فَرَعٌ ولا فَوْتُ. أعدِلُ إلى مكانٍ قَريبٍ، بِجِوَارِ عَالِمٍ أريبٍ. أو عَالِمٍ غَريبٍ، أو عاملٍ أديبٍ. أو أجاور البيتَ العتيقُ، أو مَسْجِدَ النَّبِيِّ الشَّفِيقِ^(٣). أو في المَسْجِدِ الأَقْصَى، وهو أَمَلٌ لا يُقْصَى^(٤). بلا فِتْنَةٍ تُخْشَى، ولا سوءِ عِشْرَةٍ تُغْشَى.

(١) مأواي ومسكني.

(٢) أزعجني.

(٣) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

(٤) أمل غير بعيد، لا يُيأس منه.

إِنَّكَ أَيُّهَا الْمَالِكُ، واقِعٌ فِي الْمَهَالِكِ. تُكَلِّفُ نَفْسَكَ جَمْعَ الْمَالِ، وَالتَّقْتِيرَ عَلَى الْعِيَالِ. وَتَجْهَدُ فِي الإِشْرَافِ عَلَى الْبِنَاءِ، وَتَلْقَى عَنَاءً بَعْدَ عَنَاءٍ. مِنْهَا خِدَاعُ الْمُقَاوِلِ^(١)، وَصُدَاعُ الْمُعَاوِلِ^(٢). وَشِرُهُ^(٣) الْعُمَالِ، وَشِرَّةُ^(٤) الْحَمَالِ، وَتَزَا حُمُ الْأَعْمَالِ.

ثُمَّ إِنِّي أَيُّهَا الْمَالِكُ الْحَزِينُ، حَظَيْتُ بِوَصَاةِ الْأَمِينِ: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا دَفَعَ مُسْتَأْجِرٌ وَسَلَّمٌ. فِي الْحَدِيثِ الْجَلِيلِ، «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ الْأَبَرُّ، عَنِ التَّقِيِّ ابْنِ عُمَرَ. وَمَا الْعَابِرُ، سِوَى الْمُسْتَأْجِرِ، وَصِنُو^(٥) الْمُهَاجِرِ. الَّذِي جَنَحَ إِلَى شَجَرَةٍ وَقَالَ^(٦)، ثُمَّ تَرَكَهَا وَمَالَ. لَا الْمَالِكُ التَّاجِرُ الَّذِي رَكَنَ إِلَى الدُّنْيَا، وَاسْتَبَدَلَ السُّفْلَى بِالْعُلْيَا.

(١) الْمُقَاوِلُ: مَنْ يَتَعَهَّدُ بِالْقِيَامِ بِعَمَلٍ مُعَيَّنٍ، مُسْتَكْمِلٌ لَشُرُوطِ خَاصَّةٍ، كِبْنَاءِ بَيْتٍ أَوْ إِصْلَاحِ طَرِيقٍ، وَتَوْضُوحِ التَّفْصِيلَاتِ لَهُ فِي عَقْدِ يَوْقَعِهِ الْمُتَعَاقِدَانِ.

(٢) جَمْعُ مِعْوَلٍ.

(٣) جَشَعٌ.

(٤) حِدَّتْهُمْ.

(٥) الصُّنُو - هُنَا - : الْأَخُ، وَلَهُ مَعَانٍ أُخْرَى، مِنْهَا: الْإِبْنُ، وَالْعَمُّ، وَالْحَفَرُ الْمَعْطَلُ، وَجَمْعُهُ أَصْنَاءٌ، وَصُنَوَانٌ، وَالْأُنْثَى: صِنُوءَةٌ.

(٦) مِنَ الْقِيلُولَةِ.

إِنَّكَ أَيُّهَا الْمَالِكُ، فِي دُنْيَا الْمَهَالِكِ. تَرَكَنْ إِلَى الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ،
تَبْنِي عِمَارَةً وَتُفَكِّرُ فِي الثَّانِيَةِ. تَظُنُّ أَنَّكَ فِي عَيْشِ رَغِيدٍ^(١)، وَمَقَامِ
سَعِيدٍ. هَلُمَّ إِلَيَّ حَتَّى أُرِيكَ السَّعَادَةَ، وَعَيْشَ السُّعْدَاءِ وَالسَّادَةِ.
أَتَخَفَّفُ مِنَ الثَّقَلِ، وَأَسْتَمْتِعُ بِالثَّقَلِ^(٢). وَلَا أَحْمِلُ هَمَّ التَّسْوِيَةِ،
لَمَّا انْقَضَ مِنَ الْأَبْنِيَةِ. إِنْ عَرَضَ لِي مُزْعِجَاتٌ، فِي أَيِّ وَقْتٍ مِنَ
الْأَوْقَاتِ. فَزَعْتُ إِلَى بَدِيلٍ، بِأَخْصَرِ سَبِيلٍ. كَأَنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا
مِلْكِي، وَمَرَاكِبِي وَفُلْكِي. وَمَا أَنْتَ أَيُّهَا الْمَالِكُ، إِلَّا عَبْدٌ بَيْتِكَ
وَمَالِكَ. وَقَدْ قَالَ الْأَوَّلُ، حِكْمَةً لَا تُؤَوَّلُ:

وَلَا يَقِيمُ عَلَى ضَمِيمٍ يُرَادُ بِهِ

إِلَّا الْأَذْلَانَ عَيْرُ الْحَيِّ^(٣) وَالْوَتْدُ

هَذَا عَلَى الْخَسْفِ^(٤) مَرْبُوطٌ بِرُمْتِهِ^(٥)

وَذَا يُشَجُّ^(٦) فَلَا يَرْتِي لَهُ أَحَدٌ

(١) واسع.

(٢) جمع نقلة

(٣) العَيْر: الحمار، ومن معانيه أيضاً: الوتد، والطبل، والجمل، وكلّ ناتئ
وسط الشيء، وجبل بعينه، ورجل بعينه، والسيد. وفي مثلث ابن
مالك:

حمارُ العَيْرِ وطبلٌ ووتدٌ ورجلٌ وجبلٌ وما تجدُ

من ناتئٍ وسَطِ شيءٍ ويردُ وهو بمعنى سيد الأصحاب

(٤) الإذلال.

(٥) بحبله.

(٦) يدق رأسه.

وإني لا أزالُ لَابِثًا، حَتَّى أَزِيدَ ثَالِثًا.

إِنِّي أَضَفْتُ إِلَى هَذَيْنِ صَاحِبِنَا

مَنْ فَضَّلَ الْمَلِكَ لَوْ جُدرَانُهُ مَسَدٌ^(١)

أَلَمْ تَرَ إِلَى ذَلِكَ الْهَلُوعِ^(٢)، حِينَ دَهَمَ بَيْتَهُ مَشْرُوعٌ^(٣). فجاءه
التَّعْوِيزُ^(٤) الْمُخْجَلُ، كَحُثْيِ التَّبْوِيزِ الْمُشْكِلِ. وضَاقَتْ عليه
الأَرْضُ، بطولِها والعَرَضُ. وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ، ضَاقَ بِأَهْلِهِ. وَلَمْ
يَأْتِهِ عَوْضٌ أَصْلًا، فَصارَ فِي نارٍ تَصْلَى. لَأَنَّهُ لَا يَحْمِلُ صَكًّا،
فدُكَّ بَيْتُهُ دَكًّا. وَهَامَ عَلَى وَجْهِهِ فِي الْفَدَافِدِ^(٥)، وَلَمْ يَجِدْ لَهُ مِنْ
رَافِدٍ. فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي، مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ وَأُنْجَانِي.

فَتَبَسَّمَ الْمَالِكُ ثُمَّ قَهَقَهُ^(٦)، وَقَالَ: يَا أَيُّهَا الرُّفْقَةُ. لَقَدْ أَضْحَكَنِي
هَذِهِ اللَّيْلَةُ، صَاحِبُ الْعَيْلَةِ^(٧)! أُوتِيَ شَيْئًا مِنَ الْفَصَاحَةِ وَاللَّسَنِ،

(١) مسد: حبلٌ من ليف.

(٢) الْهَلُوعُ هو: كما وصفه الله - سبحانه - ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج].

(٣) المشروع - في هذا السياق - في عُرْفِ اليوم: بناء مصلحة عامة، أو شقُّ طريق ونحوه.

(٤) التعويضات القليلة تكون في المنازل التي لا يملك صاحبها صكَّ ملكية.

(٥) جمع فدغد: الفلاة، والمكان الصُّلْبُ الغليظ، والمرتفع.

(٦) القهقهة: ضحك شديد.

(٧) الفقر.

فَقَبَّحَ الْحَسَنُ. وَحَسَّنَ الْقَبِيحَ، وَضَعَّفَ الصَّحِيحَ. وَقَلَّبَ
وَأَدْرَجَ^(١)، وَوَقَفَ بِلاَ مَخْرَجٍ. اسْمَعْ يَا صَاحِبَ الْأَبَاطِيلِ،
وَمُتَقَوِّلِ الْأَقَاوِيلِ! لَقَدْ أَحْزَنْتَنِي أَحْلَامُكَ، وَأَزَعَجَنِي كَلَامُكَ.
وَكَيْفَ لَا آسَى^(٢)، وَقَدْ أَذْكَرْتَنِي قَوْمَ مُوسَى. الَّذِينَ أَكْثَرُوا
الْكَلَامَ، وَلَمْ يَصْبِرُوا عَلَى طَعَامٍ. وَاسْتَبَدَّلُوا الْأَذْنَى، بِالَّذِي هُوَ
أَسْنَى^(٣).

أَتُرِيدُ أَنْ أَكُونَ كَالْقِطَّةِ، كُلَّ يَوْمٍ حَطَّةً^(٤). يَشُمْتُ بِي ذَوُو
الشَّئَانِ^(٥)، فِي كُلِّ وَقْتٍ وَأَنِّ. يَقُولُونَ: مَا لِهَذَا يُغَادِرُ^(٦)، أَمْجَنُونَ
أَمْ غَيْرُ قَادِرٍ. لَا يُحَسِّنُ التَّدْبِيرَ، وَلَا يُجَوِّدُ التَّفَكِيرَ. كُلَّ يَوْمٍ فِي
مِحْلَالٍ^(٧)، كَأَنَّهُ مِنْ بَنِي إِسْرَآلَ^(٨). ضَيَّعَ نَفْسَهُ وَوَلَدَهُ، وَأَتْلَفَ كُلَّ
مَا وَجَدَهُ. أَوْ قَتَرَ عَلَى عِيَالِهِ، فَخِلَ عَلَيْهِمْ بِمَالِهِ. يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ
أَخْلَدَهُ، إِذْ جَمَعَهُ وَعَدَّدَهُ!! كَلَّا.. أَيُّهَا الْغِرَّ^(٩)، وَشَبِيهَ الْهَرِّ^(١٠).

(١) أدخل في الكلام ما ليس فيه.

(٢) أحزن.

(٣) أعلى.

(٤) الحطّ: الحذر من علو إلى أسفل، والمرّة: الحطّة.

(٥) البغض، ونونه تسكّن، وتفتح.

(٦) يترك مكانه.

(٧) المكان الذي يحلّ فيه الناس.

(٨) إسرآل: بنو إسرائيل، الذين كانوا في التيه.

(٩) الجاهل الذي لم يجرب الأمور.

(١٠) لأنه في كل يوم في مكان.

لقد قلتَ قولاً شَطَطاً^(١)، وأمرًا خائبًا فُرطاً^(٢). المِلكُ عِزٌّ وإِعْزَازٌ،
وَشِفَاءٌ مِنَ الْجَازِ^(٣). وَسَكَنٌ وَقَرَارٌ، وَرَاحَةٌ لِلْكَبَارِ. إِنَّهُ لَا مُلْكَ
لِصَنْدِيدٍ^(٤)، إِلَّا بِمُلْكٍ عَتِيدٍ^(٥). ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾^(٦)
وَلَا الظُّلُمْتُ وَلَا النُّورُ ﴿وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحُرُورُ﴾^(٧) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ
وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ ﴿

[فاطر].

كَمْ مِنْ مُسْتَأْجِرٍ فِي السَّجْنِ^(٦) قَابِعٍ^(٧)، لَمْ يَنْفَعُهُ خِلٌ وَلَا شَافِعٌ.
لَأَنَّهُ لَمْ يَدْفَعْ مَا عَلَيْهِ بِالْحُسْنَى، وَضَيَّعَ مَالَهُ وَأَفْنَى. وَكَمْ طَرِيدٍ
أَخْرَجَ مِنْ دَارِهِ، لِقَلَّةِ مَالِهِ وَضَعْفِ مِقْدَارِهِ. أَضْنَى^(٨) أَهْلُهُ وَعِيَالُهُ،
وَأَتَعَبَ نَفْسَهُ وَبَالَهُ^(٩). وَخَلَخَلَ^(١٠) أَثَاثَهُ وَمَتَاعَهُ، وَرُبَّمَا أَعْيَاهُ
فَبَاعَهُ. فَأَمَّا مَنْ كَانَتْ لَهُ مَكْتَبَةٌ، فَهِيَ الطَّامَةُ وَاللَّبْلَبَةُ^(١١). كَيْفَ

(١) بعيداً عن الحق.

(٢) مجاوزاً للحد.

(٣) الجأز: اسم الغصص في الصدر.

(٤) السيد الشجاع.

(٥) حاضر.

(٦) بفتح السين وكسرهما، وهو الأفصح.

(٧) ماكث فيه، متخلف عن أهله وصحبه.

(٨) أمرض.

(٩) قلبه.

(١٠) أحدث فيه خللاً يؤدي إلى فساد.

(١١) التفرق.

يَحْمِلُهَا، وَكَيْفَ يُجْمِلُهَا^(١). وَكَيْفَ يُعِيدُهَا، وَكَيْفَ يَشِيدُهَا
!!؟^(٢)

قُلْ لِي أَيُّهَا الْمُسْتَاغِرُ، وَالْمُمَارِي^(٣) الْمُشَاغِرُ!!^(٤)

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحٍ^(٥) تَرَكْتَهُمْ

نَهَبَ الْعَقَارِ^(٦) عَلَيْهِمْ ذِلَّةٌ رَهَقَتْ

فِي كُلِّ حِينٍ يُدَقُّ الْبَابُ يَطْلُبُهُمْ

ذُو الدَّارِ أَجْرَتُهُ مَعَ أَجْرَةِ سَبَقَتْ

لَهُمْ نَقُودٌ وَلَكِنْ لَا تَفِي فَالَهُمْ

أُمٌّ عَجُوزٌ وَأَخْتُ مُرْضِعٌ طَلَّقَتْ^(٧)

مُهَدَّدُونَ بِإِخْرَاجٍ عَلَى عَجَلٍ

وَفِي الدُّيُونِ هُنَاكَ الْأُمُّ قَدْ غَرِقَتْ^(٨)

(١) يضعها جملة.

(٢) يبنيتها. يقال: شاد البناء: إذا أعلاه ورفعاه، أو طلاه بالشيد، ويقال: أشاد البناء: أعلاه أيضاً.

(٣) المجادل بالباطل.

(٤) المنازع.

(٥) صبية صغار.

(٦) لأن أموالهم المدفوعة للإيجار ينهبها وتأكلها قيمته.

(٧) طَلَّقَتْ من زوجها، على وزن: كَرُمَ، وَنَصَرَ.

(٨) مقطوعة من أبيات التزمْتُ فيها بما لا يلزم.

قال أبو العَينين: الجمعُ بين القولين. أن الإيجارَ خيرٌ من التَّمليك، للعُزَّاب الصَّعاليك^(١). ولمن كان قليل التَّابعين^(٢)، من أولي الإربة^(٣) والأطفال، وغيرهم من ذواتِ الحِجَال^(٤)، ولمن كان طويلَ البال، كثيرَ الأسفار، قليلَ الأسفار^(٥). ولكلِّ وجهه هو مُولَّاهَا^(٦)، وعقيدة يتولَّاهَا. والتَّفوسُ اللطيفة، والعزائم الشَّريفة، لا تبني سعادتها على تحصيل الكمال، وكثرة العَرَضِ والمال. ولا تركزُ إلى أمٍّ دَفَر^(٧)، وإن جَمَعَتِ الرِّياشَ والوَفَرَ^(٨). وهي إن ملكَتِ العقارَ والبيوت، لتعلمُ ما فوق «العنكبوت»^(٩). ولتذهب الدنيا الفانية، إذا بقيت الصَّحة والعافية. وبقي الأمنُ والسَّلام، وقبل ذلك نعمةُ الإسلام، وطاعة القُدوسِ السَّلام، والسَّلامُ عليكم وعليكمُ السَّلام.

(١) جمع صعلوك، من لا مال له.

(٢) من يتبعه ممَّن يعوله كالخدم.

(٣) أولي الحاجة والعقل.

(٤) جمع حِجل، وهو حليّ يوضع في الرِّجل، تلبسه المرأة.

(٥) الأسفار هنا جمع سِفَر، وهو الكتاب، الأسفار الأولى جمع سَفَر، بالفتح.

(٦) بهذا اللَّفظ قراءة ابن عامر الشامي.

(٧) كنية الدنيا.

(٨) المال الكثير.

(٩) سورة القصص، وهي قبل العنكبوت، وفي آخرها قصّة قارون.

العقامة الخيلية

قال أبو العيين:

انصرفتُ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ. بَعْدَ الصَّلَاةِ
الْوُسْطَى^(١)، إِلَى دَارِ وَسْطَى. بَيْنَ جَمْعٍ وَمِنَى، فِي سَنَاءٍ وَسَنَاءٍ^(٢).
عَلَى قُرْبَجٍ^(٣) وَاسِعٍ، أَمَامَ سَاحِ شَاسِعٍ. فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ وَلَجْتُ
الطَّنْفَ^(٤)، وَإِذَا بِأَبِي إِسْحَاقَ قَدْ هَتَفَ. يَسْتَأْذِنُ لِيَزُورَ، سَاعَةً ثُمَّ
يَحْوِرُ^(٥). فَرَأَنِي مُطْرِقًا حِينَ وَلَجَ، وَظَنَنِي أَذْنْتُ بِحَرَجٍ، وَوَدِدْتُ
لَوْ أَنَّهُ خَرَجَ.

قال أبو العيين: وَاللَّهِ مَا لَكَ عَلَيَّ يَمِينٌ، إِنِّي لَعَلَى مَا تَرَى مُنْذُ
حِينَ، وَإِنِّي لَفِي جِيَمٍ وَسِينٍ^(٦). وَإِنَّ الْبَالَ لَفِي بَلْبَالٍ وَبَلْبَالٍ^(٧)،
وَحَيَالٍ وَأَهْوَالٍ.

(١) صلاة العصر.

(٢) في رفعة ونور.

(٣) الحانوت.

(٤) صحن البيت، وهو الصالة.

(٥) يرجع.

(٦) سؤال وجواب.

(٧) همّ ووساس.

كما أنشد من قال:

طَرَقَ الخيالُ فهاجني من مَهْجَعِي

رَجَعَ التَّحِيَّةَ فِي الظَّلَامِ الْمُهْلَسِ^(١)

إي ورّبي، لقد طافَ الخيالُ بي، ودنا بقربي. ووافاني بمرآة
المئة السادسة بعد العجوز^(٢)، ورأيتُ من خلالها ما يَجُوزُ وما
يَحُوزُ. رأيتُ النَّاسَ، أشباه النَّاسِ.

قال: لقد هَزَنِي مَقَالُكَ، وَحَرَكَنِي خِيَالُكَ. فباللهِ إِلَّا حَدَثَنِي
بطيفه^(٣)، وَجَوَّلَانَهُ وَطَوَفَهُ^(٤). ففي الخيالِ ما هو حقائق، أو كَابِنِ
ثَهْلَلٍ^(٥) زَاهِقٍ.

قلتُ: سَأُنَبِّئُكَ بما تريدُ، بلا نقصٍ ولا مَزِيدٍ. فلا تَسْأَلْنِي عن
شيءٍ، تراه كالفِيءِ^(٦). حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا، وتسمعَ له
فَسِرًّا^(٧).

(١) الإهلاس: إسرار الحديث، وإخفاؤه.

(٢) من معاني العجوز: الألف من كل شيء، أي: (١٦٠٠هـ).

(٣) طائف الخيال.

(٤) طوفانه، يقال: طاف طوفًا وطوافًا وطوفانًا.

(٥) تكني العرب الباطل بابن ثَهْلَلٍ.

(٦) كالظَلِّ.

(٧) تفسيرًا.

إِنِّي رَأَيْتُ سَمَاءَ الْحَيِّ مُمْتَلِئًا

بِالطَّائِرَاتِ كَأَسْرَابٍ مِنَ الْحَجَلِ^(١)

وَالْبُيُوتِ مَسَارَاتٍ تَمُرُّ بِهَا

مَرَّ السَّحَابِ بِلَا رَيْثٍ وَلَا عَجَلٍ^(٢)

هِيَ الرِّوَا حِلُّ بَلْ هُمْ يَذْرُسُونَ بِهَا

وَيَعْمَلُونَ عَلَى أَجْرِ إِلَى أَجَلٍ^(٣)

وَالطُّفْلُ مِنْهُمْ يَقُودُ الْقَوْمَ مُدَّرِعًا

ثُوبَ الْحَمَاسِ بِلَا خَوْفٍ وَلَا وَجَلٍ

وَالْكُتُبُ قَدْ أُدْرِجَتْ جَوْفَ الْجُحُورِ وَلَمْ

يَمَسَّهَا الْمَرءُ إِلَّا خَافَ مِنْ مَجَلٍ^(٤)

(١) نوع من الطير.

(٢) أي: أن البيوت متقلبة.

(٣) بيوتهم هي رواحلهم ومدارسهم وأماكن عملهم.

(٤) مَجَلَتْ يده، كفرح ونصر: نَفِطَتْ من العمل، والمعنى: أن الكتب صارت مهجورة مغبرة، ويخاف لامسها من أن تؤثر في يده.

وَلَقَرَاءَةً شِبْهُهُ لَا يَشَكُّ بِهِ

فِي الْقَارِئِينَ مِنَ الْإِنْشَادِ وَالزَّجَلِ^(١)

وَفِي الْخَرِيطَةِ أَصْقَاعٌ خَلَتْ وَمَضَتْ

فِي وَسْمٍ كَانَ كَأَخْبَارٍ مِنَ الدَّجَلِ^(٢)

وَلِلْأَمَانَةِ طَيْفٌ لَامِعٌ فَإِذَا

كَانَ الصَّبَاحُ خَلَتْ مِنْ هِمَّةِ الرَّجُلِ^(٣)

وَلِلْجَهَالَةِ فَوْحٌ فِي ثِيَابِهِمْ

وَلَا مَكَانَ بَوَاجِهِ لَاحَ مِنْ خَجَلِ^(٤)

وَأُلْهِمُوا بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَعْرِفُوا عَدَدًا

مِنَ الْكَوَاكِبِ غَيْرَ الْأَرْضِ فِي بَجَلِ^(٥)

(١) يعني أن الناس يبالغون في تلحين القرآن، والتغني به، وتلحينه.

(٢) أي: أن بعض أجزاء من الأرض ستفنى بالبراكين ونحوها، حتى تصبح في خبر كان، ولا أثر لها، وبعضها سيفنى بسلطان القوة.

(٣) هذا مصداق الحديث الوارد في الصحيح في أن الأمانة تنزع من القلوب.

(٤) هذا أيضاً مصداق الحديث الثابت في الصحيح في ذهاب العلم بموت العلماء.

(٥) البجل: العجب، والمعنى: أن الناس يكتشفون بعض الكواكب الأخرى الصالحة للإقامة، وقد يكون منها الأرضون الأخرى، لأن العلم لم يستطع إلى الآن تفسير ما أخبر به القرآن من وجود سبع أرضين.

وَعَرَّسُوا^(١) فَوْقَهَا أَيَّامَهُمْ وَرَعَوْا

أَنْعَامَهُمْ وَاحْتَسَوْا نَهْرًا مِنَ الْعُجُلِ^(٢)

هَمْ يَحْسِبُونَ بِأَنَّ الْكَوْنَ فِي يَدِهِمْ

وَقَادِرُونَ عَلَى التَّذْلِيلِ لِلْهُجُلِ^(٣)

لَمْ يَلْبِثُوا بَعْدَهَا إِلَّا أَزِيمَنَةً^(٤)

حَتَّى لَقَدْ حَصِدُوا بِالْآخِذِ الْعَجِلِ^(٥)

فَرَفَعَ أَبُو إِسْحَاقَ رَأْسَهُ، وَجَمَعَ نَفْسَهُ وَنَفْسَهُ. وَفِي صَدْرِهِ
ضِحْكَةٌ يَكْتُمُهَا، وَاعْتِرَاضَةٌ يَكْظُمُهَا. وَأَخَذَ يَقْلُبُ كَفِّهَ، وَيَعَضُّ
عَلَى شَفْتَيْهِ.

(١) باتوا بها.

(٢) أصله: العُجل، بإسكان الجيم، وضمت إبتاعاً، وهو اللبن الذي يجلبه
المعجل.

(٣) الهجُل: الطريق التي تُمهَّد، والمراد: أنهم قادرون على تذليلها في ذلك
الكوكب كما يفعلون في الأرض، وهو مصداق قول الله تعالى:
﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَهَا أَنْتُمْ قَدِرْتُمْ عَلَيْهَا﴾ [يونس: ٢٤].

(٤) تصغير أزمنة.

(٥) وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿أَتَنْهَأُ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ
تَعْنِ بِالْأَمْسِ﴾ [يونس: ٢٤]، وقد التزمت في هذه الأبيات ما لا يلزم.

قلتُ: إِنَّكَ لَمْ تَرَ مِنَ الْجَمَلِ إِلَّا أَذُنَيْهِ^(١)، وَلَا مِنْ الشَّجَرِ إِلَّا
فَنْنِيهِ^(٢). فمِطْيَةٌ خِيَالِي لَا تَنِي^(٣)، وَأَرْضُهُ ذَاتُ جَنِي^(٤). وَمَا عَلَى
الْخِيَالِ مِنْ سَبِيلٍ، وَلَا يَقْفُ فِي سَبِيلِهِ مُسْتَحِيلٌ. وَحُكْمُهُ فِي
الْجَرِشِيِّ^(٥)، كَالْحُكْمِ فِي الْإِنْشَاءِ^(٦). لَا يُقَالُ لِمَالِكِهِ: كَاذِبٌ^(٧)،
وَلَا يَغْضَبُ لِقِيلِهِ^(٨) غَاظِبٌ، وَلَا يَعْأَبُهُ مَعَاتِبٌ.

وَمَعَاذَ الْحَقِّ أَنْ نَجْزِمَ بَظُنٍّ، فَمَا الظَّنُّ إِلَّا كَالْمَنْ^(٩). لَهُ^(١٠)
حَلَاوَةٌ عَسَلٌ، ثُمَّ يَتَّبِعُهُ شَيْءٌ كَالْأَسَلِ^(١١).

وَأَعْلَمُ أَبَا إِسْحَاقَ، حَفَظَكَ الْخَلَاقُ. أَنَّ الْأَخْبَارَ الْمَصْدَقَةَ،
وَالنُّصُوصَ الْمُحَقَّقَةَ. قَدْ دَلَّتْ دَلَالَةُ التِّزَامِ. عَلَى أَنَّ النَّاسَ قَبْلَ
الْقِيَامِ. يَعُودُونَ إِلَى الْعَادَايَاتِ^(١٢)، وَيَغْيِرُونَ عَلَى الْمُغْيِرَاتِ^(١٣).

(١) أي: لم تر من الحقيقة إلا شيئاً قليلاً منها.

(٢) تشبة فَنْنِ: الغُصْنِ، والجمع: أَفْنَان.

(٣) لا تتعب.

(٤) أي: ذات ثمر جني.

(٥) النفس.

(٦) بالقصر.

(٧) لأنَّ الإنشاء هو: ما لا يحتمل الصدق والكذب لذاته.

(٨) لقوله.

(٩) لِلْمَنْ مَعْنِيَانِ، شَيْءٌ كَالْعَسَلِ، وَالْمَنْ بِالصَّدَقَةِ وَالْعَطِيَّةِ.

(١٠) أُعِيدَ الضَّمِيرُ عَلَى أَحَدِ الْمَعْنِيِّينَ لِلْمَنْ، وَهُوَ الْعَسَلِ.

(١١) الْأَسَلُ: الرَّمَامُ، وَالتَّبَلُّ، وَشَوْك.

(١٢) الْإِبِلُ تَعْدُو.

(١٣) الْخَيْلُ يُغَارُ بِهَا.

وَيَرَعُونَ فِي الْمَدَائِنِ آمَّ جَعْفَرٍ^(١)، وَلَا يُسْمَعُ فِيهِمْ مَنْ اسْتَغْفَرُ.
وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ.

(١) كنية الشاة عند العرب. وقد ثبت في الحديث: أن الساعة تقوم وراعيان من مُزينة ينعانان بغنمهما عند ثنية الوداع، وهي وسط المدينة النبوية. والمراد من الكلام السابق: أن بعض الأخبار النبوية قد يفهم منها أن حال الناس في آخر الزمان يكون كحالهم في أول الأمر، وقد عطلت هذه الوسائل.

المَقَامَةُ السَّهَادِيَّةُ

سبحان من لا تأخذه سنة ولا نوم

قال أبو العينين - وهو في سَمَرٍ مع أصحابه، وصُداقائه وأحبابه - :

النَّوْمُ: ضَيْفٌ، لا يَأْتِيكَ مع الخوفِ. إِذَا طَلَبْتَهُ أَنْفٌ^(١)، وَإِنْ طَلَبَكَ كَلِيفٌ^(٢). غِذَاءُ الْأَرْوَاحِ، وَشِفَاءُ الْأَتْرَاحِ^(٣)، وَمَوْلِدُ الْإِنْشِرَاحِ. أَنْفُسُنَا حِينَ نَنَامُ، فِي قَبْضَةِ الْقِيَامِ^(٤). إِلَى أَجْلِ مَحْدُودٍ، وَزَمَنٍ مَعْدُودٍ. يَمْضِي فِي فَلَكَ الزَّمَانُ، وَتَعَاقِبُ الْمَلَوَانُ^(٥). لَيْلٌ قَدْ عَسَعَسَ^(٦)، وَصَبَحٌ يَتَنَفَّسُ^(٧). بِحِكْمَةٍ وَتَدْبِيرٍ، مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ. إِنْسَانٌ يَنَامُ عَلَى كُلِّ حَالٍ، بِكُلِّ الْهَيْئَاتِ

(١) أَيْ وَاسْتَنَكَفَ.

(٢) تَعَلَّقَ بِكَ.

(٣) الْأَحْزَانُ.

(٤) الْقَائِمُ بِكُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، لُغَةٌ فِي الْقِيَوْمِ.

(٥) اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ.

(٦) أَقْبَلَ بِظُلَامِهِ وَأَدْبَرَ (ضَدَّ).

(٧) قَالَ سَبْحَانَهُ: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ (١٨) [التَّكْوِيرُ]: إِذَا تَبَلَّجَ وَأَشْرَقَ.

والأحوال. وذئبٌ يَهْجَعُ بإحدى مُقْلَتَيْهِ^(١)، وخُفَّاشٌ وهو مُعَلَّقٌ رِجْلَيْهِ. وَحِصَانٌ يَنَامُ عَلَى أَرْبَعٍ^(٢)، وَفُهُودٌ تَرْقُدُ فِي كُلِّ مَرْبَعٍ^(٣).

وَمِنْ ثَمَّ كَانَ آيَةً مِنَ الْآيَاتِ، كَمَا فِي الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ. قَالَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، فِي سُورَةِ [الرُّوم]: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [آية: ٢٣]، فَإِنَّهُ - إِذَنْ - فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، كَمَا قَالَ الْجَبَّارُ. وَأَكْثَرُ الْامْتِنَانِ بِهِ فِي اللَّيْلِ^(٤)، فَهُوَ أَخْفَى لِلْوَيْلِ^(٥). وَمَحَلُّ السَّكَنِ وَالسُّكُونِ، وَالْهَدَأَةِ^(٦) وَالْكُمُونِ^(٧)، وَهُوَ اللَّبَاسُ الْمَصُونُ.

(١) هذا إشارة إلى البيت المشهور في حَذَرِ الذئب:

يَنَامُ بِإِحْدَى مُقْلَتَيْهِ وَيَتَّقِي بِأُخْرَى الْمَنَايَا فَهُوَ يَقْظَانُ هَاجِعُ

وَإِغْمَاضُ إِحْدَى الْعَيْنَيْنِ دُونَ الْأُخْرَى مُمْكِنٌ فِي النَّوْمِ، أَوْ مُمْكِنٌ تَصَوُّرُهُ، وَأَمَّا أَنْ يَكُونَ نَائِمًا يَقْظَانُ فَغَيْرُ مُمْكِنٍ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ زَعَمَاتِ الْعَرَبِ.

(٢) لِأَنَّ أَكْثَرَ نَوْمِهِ وَهُوَ قَائِمٌ.

(٣) الْمَرْبَعُ: مَكَانُ الْإِقَامَةِ، وَالْفَهْدُ كَثِيرُ النَّوْمِ، وَفِي الْمَثَلِ: أَتَوْمٌ مِنْ فَهْدٍ.

(٤) كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُتَبَصِّرًا﴾

[يونس: ٦٧]، وَقَرْنَ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فِي غَيْرِ آيَةٍ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي

جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ ذُشُورًا﴾ [٧] [الفرقان]،

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۖ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [١١] [النبا].

(٥) إِشَاءَةٌ إِلَى الْمَثَلِ الْعَرَبِيِّ: اللَّيْلُ أَخْفَى لِلْوَيْلِ.

(٦) الْهُدُوءُ.

(٧) كَمَنْ الشَّيْءُ، بِمَعْنَى: اسْتَتَرَ.

قال أبو العيين: دُونَكُمْ أَيُّهَا الْإِخْوَانُ، فَوَائِدَ فِي هَذَا الشَّانِ.
وَفَرَائِدَ وَشَوَارِدُ، وَقَوَاعِدَ وَشَوَاهِدُ. قَبَسْتُ شَهَابَهَا مِنْ كِتَابِ
الْقَوْمِ، الَّذِينَ صَنَّفُوا فِي النَّوْمِ. نَافِعَةٌ لِمَنْ جَفَا الْكَرَى^(١) جَفْنِيهِ،
وَهَاجَرَهُ وَلَوْ أَطْبَقَ عَيْنِيهِ. فَالْأَرْقُ: حَرَكَةٌ فِكْرٌ دَائِمَةٌ، لَا تُرَى مَعَهَا
الْعَيْنُ نَائِمَةٌ. وَسَأَخَاطِبُ هَذِهِ الْوُجُوهُ السَّاجِدَةَ، كَخِطَابِي لِلذَّاتِ
الْوَاحِدَةِ. لَا تَتْرُكُ الْعِشَاءَ أَلْبَتَّةَ^(٢)، وَلَوْ لُقِيَمَاتٍ^(٣) أَوْ حَتَّةَ^(٤).

وَقَدْ رَوَوْا «تَرَكُ الْعِشَاءَ مَهْرَمَةً»

أَخْرَجَهُ ابْنُ سَوْرَةَ فِي الْأَطْعِمَةِ^(٥)

(١) النوم.

(٢) بهمزة قطع، ويجوز الوصل، والقطع أفصح.

(٣) أي: ولو كان لقيمات، ويقع حذف كان كثيراً بعد «لو» و«إن»، كما قال
ابن مالك:

* وبعد إن لو كثيراً إذا اشتهر *

(٤) شيئاً قليلاً.

(٥) أَخْرَجَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَيْسَى بْنِ سَوْرَةَ التَّرْمِذِيُّ صَاحِبُ «السَّنَنِ» فِي كِتَابِ
الْأَطْعِمَةِ، بَابِ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الْعِشَاءِ (٤/٢٨٧): مِنْ طَرِيقِ عَنَسَةِ بْنِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقُرَشِيِّ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَلَاقٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ،
قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَعَشَّوْا وَلَوْ بِكَفٍّ مِنْ حَشْفٍ»، فَإِنَّ تَرَكُ الْعِشَاءِ
مَهْرَمَةٌ. وَهُوَ حَدِيثٌ ضَعِيفٌ جَدًّا، قَالَ التَّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ مُنْكَرٌ،
لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَعَنَسَةُ يُضَعَّفُ فِي الْحَدِيثِ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ
ابْنُ عَلَاقٍ مَجْهُولٌ. وَالْبَيْتُ مِنْ مَنْظُومَةٍ لِي فِي «مَنَافِعِ الْأَغْذِيَةِ».

ولا تُطِلْ نَوْمَ الْقَيْلُولَةِ^(١)، ودَعْ نَوْمَ الْغَيْلُولَةِ^(٢) وَالْعَيْلُولَةَ^(٣).
 واحْسُ حَسَوَاتٍ مِنْ رِسْلِ^(٤)، كَقَلِيلٍ مِنْ مَثَلٍ^(٥). أَوْ الْعَقَّ لَعَقَتَيْنِ
 مِنَ الثَّوَابِ^(٦)، وَاثْلُ مَا أُوْحِيَ مِنَ الْكِتَابِ. اقْرَأْهُ بِالْعَيْنَيْنِ، يَا
 خَلِيلَ أَبِي الْعَيْنَيْنِ. فَهُوَ أَدْعَى لِجَلْبِ النَّعَاسِ، وَمِيلِ الرَّأْسِ.
 وَامْشِ خُطُوَاتٍ بَعْدَ عَشَائِكَ، وَارْمِ هُمُومَكَ مِنْ وَرَائِكَ. وَمَنْ عَدَّ

(١) النُّومُ قَبْلَ الزَّوَالِ بِقَلِيلٍ - عَلَى غَيْرِ الْمَعْهُودِ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، مِنْ
 كَوْنِهِ قَبْلَ الْعَصْرِ - وَنَوْمَ الْقَيْلُولَةِ نَافِعٌ، وَلَا يَصْلَحُ تَرْكُهُ لِمَنْ اعْتَادَهُ،
 وَلَكِنَّهُ يُسَبِّبُ الْأَرْقَ لِبَعْضِ النَّاسِ، فَيَنْصَحُ بِتَرْكِهِ، لَا سِيَّمَا إِذَا طَالَ.

(٢) النَّوْمُ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ.

(٣) النَّوْمُ بَعْدَ الْعَصْرِ. وَلِبَعْضِهِمْ فِي أَنْوَاعِ نَوْمِ النَّهَارِ:
 النَّوْمُ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ غَيْلُولَةٌ

فَقَرٌّ وَعِنْدَ الضُّحَى فَالنَّوْمُ فَيْلُولَةٌ
 وَهُوَ الْفَتُورُ. وَقَبْلَ الْمِيلِ قِيلَ لَهُ:

إِذْ زَادَ فِي الْعَقْلِ أَيُّ بِالْقَافِ قَيْلُولَةٌ
 وَالنَّوْمُ بَعْدَ زَوَالِ بَيْنِ فَاعِلِهِ

وَبَيْنَ فَرْضِ صَلَاةٍ كَانَ حَيْلُولَةً
 وَبَعْدَ عَصْرِ هَلَاكًا مُورَثًا وَكَذَا

كَقَلَّةِ الْعَقْلِ بِالْإِهْمَالِ عَيْلُولَةٌ

(٤) لَبَنٌ.

(٥) الْحَلَبُ الْقَلِيلُ.

(٦) الثَّوَابُ لَهُ مَعَانٍ، مِنْهَا: الْجَزَاءُ، وَالنَّحْلُ، وَالْعَسَلُ، وَهُوَ الْمُرَادُ.

من مئةٍ لواحد^(١)، وجدَ نفسه كالرّاقد. قبل بلوغ السّبعين، فإن تمادى فيألى الأربعين.

فإن غَشِيكَ الوَسَن^(٢)، فأمرُ حَسَن. وإلّا فعدُ إلى القراءة، حتى تُحَسَّ بالإغفاء^(٣). فإن قرأت في كتاب بشر، فما هو بشر. إلّا أن الشَّيْطَان، أحرصُ في كلِّ آن. على شغلِ الإنسان، عن النَّظَرِ في القرآن. فمن مكرَ به للتَّهْوِيم^(٤)، فما هو بمُليَم^(٥).

ومن اعتاد النَّومَ في أوَّل اللَّيْلِ، لم يشكُّ من أرقٍ ولا ويل^(٦). وهو الأوفقُ للأبدان والأرواح، من النَّوم في الإصباح. واعلم بأنَّ اللَّيْلَ نهارُ العُشَّاق، وذوي الآداب والأشواق. ومطيّة العلماء الحُذَّاق، وذوي المواجيد^(٧) والأذواق. لا سيَّما ليلُ الشَّتاء

(١) العدّ من مئة عدّاً تنازليّاً؛ لأن الانشغال به لا يدع منافذ لتشتت الذهن وتفريق جمعيته، فينحصر الفكر في شيءٍ واحدٍ. وخيرٌ من ذلك للحافظ إشغال الذهن بتذكر أسماء السُّور مرتّبة دون تفكير مُجهد؛ لأن جدوى مثل هذه الأشياء إنما تحصل في محفوظ لا يحتاج إلّا إلى تركيز.

(٢) النَّعاس.

(٣) خفقة تكون أول النوم، أو النوم القليل، يقال: أغفى وغفا.

(٤) النوم.

(٥) أتى ما يُلام عليه.

(٦) يقول المجربون: من اعتاد النوم في أول اللَّيْلِ لم يصبه أرق.

(٧) أصحاب الوجد.

الطَّوِيلُ، فهو الزَّمانُ الجميلُ. وأما ليل الصَّيفِ، فكالضَّيفِ، بل كالطَّيفِ^(١)، بل كالسَّيفِ. إن لم تقطعه، قَطَعَكَ هُوَ. فمن استغرقه في النَّومِ، فليس عليه من لَوْمٍ. فإنَّ له في النَّهارِ سَبْحاً^(٢) طويلاً، وإنَّ لنا في ذلك دليلاً. والتَّجربةُ بُرْهانٌ قاطِعٌ، ودليلٌ صادِعٌ. إنَّ الحياةَ عللٌ يا قوم، يُسَكَنُ بالنَّومِ. اصنع لنفسك ما ترى، ممَّا يُدْني إليك الكَرَى. وإيَّاك والمُنوماتُ، فلها اختلاجاتُ، وتحدُّثُ اضطراباتُ. وتُصيرُها عادةً، وتُسَلِّبُ السَّعادةَ. إلَّا أن تكون مُلجأً، أو دنفاً^(٣) طفنشاً^(٤). وثم حركاتٌ خفيفةٌ، غيرُ مُوجعةٍ ولا عَنِيفَةٍ. ارفَعْ السَّاقينِ ذِراعاً^(٥)، ولا تدعْ بينهما اتِّساعاً. واضمُّمِ إليك جناحك، تجدِ السُّرورَ صباحك.

ولا تشرب الشَّاي ولا البُنَّ^(٦)، إذا ما اللَّيْلُ جَنَّ^(٧). واستعِضْ بِمَنْقُوعِ الْأَقْحُوَانِ^(٨)، أو النَّعْنَاعِ والرَّيْحَانِ^(٩). أو بِوَرَقِ

(١) الخيال في النوم.

(٢) فراغاً.

(٣) مريضاً.

(٤) ضعيفاً.

(٥) أي: قدر ذراع (نصف متر).

(٦) البنُّ هو ما يُسمَّى بالقهوة، وعدلت عنها؛ لأنها من أسماء الخمر.

(٧) غطى بظلامه.

(٨) هو البابونج.

(٩) الرِّيحان أنواعٌ كثيرة، ومنه ما يُسمَّى اليوم بالحبق.

الصَّفَصاف^(١)، تصنعه ذات الإهْناف^(٢). ولتَكُنْ مبالاتك بالأرق،
كَوَجِهٍ غُسِّلَ بِمَرَق^(٣). وَلَيِّنْ فِرَاشَكَ والوطاء، وخَفِّفْ الوِسَادَةَ
والغِطاء. وَنَمْ على الجنب الذي يُرْضِيكَ، لا الذي يُرْدِيكَ. على
اليمين نَوْمُ الصَّالِحِينَ، وعلى الشُّمال للمترفين. وعلى القَفَا
لِلْمُفَكِّرِينَ، وعلى البطون للبطَّالين. هكذا قيل، وَلَيْسَ عليه
دَلِيل^(٤).

وسلامُ الله عليكم ورحمته، وبركاته ومغفرته.

-
- (١) معروفٌ لدى أهل العطارة، مسكِّنٌ للصداع، وأصل أدوية الصداع اليوم مصنوعة منه.
- (٢) ضَحِكٌ في فُتُور، خاصٌّ بالنساء.
- (٣) يقال في أمثال العوام: وجهه مغسول بمرق، يقال للذي لا حياء عنده، ولا مبالاة، والمراد: لا تُلقِ للنوم بالاً.
- (٤) لم يصحَّ دليلٌ في النَّهي عن النَّوم على هيئة معيّنة من هيئات الجسد، وأفضل النَّوم طَيِّباً وشرعاً: على اليمين وعلى الشُّمال، والنَّوم على الشُّمال أفضل للهضم. والأحسن ابتداء النوم على اليمين ثم الشُّمال، هكذا قال ابن القيم وغيره.

المقامة الإغدادية

قال أبو العيين:

حكى أبو إسحاق، في يوم تلاق. كنا في معهد بذات
الروض^(١)، في الطريق المؤصل إلى الحوض^(٢). تناشد فيه
أشعار العرب، وتطّارح ملح الأدب. في كل حين وناشئة^(٣)،
ونحن يومئذ ناشئة^(٤). في سنة الكفاءة^(٥)، وسنّ البراءة^(٦). وكان
لي صاحب رجاز^(٧)، وشاعر كالوزواز^(٨). احتنك^(٩) شيطان

(١) الروضة: حي معروف بمكة، في الطريق إلى منى.

(٢) موضع معروف - العزيزية الآن - كان يُسمّى بحوض البقر، في الطريق
إلى مزدلفة.

(٣) ناشئة الليل: ساعاته.

(٤) صغار.

(٥) الثالثة المتوسطة.

(٦) كان ذلك عام ١٤٠١هـ.

(٧) يكثر من نظم الرّجز.

(٨) طائر.

(٩) أحاط بها، واستولى عليها.

الشَّعْرَ مَلَكَاتِهِ، وَغَلَبَ عَلَى أَسْمَائِهِ وَصَفَاتِهِ. تَارَةً يُلَقَّبُ بِصَرِيعِ الْغَوَانِي، وَحِينَ يَقَالُ لَهُ: ابْنُ هَانِي^(١).

وَلَهُ حِفْظٌ وَلَقَانَةٌ^(٢)، وَظَرْفٌ وَزَكَاةٌ^(٣). يُخَاتِلُنِي^(٤) فِي حِفْظِ الْعُلُومِ، مِنْ مَثُورٍ وَمَنْظُومٍ. وَيُسَابِقُنِي إِلَى حِلَقِ الْأَسَاتِيدِ، دُونَ سَائِرِ التَّلَامِيذِ. لَا سِيَّمَا فِي عِلْمِ الْبَيَانِ، وَعُلُومِ النَّحْوِ وَاللِّسَانِ. وَكَانَ بَيْنَنَا مُعَايَاةٌ^(٥) فِي الْإِعْرَابِ، فِي مُشْكِلِ الْكِتَابِ^(٦). وَزَعَمَ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ، أَنَّهُ حَافِظٌ إِمَامٌ. وَأَنَّهُ حَفِظَ أَلْفًا مِنَ الْأَبْيَاتِ، فِي إِعْرَابِ الْآيَاتِ. وَلَا يُذَكِّرُ إِعْرَابَ كَلِمَةٍ، إِلَّا وَقَدْ عَلِمَهُ. فَسَأَلْتُهُ بَيْنَ الْحَصَّتَيْنِ^(٧)، عَنْ هَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ. وَهُمَا ﴿قَوْمًا طَلَعِينَ﴾، بَيْنَ ﴿صَّ﴾ وَ﴿يَسَّ﴾^(٨). فَتَلَهَّى عَنِّي وَأَدْبَرَ، حِينَ صَلَّصَلْ^(٩)

(١) صريع الغواني، هو: مسلم بن الوليد الأنصاري ولاء، شاعرٌ غَزَل، أكثر من البديع في شعره (ت: ٢٠٨هـ). وابن هاني، هو: الحسن الحكمي ولاء، أبو ثؤاس، شاعر العراق في عصره (ت: ١٩٨هـ).

(٢) فهمٌ.

(٣) فطنة.

(٤) يخادعني.

(٥) مُطَارَحَةٌ فِي الْمَسَائِلِ الْعَسِيرَةِ.

(٦) القرآن الكريم.

(٧) الحصّة: الجزء من الوقت في اصطلاح التعليم اليوم.

(٨) سورة الصافات، وهي: بعد «يس»، وقبل «ص».

(٩) صوّت.

الجرسُ وأُنذِرُ. وقال: نُكْمِلُ القِصَّةَ، بعدَ انْدِرَاسِ^(١) الحِصَّةِ. فما لَبِثَ أنْ كَرَزَ^(٢) إلى فَصْلِي، متظاهراً بوَصْلِي. وَتَحَنَّنَ واحْتَالَ، واستذكَرَ السُّؤالَ. ورفَعَ بَصَرَهُ وَتَمَّتْ. وصَلَّى على النَّبيِّ وَسَلَّمْ. ثمَّ قالَ بِلِسَانِ طَلِيْقٍ، وَصَوْتِ صَهْصَلِيْقٍ^(٣).

وخبَّرُ ﴿قَوْمًا﴾ و﴿طَلغِينَ﴾ صِيفَةً

فافهمه عني يا قويَّ المعرفة

قلتُ: أُنَى لك هَذَا النِّظَامُ، يا أَخَا الإسلامِ؟! قال: مِنْ أَلْفِيَةِ الإِعْرَابِ، لأَلْفَاظِ الكِتَابِ. وأنا أَحْفَظُهَا حِفْظًا، وَأَسْتَحْضِرُهَا مَعْنَى وَلَفْظًا. ثم تَلا أَيْبَاتًا مِنْ كَلْكَلِهَا^(٤)، وَأَيْبَاتًا مِنْ أَسْفَلِهَا. فَارْتَاعَ - حَيْثُذِ - بالي^(٥)، واختَلَجَ لَهُ بَلْبَالِي^(٦)!! فلَمَّا انصَرَفْنَا مِنْ صَلَاةِ الفَجْرِ، صادَفْتُهُ عِنْدَ الحِجْرِ. فَعَزَمْتُ لَأَسْأَلَنَّهُ الآنَ، فِي إِعْرَابِ القرآنِ. لِأَعْلَمَ عَنْ يَقِينٍ، أَصَدَقَ أَمْ كانَ مِنَ الكاذِبِينَ. قلتُ: ما إِعْرَابُ ﴿أَمَنَةً﴾ في آية ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ﴾، إن

(١) انقضاء.

(٢) دخل.

(٣) شديد.

(٤) صدرها.

(٥) خاطري.

(٦) البلبال: الهمّ والوسواس.

كُنْتَ مِنَ الْأَكْيَاسِ^(١)؟ فَرَاغَ^(٢) إِلَى الْوَرَا، وَرَجَعَ الْقَهْقَرَى^(٣).
وَاسْتَعَادَ السُّؤَالَ، ثُمَّ أَنْشَدَ وَقَالَ:

﴿أَمَنَةً﴾ يُنْصَبُ مَفْعُولًا لَهُ

يَا صَاحِبِي فَأَعْلَمْ عَدَاكَ^(٤) الْبَلَّةُ

ثُمَّ تَرَكَنِي وَمَشَى، وَزَادَنِي دَهْشًا. وَلَمْ أَزَلْ أَسْأَلُهُ فِي كُلِّ لِقَاءَةٍ،
وَذَهَابٍ وَإِفَاءَةٍ^(٥). وَهُوَ يُجِيبُ شِعْرًا مَشْعُورًا، وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ
مَسْرُورًا، وَمِنْ ذَلِكَ إِجَابَتُهُ وَهُوَ فِي صَفَّةٍ^(٦)، عَنْ إِعْرَابٍ ﴿ثَانِيَ
عِطْفِهِ﴾^(٧). إِذْ قَالَ فِي إِجَادَةٍ، بَعْدَ احْتِيَالِهِ كَالْعَادَةِ:

﴿ثَانِي عِطْفِهِ﴾ عَلَى الْمُخْتَارِ

مِنْ الْأَعَارِيبِ بِلاَ تَمَارِي

(١) الْحُذَّاقُ.

(٢) ذَهَبَ فِي خَفَّةٍ وَخُفْيَةٍ.

(٣) الْخَلْفُ.

(٤) جَانِبُكَ.

(٥) رَجُوعُ.

(٦) فَصْلُهُ، وَهُوَ مَقْعَدُ الدِّرَاسَةِ.

(٧) سُورَةُ الْحَجِّ (آيَةُ ٩).

حال، و﴿عِطْفِهِ﴾ المضاف في محلِّ

نصبٍ على المفعول به يَا مَنْ عَقَلَ

فاصْطَلَيْتُ بِنَارِ الْغَيْرَةِ^(١)، وَزَادَنِي حَيْرَةً عَلَى حَيْرَةٍ. وَشَكَّكْتُ فِي أَمْرِهِ، وَارْتَبْتُ فِي خُبْرِهِ. وَقُلْتُ: لَأَبْلُوَنَّهُ يَوْمِي هَذَا، وَلَوْ تَسَلَّلَ لِيَوَاذًا^(٢). وَلَأَسْلُطَنَّ عَلَيْهِ سِيَهَامَ الرِّيبِ، وَلَأَرْجُمَنَّه بِالْعَيْبِ بِلَا غَيْبٍ^(٣).

فَبَدَّهْتُهُ^(٤) فِي أَوَّلِ لُقْيَاهُ، عَنْ إِغْرَابِ ﴿زَهْرَةِ الْحَيَوَةِ﴾^(٥). فَمَالَ إِلَى الطَّرْجَهَارَةِ^(٦)، وَاعْتَلَّ بِتَجْدِيدِ الطُّهَارَةِ. وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ يُزَوِّرُ بَيْتًا، وَيَلْتَمِسُ لِسِرَاجِهِ زَيْتًا. وَقَالَ: لَقَدْ تَذَكَّرْتُ الْبَيْتَ، الَّذِي جَاءَ بَعْدَ كَيْتَ وَكَيْتَ.

و﴿زَهْرَةِ الْحَيَوَةِ﴾ فِي ﴿طِه﴾ بِدَلِّ

مِنْ لَفْظِ ﴿أَزَوَجًا﴾ عَلَى الْقَوْلِ الْأَدَلِّ

(١) الغيرة العلمية، وما أذكاهها من غيرة !!.

(٢) لاذ بالشَّيء: اعتصم به.

(٣) أي: وهو حاضرٌ.

(٤) فاجأته.

(٥) سورة طه (آية ١٣١).

(٦) إناء صغير.

فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ فَطِنْتُ لَمَكْرِهِ، وَعَرِثٌ^(١) بِأَلِهِ وَفِكْرِهِ. فَطَفِقْتُ
أَسْتَسْئِلُهُ، وَأُعْجِلُهُ فِي ذَلِكَ وَلَا أُمَهِّلُهُ. فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ جَادًّا فِي
الطَّلَبِ، فَمَا إِعْرَابُ ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾؟ قَالَ ذَلِكَ؛ لِيَشْغَلَ
بَالِي^(٢)، وَيُفَرِّقَ بَلْبَالِي^(٣). فَتَعَاظَلْتُ عَنْ وَبِهِ^(٤)، وَتَخَلَّصْتُ فِي
نُبِّهِ^(٥).

فَلَمَّا صَادَفْتُهُ فِي الْفُسْحَةِ^(٦)، بَعْدَ الصُّبْحَةِ^(٧). قُلْتُ لَهُ: أَنْسَيْتَ
الْمُطَارَحَةَ، فِي لَيْلَةِ الْبَارِحَةِ؟!

قَالَ: أَسْمِعْنِي الْإِجَابَةَ، وَتَحَرَّ الْإِصَابَةَ. فَشَمَرْتُ عَنْ السَّاعِدِ،
بَلَا مُسَاعِدٍ. وَقُلْتُ:

وَأَعْرَبُوا ﴿حَمَّالَةَ﴾ بِلَا جَدَلٍ

وَهُمْ بِذَلِكَ أَيْدُوا قَوْلَ الْجَمَلِ^(٨)

(١) انتزاع.

(٢) قلبي.

(٣) همي.

(٤) فطنة.

(٥) فطنة.

(٦) استراحة تكون غالباً بعد الحصّة الثالثة لا تزيد على نصف ساعة.

(٧) ما يُتناول من طعام قليل، من شطيرة وعصير ونحوهما، وكان ذلك بعد
الحصتين الأوليين.

(٨) حاشية الجمل على الجلالين.

في قوله: حالاً، وَقَدْ تَحْتَمِلُ

صِرْفَةَ قَطْعٍ وَلِذِمِّ يَنْقُلُ

ابْنَاهُ شَامٍ وَعَقِيلٍ وَالْإِمَامُ

جَلال الدِّين والحريُّ الهَمَامُ

فَقَهْقَه^(١) الصَّاحِبُ واسْتَلْقَى، وَرَمَى بِكَأْسِهِ واسْلَنْقَى^(٢). وقال:
 من أين لك هذا؟ قلتُ: ماذا؟ إنها أَلْفِيَّتُكَ التي تحفظُها، وأبياتُكَ
 التي تَلْفِظُها. وبَدَا له ما لم يَحْتَسِبْ، بَعْدَ أن كان في خُطْبِ
 عَصَب^(٣). وعَلِمَ أنَّه كان مَكْرًا بِمَكْرٍ، ونَطَاحَ فِكْرٍ بِفِكْرٍ. وقال:
 أَتُوبُ من سِجَالِكَ، والوُلُوجِ في تِلْكَ الْمَسَالِكِ. وَالسَّلَامُ عَلَيَّ
 وَعَلَيْهِ، في هذه^(٤) ويوم العرض عليه^(٥).

(١) ضحك بشدة.

(٢) نام على ظهره.

(٣) خطب عسر.

(٤) أي: في الدنيا.

(٥) على الله.

المَقَامَةُ المنطقيّة

قال أبو العيين:

المنطقُ: رياضةُ الأذهان، ومَوْقِظُ الوسنان^(١). وهذه بُدَّةٌ كافيةٌ، وخُلَاصَةٌ صافيةٌ. لِمَنْ اشْرَأَبَ^(٢) إلى عُرُوجِهِ، مِنْ مُصَنَّفٍ إيساغوجي^(٣).

إذا دلَّ اللَّفْظُ عَلَى ما وُضِعَ لَهُ وطَبَقَهُ، فَهُوَ: دَلَالَةٌ مُطَابَقَةٌ. وَتَضَمَّنُ: إِنْ دلَّ عَلَى بعضِهِ، والتَّزَامُ: إِنْ دلَّ عَلَى لازِمِهِ وفَرْضِيهِ^(٤). وما دلَّ جُزْؤُهُ عَلَى مَعْنَاهُ، هُوَ: الْفَرْدُ، وَعَكْسُهُ الْمُؤَلَّفُ غَيْرُ الْفَرْدِ. والمفردُ: إمَّا كُلِّيٌّ كَالْحَيَوَانِ، أَوْ جُزْئِيٌّ كَمَرَوَانٍ.

والكُلِّيُّ: إمَّا ذاتيٌّ يدخلُ في جُزْئِيَّاتِهِ، وإمَّا عَرَضِيٌّ لا يدخلُ في حَقِيقَةِ ذَاتِهِ. والكُلِّيَّاتُ: جنسٌ كحَيَوَانٌ، ونوعٌ كإنسانٌ. وفصلٌ كناطقٌ، وخاصٌّ كصادقٌ، وعامٌّ كفاسقٌ. وكِلَا هَذَيْنِ عَرَضَانِ،

(١) النائم.

(٢) امتدَّ عنقه.

(٣) متن إيساغوجي، متن نثري مشهور في المنطق.

(٤) أي: الدلالة الواجبة.

وَكُلُّ ذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ لِلْإِنْسَانِ. وَالْجِنْسُ: ثَلَاثَةٌ فَقَطْ؛ قَرِيبٌ أَوْ بَعِيدٌ أَوْ وَسْطٌ.

الْقَوْلُ الشَّارِحُ

الْجَامِعُ لِكُلِّ مَا كَانَ مِنْهُ، وَالْمَانِعُ لِكُلِّ مَا صَدَّ عَنْهُ. هُوَ حَدُّ الْحَدِّ، أَوْ ذُو الْأَنْعِكَاسِ وَالطَّرْدُ. وَيَكُونُ بِالْجِنْسِ الْقَرِيبُ وَالْفَصْلُ خَاصَّةً، وَالرَّسْمُ بِالْجِنْسِ الْقَرِيبِ وَالْخَاصَّةُ. وَكُلٌّ مِنَ الْحَدِّ وَالْإِتْسَامِ: نَاقِصٌ وَتَامٌ.

الْقَضَايَا

الْقَضِيَّةُ وَالْخَبَرُ سَيَّانٌ، فِي اصْطِلَاحِ الْيُونَانِ. وَهِيَ قِسْمَانِ: قَضِيَّةٌ حَمَلِيَّةٌ، وَأُخْرَى شَرْطِيَّةٌ. وَهَذِهِ مُهْمَلَةٌ وَشَخْصِيَّةٌ، وَكُلِّيَّةٌ جُزْئِيَّةٌ. وَكُلٌّ مِنَ الْأَرْبَعَةِ - أَيُّهَا الطَّالِبُ، - إِمَّا مُوجِبٌ وَإِمَّا سَالِبٌ. وَالْأَوَّلُ: مِنْ كُلِّ يُقَالُ لَهُ: مَوْضُوعٌ، وَالثَّانِي: مَحْمُولٌ مَرْفُوعٌ. وَإِمَّا الشَّرْطِيَّةُ: فَهِيَ إِمَّا مُتَّصِلَةٌ، وَإِمَّا شَرْطِيَّةٌ مُنْفَصِلَةٌ. نَحْوُ: إِنْ كَانَ النَّهَارُ مَوْجُودًا فَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ، وَنَحْوُ: إِمَّا أَنْ تَكُونَ هَذِهِ ثَالِثَةً أَوْ رَابِعَةً. وَأَوَّلُ الْجَزَيْنِ يُسَمَّى الْمُقَدَّمُ، وَالثَّانِي هُوَ التَّالِي الْمُسَلَّمُ. وَالْمُتَّصِلَةُ: تُوجِبُ تَلَازِمَ الْجَزَيْنِ، وَالْمُنْفَصِلَةُ: عَكْسُهَا بِلَا مَيْنٍ. وَهِيَ: إِمَّا مَانِعَةٌ جَمْعُ كَالضُّدَّيْنِ، أَوْ: مَانِعَةٌ خُلُوُّ الطَّرَفَيْنِ، أَوْ: كِلَيْهِمَا كَالنَّقِيضَيْنِ.

التناقض

هُوَ: اخْتِلَافُ قَضِيَّتَيْنِ بِالسَّلْبِ وَالْإِجَابِ، نَحْوُ: زَيْدٌ مِنَ الْأَصْحَابِ، زَيْدٌ لَيْسَ مِنَ الصَّحَابِ. وَلَا بُدَّ مِنْ صِدْقِ إِحْدَاهُمَا، وَكَذِبِ الْآخَرَاهُمَا. وَلَا يَقَعُ التَّنَاقُضُ إِلَّا بِحُصُولِ ثَمَانٍ، اتِّحَادُ الْمَوْضُوعِ وَالْمَكَانِ، وَالْمَحْمُولِ وَالزَّمَانِ. وَالْجُزْءِ وَالْكُلِّ، وَالْقُوَّةِ وَالْفِعْلِ. وَوَحْدَةُ الْإِضَافَةِ وَالشَّرْطِ، بِلَا وَكَسٍ وَلَا فَرْطٌ^(١).

العكس المستوي

الْعَكْسُ: جَعْلُ الْمَحْمُولِ مَوْضُوعًا، وَالْمَوْضُوعِ مَرْفُوعًا. مَعَ بَقَاءِ الصِّدْقِ وَالْكِيفِيَّةِ، وَالْكَمِّ إِلَّا الْمُوجِبَةَ الْكُلِّيَّةَ. نَحْوُ: لَا شَيْءَ مِنَ الْبَشَرِ بِحَجَرٍ، وَلَا شَيْءَ مِنَ الْحَجَرِ بِبَشَرٍ. كَلَّمَا الْقَضِيَّتَيْنِ، آتَتْ خَبَرَهَا بِلَا مَيْنِ^(٢). وَلَكِنْ الْمُوجِبَةَ الْكُلِّيَّةَ، عَكْسُهَا مُوجِبَةٌ جُزْئِيَّةٌ. نَحْوُ: كُلُّ إِنْسَانٍ حَيَوَانٌ، بَعْضُ الْحَيَوَانِ إِنْسَانٌ. وَمَا اجْتَمَعَ فِيهِ الْخِسْتَانُ^(٣)، فَلَا عَكْسَ يُسْتَبَانَ.

(١) أي: بلا نقص ولا غلبة. الوكس: النقص، والفَرْطُ: الغلبة.

(٢) أي: كلٌّ مِنَ الْقَضِيَّتَيْنِ صَادِقَةٌ.

(٣) الْخِسْتَانُ: السَّلْبُ وَالْجُزْئِيَّةُ، نَحْوُ: بَعْضُ الْحَيَوَانِ لَيْسَ بِإِنْسَانٍ. لَا يَصَحُّ

فِيهِ الْعَكْسُ؛ لِأَنَّهُ سَيُؤَوَّلُ إِلَى: بَعْضُ الْإِنْسَانِ لَيْسَ بِحَيَوَانٍ، وَهُوَ كَذِبٌ. وَالْعَكْسُ يَشْتَرِطُ فِيهِ بَقَاءُ الصِّدْقِ، كَمَا ذَكَرْنَا.

القياس

قَوْلُ تَرْكَبَ مِنْ قَضِيَّتَيْنِ فَأَكْثَرُ، يَلْزَمُ عَنْهُمَا قَوْلُ آخَرٍ. مِثَالُ هَذَا الْأَمْرِ، كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ. كُلُّ خَمْرٍ حَرَامٌ، الْخَمْرُ حَرَامٌ.

وَالْقِيَاسُ قِسْمَانِ، شَرْطِيٌّ^(١) وَذُو اقْتِرَانٍ. وَمَوْضُوعُ النَّتِيجَةِ حَدٌّ أَصْغَرُ، وَمَحْمُولُهُ حَدٌّ أَكْبَرُ، وَالْأَوْسَطُ: مَا تَكَرَّرَ، وَمَقْدَمَةُ الْأَصْغَرِ: صُغْرَى، وَالْأَكْبَرِ: كُبْرَى.

وَالشَّكْلُ عِنْدَ أَوْلَئِكَ النَّاسِ، هُوَ: صُورَةُ الْقِيَاسِ. وَالشَّكْلُ: أَرْبَعَةُ أَشْكَالٍ، وَهِيَ عَلَى التَّرْتِيبِ فِي الْكَمَالِ. وَلِكُلِّ شَكْلٍ ضَرْوبٌ، تَشْرَحُ الْمَطْلُوبَ. وَالْحُكْمُ عَلَى كُلِّيٍّ؛ لِوُجُودِهِ فِي الْجُزْئِيِّ. هُوَ: قِيَاسُ الْإِسْتِقْرَاءِ، بِإِلَاحَافٍ. وَعَكْسُهُ: الْقِيَاسُ الْمَنْطَقِيُّ، وَهُوَ الْقَوِيُّ النَّقِيٌّ. وَإِذَا كَانَ الْجُزْئِيُّ عَلَى الْجُزْئِيِّ هُوَ الدَّلِيلُ، فَذَلِكَ قِيَاسُ التَّمثِيلِ.

أقسام الحجّة (القياس)

حُجَّةٌ نَقْلٌ، وَحُجَّةٌ عَقْلٌ. وَهَذِهِ خَمْسَةُ أَقْسَامٍ: بَرَهَانٌ وَخِصَامٌ. وَخَطَابَةٌ وَشِعْرٌ، وَسَفْسَاطَةٌ كَرٌّ وَفَرٌّ. أَجْلُهَا هُوَ: الْبَرَهَانُ، وَهُوَ:

(١) وَيُقَالُ لَهُ: الْإِسْتِنَائِيّ، نَحْوُ: إِنْ كَانَ هَذَا مُسْكِرًا فَهُوَ خَمْرٌ، لَكِنَّهُ مُسْكِرٌ، يَنْتَجِ عَنْهُ أَنَّهُ خَمْرٌ.

ما أُفِّ من مُقَدِّماتٍ اسْتِيقَانُ. مَعَ بَدَهَيَّاتٍ (أَوَّلِيَّاتٍ)، وَمُشَاهَدَاتٍ
 (وُجْدَانِيَّاتٍ). وَمُجَرَّبَاتٍ وَمُتَوَاتِرَاتٍ، وَحَدَسِيَّاتٍ وَمَحْسُوسَاتٍ.
 وَالْعِلْمُ: نَتِيجَةُ لَازِمَةٍ عَقْلًا، وَقِيلَ: عَادِيٌّ يُتَلَّى. وَقِيلَ: مُتَوَلِّدٌ
 يُدَلَّى، وَقِيلَ: وَاجِبٌ يُمْلَى، وَالْأَوَّلُ عِنْدَهُمْ أَوَّلَى.
 وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ الْأَمِينِ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَأَتْبَاعِهِ
 إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

المَقَامَةُ السَّكَاكِيَّةُ

قال أبو العيين:

اِخْتَصَرْتُ لَكَ عِلْمَ الْمَعَانِي^(١)، فِي جُمْلٍ دَوَانِي^(٢). وَإِشَارَاتٍ قَرِيبَةٍ، بِالْفَاضِلِ عَجِيبَةٍ. الْبَلَاغَةُ فِي الْكَلَامِ: مُطَابَقَةُ الْمَقَامِ، وَيُوصَفُ بِهَا الْمُتَكَلِّمُ وَالْكَلَامُ^(٣). وَإِنَّ عِلْمَ الْمَعَانِي^(٤): يَتَعَلَّقُ بِأَحْوَالِ الْمَبَانِي. وَصِدْقُ الْأَخْبَارِ: بِمُطَابَقَةِ الْوَاقِعِ عَلَى الْمُخْتَارِ^(٥). وَغَرَضُ الْمُخْبِرِ بِهَا، الْفَائِدَةُ أَوْ لَازِمُهَا^(٦). وَخَبْرٌ خَالِي الذَّهْنِ لَا يُؤَكِّدُ، وَهُوَ لِلْمُتَرَدِّدِ يُؤَكِّدُ. وَلِلْمُنْكَرِ الْعَيْنِ، أَكْثَرُ مِنْ تَوْكِيدِ^(٧).

(١) مِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يُسَمِّي عِلْمَ الْبَلَاغَةِ: عِلْمَ الْمَعَانِي، وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْمِيهِ: عِلْمَ الْبَيَانِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَفْصِّلُ.

(٢) قَرِيبَةٍ، مَفْرَدُهَا: دَانِيَةٌ. وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿قُطُوهُنَّ أَدْنَىٰ﴾ [الْحَاقَّةُ].

(٣) فَيَقَالُ: كَلَامٌ بَلِيغٌ، وَمُتَكَلِّمٌ بَلِيغٌ. وَلَا يَقَالُ لِلْكَلِمَةِ الْمَفْرَدَةِ: بَلِيغَةٌ.

(٤) الْمُرَادُ بِعِلْمِ الْمَعَانِي - هُنَا -: النَّوْعُ الْأَوَّلُ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلَاغَةِ.

(٥) صَدَقَ الْخَبَرُ: مُطَابَقَتُهُ لِلْوَاقِعِ، وَلَوْ كَانَ الْمَخْبِرُ كَاذِبًا.

(٦) أَيُّ: غَرَضُ الْمَخْبِرِ بِالْأَخْبَارِ: فَائِدَةُ الْخَبَرِ، أَوْ لَازِمُهَا، وَهُوَ: إِفَادَةُ الْمَخَاطَبِ أَنَّ الْمَخْبِرَ عَالِمٌ بِالْخَبَرِ.

(٧) يُلْقَى الْخَبَرُ خَالِيًا مِنَ التَّوَكِيدِ لَخَالِي الذَّهْنِ، وَأَمَّا الْمُتَرَدِّدُ فَيَحْسَنُ التَّوَكِيدَ لَهُ بِمُؤَكَّدٍ، وَالْمُنْكَرُ يُؤَكِّدُ لَهُ بِأَكْثَرٍ مِنْ تَوْكِيدٍ.

وَرُبَّمَا كَانَ الْإِسْنَادُ غَيْرَ حَقِيقِيٍّ، نَحْوُ: سَارَ بِي طَرِيقِي^(١).
وَيُحَذَفُ الْمُسْنَدُ إِلَيْهِ وَيُذَكَّرُ، وَيُعْرَفُ وَيُضْمَرُ، وَيُقَدَّمُ وَيُؤَخَّرُ.
وَكَذَلِكَ الْأَمْرُ فِي الْمُسْنَدِ^(٢)، نَحْوُ: الْإِنْسَانُ أَحْمَدُ^(٣). وَلِلْفِعْلِ
مُتَعَلِّقَاتٌ، بِالْفَاعِلِ وَالْمَعْمُولَاتِ^(٤). وَقَدْ يَجْعَلُ اللَّازِمُ، كَغَيْرِ
اللَّازِمِ. نَحْوُ: يُعْطِي وَيَمْنَعُ، وَهُوَ يَقُولُ وَيَسْمَعُ^(٥). وَحَذَفُ
الْمَفْعُولِ بِهِ، أَيُّهَا الطَّالِبُ النَّبِيُّ. إِمَّا لِلْبَيَانِ بَعْدَ الْإِبْهَامِ، أَوْ لِلتَّعْمِيمِ
نَحْوُ: ﴿يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾^(٦). وَتَقْدِيمُهُ لِلتَّخْصِصِ وَالتَّعْيِينِ، كَـ
﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٧). وَالْقَصْرُ حَقِيقِيٌّ وَغَيْرُ حَقِيقِيٍّ،
نَحْوُ: مَا زَيْدٌ إِلَّا صَدِيقِيٍّ. وَهُوَ قَصْرُ صِفَةٍ عَلَى مَوْصُوفٍ^(٨)،

- (١) فِي الْإِسْنَادِ مَا يُسَمَّى بِالْمَجَازِ الْإِسْنَادِي أَوِ الْحَكْمِيِّ أَوِ الْعَقْلِيِّ، وَهُوَ
إِسْنَادُ الْفِعْلِ أَوْ مَعْنَاهُ إِلَى غَيْرِ مَا هُوَ لَهُ، كَالْمِثَالِ الْمَذْكُورِ، فَإِنَّ الطَّرِيقَ
لَا يَسِيرُ، وَإِنَّمَا يَسَارُ فِيهِ، وَنَحْوُ: بَنَى الْأَمِيرُ الْمَدِينَةَ.
- (٢) الْمُسْنَدُ إِلَيْهِ: هُوَ الْمَبْتَدَأُ أَوِ الْفَاعِلُ أَوْ نَائِبُهُ، وَأَحْوَالُهُ وَأَمْثَلُهُ مَبْسُوطَةٌ فِي
كُتُبِ الْبَلَاغَةِ، وَيَسْتَطِيعُ الطَّالِبُ مَعْرِفَتَهَا بِاجْتِهَادِهِ. وَكَذَلِكَ الْمُسْنَدُ،
وَهُوَ: الْخَبَرُ أَوِ الْفِعْلُ، يُحَذَفُ وَيُذَكَّرُ، وَيُقَدَّمُ وَيُؤَخَّرُ، وَيُعْرَفُ وَيُنْكَرُ.
- (٣) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- (٤) بَابُ مُتَعَلِّقَاتِ الْفِعْلِ مِنْ مَهْمَّاتِ عِلْمِ الْمَعَانِي.
- (٥) وَنَحْوُ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].
- (٦) سُورَةُ يُونُسَ (آيَةُ ٢٥).
- (٧) سُورَةُ الْفَاتِحَةِ.
- (٨) نَحْوُ: مَا صَدِيقٌ إِلَّا زَيْدٌ.

وَعَكْسُهُ مَعْرُوفٌ^(١). وهو أيضاً قصرُ قلبٍ، نحو: هذه كُلِّيَّةٌ لا قَلْبَ. وقصرُ أفرادٍ أو تَعْيِينٍ، نَحْو: إِنْ أَنْتَ إِلَّا أَمِينٌ^(٢).

وما، وإلا، إنَّما، تَقَدُّمٌ

طُرُقُ قَصْرِ وَرَدَتْ (يا فَنَدِمُ!)^(٣)

والإنشاءُ طَلَبٌ، غَيْرُ حَاصِلٍ وَفَتَ الطَّلَبُ^(٤). وهو أَمْرٌ وَنَهْيٌ ودُعَاءٌ، وَتَمَنٍّ وَاسْتِفْهَامٌ وَنداءٌ. و(هل) لِلتَّصَدِيقِ أَيُّهَا الصَّدِيقُ^(٥). والهِمَزُ لِلتَّصَوُّرِ وَالتَّصَدِيقِ^(٦). وقد يُسْتَعْمَلُ الأَمْرُ لِغَيْرِ صَنْعَتِهِ، كَتَعْجِيزِهِ^(٧) أو تَسْوِيتِهِ^(٨)، أو تَهْدِيدِهِ^(٩) أو إِهَانَتِهِ^(١٠). وعطفُ

(١) ما زيدٌ إِلَّا صَدِيقٌ.

(٢) قصر أفراد لمن اعتقد الاشتراك فيهما. والتَّعْيِينُ لمن اعتقد واحداً منهما، لا بَعِيْنَه.

(٣) على اللهجة المصرية. وطُرُقُ القَصْرِ (ما مع إلا، إنَّما، والتقديم، نحو: شاعرٌ أنا، والعطف بـ «بل، ولكن، ولا»).

(٤) الإنشاء: استدعاء مطلوب غير حاصل وقت الطلب. وهذا هو الطَّلَبُ.

(٥) نحو: هل زيدٌ عندك؟

(٦) نحو: أزيدٌ عندك، أم عمرو؟

(٧) نحو: ﴿فَأَتَوْا سُورَةَ مِّنْ مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣].

(٨) نحو: ﴿فَأَصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾ [الطور: ١٦].

(٩) نحو: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠].

(١٠) نحو: ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً﴾ [الإسراء: ٥٠].

بَعْضِ الْجُمْلِ عَلَى بَعْضٍ هُوَ الْوَصْلُ، وَضِدُّهُ هُوَ الْفَصْلُ. الْوَصْلُ
 نَحْوُ: يَرْجُو وَيَهَابُ، وَنَحْوُ: لَا، وَأَكْرَمَهُ الْوَهَّابُ. فَالْأَوَّلُ لِتِمَامِ
 الْإِنْجَامِ^(١)، وَالثَّانِي لِدَفْعِ الْإِيْهَامِ^(٢). وَالْفَصْلُ لِكَمَالِ
 الْإِنْتِظَامِ^(٣)، نَحْوُ: ﴿أَمَذَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٣٢) ﴿أَمَذَّكُم بِأَنعَمِ﴾^(٤). أَوْ
 كَمَالِ انْقِطَاعِ بِهَا، نَحْوُ: أُرْسُو نِزَاوُلَهَا^(٥). أَوْ شَبَهُ الْكَمَالَيْنِ^(٦)، أَوْ
 التَّوَسُّطُ فِي الْحَالَيْنِ. وَالْإِيْجَازُ: أَدَاءُ الْمَقْصُودِ، بِكَلَامٍ مَعْدُودٍ، أَوْ
 لَفْظٍ مَحْدُودٍ^(٧). وَضِدُّهُ الْإِطْنَابُ، وَيَبْتَنِيهِمَا الْمُسَاوَاةُ بِلَا ارْتِيَابٍ.
 وَالْإِيْجَازُ: حَذْفٌ وَقَصْرٌ، نَحْوُ: ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ﴾. وَالْإِطْنَابُ: إِمَّا
 بِالْإِيْضَاحِ بَعْدَ الْإِيْهَامِ، أَوْ الْخَاصِّ قَبْلَ الْعَامِّ. أَوْ بِالْإِحْتِرَاسِ
 وَالتَّذْيِيلِ، أَوْ التَّتْمِيمِ وَالتَّكْمِيلِ. أَوْ بِالْإِيْغَالِ الْمُحَبَّبِ، كَالْحِزْرِ
 الَّذِي لَمْ يُثَقِّبْ^(٨).

(١) كمال الاتصال.

(٢) لأنه إذا لم يُعطف بالواو، أو هم أن يكون دعاءً عليه، لا له.

(٣) كمال الاتصال.

(٤) سورة الشعراء.

(٥) إشارة إلى البيت:

وقال رائدُهم: ارسوا نزاوُلها فكلَّ حَتَفٍ امرئٍ يجري بمقدار

(٦) إذا كان بين الجملتين شبيه كمال اتصال، نحو: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾ إِنْ
 أَلْفَسَ لَأَمَارَةً، أَوْ شَبَهُ كَمَالِ الْإِنْقِطَاعِ.

(٧) مثال إيجاز القصر: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩]، والحذف:
 ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، أي: أهل القرية.

(٨) انظر: الأمثلة في كتب البلاغة، ومنها كتابي: «البلاغة الميسرة».

وهذا عِلْمُ الْمَعَانِي، الْمُتَعَلِّقُ بِأَحْوَالِ الْمَبَانِي. وَأَمَّا عِلْمُ
الْبَيَانِ^(١): فَهُوَ كَالْعَيْنِ مِنَ الْإِنْسَانِ. تَرَى الْمَعَانِي الْمُؤْتَلِفَةَ، بِطُرُقٍ
مُخْتَلِفَةٍ. وَمَبَاحِثُهُ التَّشْبِيهُ وَالْمَجَازُ. نَحْوُ: زَيْدٌ كَالْبَازِ، وَالتَّشْبِيهُ
ضِمْنِيٌّ وَمَقْلُوبٌ، وَتَمَثِيلٌ مَحْبُوبٌ. وَالْمَجَازُ: اسْتِعَارَةٌ وَمُرْسَلٌ،
نَحْوُ: زَارَنِي عِنْدَلٌ^(٢). وَهِيَ مُصَرَّحَةٌ وَمَكْنِيَّةٌ، وَأَصْلِيَّةٌ وَتَبْعِيَّةٌ.
وَتَمَثِيلِيَّةٌ وَجِيزَةٌ، كَقَوْلِهِمْ: قَطَعْتَ جَهِيْزَةً ... وَالْكِنَايَةُ أُبْلَغُ فِي
الْبَيَانِ، وَهِيَ أُبْلَغُ مِنَ الْبَيَانِ^(٣).

وَالثَّالِثُ: عِلْمُ الْبَدِيعِ، وَهُوَ زُخْرَفٌ بَدِيعٌ. يَكُونُ فِي اللَّفْظِ
وَالْمَعْنَى، يَصِيرُ بِهِ الْكَلَامُ أَقْنَى^(٤). فَمِنْ مُحَسِّنَاتِ الْأَلْفَازِ، أَيُّهَا
الطَّالِبُونَ الْأَيْقَازُ. السَّجْعُ وَالْجِنَاسُ^(٥)، وَالْقَلْبُ^(٦) وَالْاِقْتِبَاسُ^(٧).

(١) ما سبق هو علم المعاني، ومن هنا الكلام عن علم البيان، والعلاقة
بينهما واضحة، فإن علم المعاني في أحوال الألفاظ ومطابقتها للحال،
والبيان موضح ومبين.

(٢) العنْدَلُ: البعيرُ إذا كان ضخم الرأس، وهو مجازٌ هنا، وقرينته الزيارة.

(٣) أعني التصريح.

(٤) أجمل.

(٥) نَحْوُ: ﴿وَبِیَوْمٍ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيَشُوْا عِیرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: ٥٥].

(٦) نَحْوُ: ﴿وَرَبِّكَ فَكْیَرٌ﴾ [المدثر].

(٧) هو تضمن الكلام شيئاً من نصوص الكتاب والسنة.

وَمِنْ مُحَسِّنَاتِ الْمَعَانِي، يَا كِرَامَ الْمَعَانِي: الطَّبَاقُ^(١)
وَالْمُقَابَلَةُ^(٢)، وَالْعَكْسُ^(٣) وَالْمُشَاكَلَةُ^(٤). وَالتَّوْرِيَّةُ^(٥)
وَالِاسْتِخْدَامُ^(٦)، وَحُسْنُ التَّعْلِيلِ^(٧) وَالْخِتَامُ^(٨).

(١) نحو: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ آيَاتٍ كَاطًا وَهُمْ رُفُودٌ﴾ [الكهف: ١٨].

(٢) نحو: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ [التوبة: ٨٢].

(٣) نحو: عادات السادات سادات العادات.

(٤) نحو: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَمِلُّ حَتَّى تَمْلُوا»، متفقٌ عليه من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٥) نحو:

أَيُّهَا الْمُعْرَضُ عَنِّي حَسْبُكَ اللَّهُ تَعَالَى

(٦) كقوله:

وَاللَّغْزَالَةُ شَيْءٌ مِنْ تَلَفُّتِهِ وَنُورُهَا مِنْ ضِيَا خَدْيِهِ مُكْتَسَبٌ

(٧) حُسْنُ التَّعْلِيلِ: أَنْ تَدَّعِي لِأَمْرٍ عِلَّةً تَنَاسِبُهُ بِاعْتِبَارِ لَطِيفٍ، كَقَوْلِهِ:

مَا كُفِّفَ الْبَدْرُ الْمُنِيرُ قَدِيمَةً وَلَكِنَّهَا فِي وَجْهِهِ أَثَرُ اللَّطَمِ

(٨) حُسْنُ الْخِتَامِ: مِثْلُ مَا خَتَمْنَا بِهِ.

المَقَامَةُ السُّبْكِيَّةُ

قال أبو العينين:

قال أبو إسحاق: عَزَمَ الحَشَكْظِيُّ فِي أَحَدِ دُرُوسِهِ، أَنْ لَا يَقُومَ مِنْ جُلُوسِهِ. حَتَّى يَعْصُرَ لَتَلَامِيذِهِ أَصُولَ الفِقْهِ عَصْرًا، وَلَوْ لَمْ يَقُمْ مِنْ مَقَامِهِ إِلَّا عَصْرًا. فَدَعَا بِقَدَحَيْنِ مِنَ الشَّاي الْأَخْضَرِ، ثُمَّ تَرَبَّعَ فِي جَلْسَتِهِ وَشَمَّرَ. وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَالِ، الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ وَالْآلِ، وَالتَّابِعِينَ إِلَى يَوْمِ الْمَالِ.

أَصُولُ الفِقْهِ بِالْإِجْمَالِ: أَدَلَّةُ الفِقْهِ عَلَى الْإِجْمَالِ. وَفَائِدَتُهُ: الْعِلْمُ بِالْأَحْكَامِ؛ لِلْفَوْزِ بِالسَّعَادَةِ عَلَى الدَّوَامِ. وَالْحُكْمُ الشَّرْعِيُّ: تَكْلِيفِيٌّ وَوَضْعِيٌّ. وَالْأَوَّلُ وَاجِبٌ وَمُسْتَحَبٌّ، وَيُقَالُ لَهُ: نَدْبٌ. وَمَكْرُوهٌ لَا يُرَامُ، وَمُبَاحٌ وَحَرَامٌ. وَالْوَضْعِيُّ: كَالسَّبَبِ وَالْمَانِعِ، وَكَالشَّرْطِ الْقَاطِعِ.

وَالْكَلَامُ: مَجَازٌ وَحَقِيقَةٌ، وَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ دَقِيقَةٌ. وَالْحَقِيقَةُ: لُغَوِيَّةٌ، وَعُرْفِيَّةٌ وَشَرْعِيَّةٌ. وَالْمَجَازُ لُغَوِيٌّ، كَالثَّوْرِ لِلْقَوِيِّ. أَوْ: حُكْمِيٌّ يَسْتَنْدُ إِلَى الْعَقْلِ، كَبَنَى الْأَمِيرُ الْحَقْلَ. وَالْأَمْرُ: (افْعَلْ)، وَالتَّهْنِي: (لَا تَفْعَلْ). وَهُوَ دَالٌّ عَلَى التَّحْرِيمِ، وَالْأَمْرُ لِلْوُجُوبِ وَالتَّسْلِيمِ. وَالْعَامُّ: هُوَ مَا شَمَلَ، كَالْمَعْرِفِ بِأَلْ. وَكُلُّ وَمَا، وَمَتَى وَحَيْثُمَا.

والنكرة في سياق الجحد، و﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يعمُّ الكافر والعبد.
ومغيارُ العموم الاستثناء، أيها الأبناء.

والتخصيص: قصرُ العموم، على أمر معلوم. وهو متصلٌ ومنفصلٌ، كالاستثناء والبدل. وأمَّا ذو الفصل، فكالتخصيص بأصل^(١)، أو بالحس والعقل. ويحمل المطلق على المقيّد، في القول المؤيّد.

والظاهر الدالُّ بتصحيح، والتأويل لدليل: صحيح، وإلا ففاسدٌ أو لعبٌ قبيح. وما لم يتضح: هو الإجمال، والبيان إخراجُه من حيز الإشكال. ولا يجوز تأخيرُه عن وقت الحاجة، وواقع تأخيرُه لحاجة.

والنسخ: رفعُ حكم الشرع بخطاب، وهو واقعٌ في السنة والكتاب. والإجماع: اتفاق المجتهدين، على أمر الدين. ومنه إجماعُ السكوت، وهو كَيْت العنكبوت.

والقياس: ظنون، منعه الظاهريون، وقبله آخرون. وأباه أبو حنيفة في الحدود والكفارات، وقومٌ في أصول العبادات. وقومٌ في غير الاضطرار، وهو الصحيح المختار. والبحث عن العلة تحقيقُ المناط، وتهذيبها: تنقيحُ المناط. واستخراجُها بالاجتهاد: تخريجُ المناط، ومسالكها: طرقٌ لها وأشراط.

(١) أي: بدليل من الكتاب والسنة.

وَيُحْتَجُّ بِالْأَسْتِصْحَابِ، لَدَى الْجُمْهُورِ وَالْأَصْحَابِ. وَيُفَزَعُ إِلَى
 الْجَمْعِ، عِنْدَ تَعَارُضِ دَلِيلِي السَّمْعِ. وَإِلَّا فَالتَّرْجِيحُ بَيْنَهُمَا،
 وَإِلَّا فَالنَّسْخُ إِنْ عُلِمَ آخِرُهُمَا. وَالْاجْتِهَادُ: بَذْلُ الْمَجْتَهِدِ الطَّاقَةَ،
 وَهِيَ مَفْتُوحَةٌ إِلَى يَوْمِ الْحَاقَّةِ. وَالتَّقْلِيدُ مَرْدُودٌ، وَالْإِسْتِحْسَانُ
 مَنْقُودٌ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْبُودِ.

المَقَامَةُ الْفَرَضِيَّةُ

قال أبو العينين:

كَانَ فِي قَرِينَتِنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الزَّهَادَةِ، وَالْإِخْبَاتِ^(١) فِي الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ. يَتَأَلَّهُ^(٢) لِلدِّيَّانِ، وَيَكْرَهُ الْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ. تَسَلَّلَ إِلَى
قُلُوبِ النَّاسِ حُبُّهُ، وَأَنَسَهُمْ حُضُورُهُ وَقُرْبُهُ. وَكَانَ الشَّيْخُ قَدْ جَاوَزَ
دَقَاقَةَ الرَّقَابِ^(٣)، وَصَارَ قَحْمًا^(٤) يُسْنَدُهُ الْأَصْحَابُ. وَتَرَهَيَّاتٌ^(٥)
مِنَ الْكِبَرِ عَيْنَاهُ، وَثَقُلَتْ بِالسَّمْعِ أُذُنَاهُ. فَجَاءَتْهُ وَهُوَ قَعْضَمٌ^(٦)،
مَا تُسَمِّيهِا الْعَرَبُ أُمَّ قَشْعَمٍ^(٧). فَثَابَ^(٨) إِلَى بَارِيهِ وَقَضَى^(٩)،

(١) الإخبات: خشوع في سكون.

(٢) يتأله.

(٣) هي ثمانون سنة، وهي التي يعينها زهيرٌ في معلقته بقوله:

سَمْتُ تَكَالِيفِ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَا لَكَ يَسَامُ

(٤) مُسْنًا.

(٥) اغْرُورَقَتْ؛ ضَعْفًا وَكِبَرًا.

(٦) القعْضَم: المُسِنَّ الذي ذهب أسنانه، والقَضْعَم: دونه، كما يفهم من «القاموس».

(٧) هي المنيّة.

(٨) رجع.

(٩) مات.

وَأَلْقَى بِرَحْلِهِ وَمَضَى. وَتَرَكَ مِنْ خَلْفِهِ وَرَثَةً ضُعْفَاءَ، مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ. وَهُمْ زَوْجَةٌ^(١) وَبَنَاتٌ، وَإِخْوَةٌ وَأَخَوَاتٌ. وَأَبْنَاءٌ وَأُمٌّ، وَابْنَةٌ ابْنٍ وَعَمٌّ. وَبَنُو إِخْوَةٍ وَأَعْمَامٌ، وَأَبٌ قَوَّامٌ^(٢). وَجَدَّةٌ وَجَدٌّ مُشْفِقٌ، وَمُعْتَقَةٌ وَمُعْتِقٌ. وَهُمْ دُونَ شَكٍّ وَلَا مَيِّنٍ^(٣)، جَمِيعُ الْوَرَثَةِ مِنَ النَّوَاعِينِ. وَعَدَدُهُمْ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ^(٤)، لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ.

فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ، قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: أَلَا تَسْمَعُونَ؟ إِذَا أَرَدْتُمْ قِسْمَةَ عَدْلٍ، فَأَنَا أَذْلُكُمْ عَلَى حَكَمٍ عَدْلٍ. فَاتَّبِعُونِي أَهْدِيكُمْ سَبِيلَهُ، لَتَسْمَعُوا حَكَمَهُ وَدَلِيلَهُ. وَهُوَ بِلَا مَبَالِغَةٍ وَلَا زَيْدٍ^(٥)، يُشَبَّهُ فِي عِلْمِهِ بِزَيْدٍ^(٦). كَلَامُهُ الْعَذْبُ الْفَائِضُ، وَعِلْمُهُ عُمْدَةُ الْفَارِضِ. فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ، وَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ. أَوْجَسَ^(٧)

(١) يتعين في المواريث دفعا للبس أن يعدل عن الأفصح، فيقال: زوجة، بدل زوج.

(٢) ذو قوامه.

(٣) الميِّن: كالثَّكَّةِ، والكذب أيضا.

(٤) هم جميع الورثة، ولا يجتمع كل الورثة إلا إذا كان الميِّت أحد الزوجين، ولكن لا يرث لكلهم، كما سيأتي. ولعلم المواريث مفاتيح وقواعد تيسره لطالبه، ذكرها في «شرح الرحبية».

(٥) زيادة.

(٦) زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الصحابي الفَرَضِيُّ القَارِي (ت ٤٥ هـ).

(٧) أحسن.

منهم خيفة^(١)، وفزع من فجأتهم المخيفة. فقالوا بعد السلام: استمع أيها الإمام. توفى الله الفقيد، وترك ماله العتيد^(٢). فاحكم بيننا ولا تشطط^(٣)، وأعط كلَّ حقَّه ولا تسقط. فجميعنا كان به حفيًا^(٤)، وراضيًا مرضيًا. فنظر الشيخ إلى الوجوه، ودلَّ نظره على وجوه^(٥). ورحب وحيي، وأقبل بالمحيي^(٦). وقال: إلي يساق الحديث، ويصرحُ بالتحديث، في علم المواريث. وعلى الخير سقطتم، وعلى الآفي^(٧) حططتم. اعلّموا أيها الجشة^(٨) الكرام، أن التوريث ليس بالرضا والهيام^(٩). بل له شروط وأسباب، وأركان في الكتاب.

أسباب ميراث: نكاحٌ وولاً

ونسبٌ. فاسمع كلامي يا ولأ^(١٠)

(١) خوفًا.

(٢) الحاضر المهيأ.

(٣) الشطط: الجور.

(٤) مبالغًا في إكرامه.

(٥) أقسام مختلفة.

(٦) بوجهه.

(٧) الذي بلغ الغاية في العلم والخير.

(٨) هم الجماعة من الناس، المقبلون في نهضة وثورة، جيمه يُفتح ويُضم.

(٩) بالحب والهوى.

(١٠) على اللهجة المصرية، أصلها: يا وكذ. والأسباب هي: النكاح والولاء والنسب.

أركانُهُ: مُـوَرَّثٌ ووَارِثٌ

والإرثُ بعدَ ذاكَ وهو الثالثُ^(١)

وشروطُهُ موتُ مُوَرَّثٍ وُضِيْدٌ

حقيقةً أو حُكْمًا أو شِبْهًا وُجِدَ

وَعِلْمٌ جِهَةً اقْتِضَاءِ الإرثِ

فأخو العلومَ بطَوِيلِ البَحْثِ^(٢)

فإن كان فيكم من لَيْسَ عَلَى مِلَّةِهِ^(٣)، أو ما زالَ مملوكًا بَرَقَبَتِهِ.
فلا حَظَّ له في المالِ، مِنَ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ. وَالْقَاتِلُ مَحْرُومٌ، كما
هو مَعْلُومٌ. مُعَامَلَةٌ لَهُ بِنَقِيْضِ الْمَقْصُودِ، وَحِرْمَانًا مِنَ الرَّفْدِ
الْمَرْفُودِ^(٤).

وَيَمْنَعُ الإرثُ اخْتِلَافُ الْمِلَّةِ وَالرَّقُّ، وَالْقَتْلُ لَدَى الْأَجَلَةِ^(٥)

(١) أركانه ثلاثة أيضًا: مورث، ووارث، وإرث.

(٢) شروطه: تحقق موت المورث، وتحقيق حياة الوارث بعد المورث ولو بلحظة، والعلم بالجهة التي استحق بها الإرث.

(٣) لأنه لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم، وكذلك إذا اختلفت الملتان غير الإسلام، وكل ذلك مختلف فيه، معروف في المطولات.

(٤) من العطاء المعطى.

(٥) لا أعلم .. هل هذا البيت من نظمي، أم حفظته ونسيت قائله.

فهل فيكم من وجد فيه مانع، أو تخلف عنه سبب واقع؟ فقالوا كلهم: لا، والحمد لله على ما أولى! قال: إذن، فاسمعوا جوابي، وادنوا من جفان^(١) كالجوابي^(٢).

إن يجتمع جميع أهل الميت فلا تُورثن غير خمسة الأبوان^(٣)، أحد الزوجين والابن والبنت بغير مئين فلاب السدس كأم والتي ترملت ثمن لها^(٤). فأثبت والباقي للبنين والبنات للذكر الضعف من الفتاة^(٥)

فألقي الورثة ساجدين، قالوا: آمنا برَبِّ العالمين، ربَّ السموات والأرضين. وانقلب الآخرون، وهم داخرون. ومنعتهم الحشرجة^(٦)، من العناد والجلجة^(٧). وتضاءلت^(٨) المحبة، بين أولئك الأحبة. فإن الدراهم تفعل بالآلباب، ما تفعله الوحش في الغاب.

(١) جمع جفنة، وهي الصَّحفة الكبيرة.

(٢) الأحواض التي يجتمع فيها الماء.

(٣) الأبوان: خبر مبتدأ محذوف، أي: هم الأبوان ...

(٤) وهي الزوجة، فإن كانت هي الميتة فللزوجة الربع.

(٥) للذكر مثل حظ الأنثيين.

(٦) وقوف البكاء في الحلق، والغرغرة عند الموت، والأول المراد.

(٧) الاضطراب في الكلام عند الخصام.

(٨) تناقصت.

وهل فرّق بين الرّيال^(١)، سيوى الدرهم والرّيال^(٢)!! سلّوا إن شِئتم عنّ ما فعل فلان وأخوه، وعصّبه وذوّوه. حين قضى أبوهم نحبّه^(٣)، وغادر^(٤) أهله وصحبّه. طَفَحَ فيهم داءُ الضّرائر^(٥)، وظهّر مكنون السّرائر، قبل العود من المقابر. واستزلّهم الشّيطان^(٦)، ببعض ما أضمرّوا في الجنان^(٧). ولو ترى ذوات الخال^(٨)، وربّات الحِجَال^(٩). وهنّ في كيدهنّ العظيم، ومكرهنّ الأليم. يوم تهارشوا^(١٠) كالسّراحين^(١١)، ولم يكفوا إلى هذا الحين. يعدّون كلّ يوم إلى المحاكم، ويروحون إلى التّخاصم، ما لهم من عاصم. وخبرهم ذائع، وأمرهم شائع!!

ثمّ هزّ الجماعة رؤوسهم، واطمأنت نفوسهم. فودّعوا شاكرين، وقاموا ذاكرين.

- (١) أي: الرجال، على لغة إبدال الجيم ياءً.
- (٢) كما قيل في المثل: يفرّق بين المسلمين الدّراهم.
- (٣) أجله.
- (٤) ترك.
- (٥) ظهر فيهم الخلاف عن تحاسد.
- (٦) أوقعهم في الزّلل.
- (٧) القلب.
- (٨) كناية عن النساء.
- (٩) جمع حِجَل، الذي يكون من الحلي في الرّجل.
- (١٠) تقاتلوا، والضمير يعود إلى الوارثين.
- (١١) جمع سرحان، وهو الذئب.

المقامة الحرّانية

قال أبو العينين:

وَقَدَ إِلَيْنَا مِنَ الْكُوفَةِ قَحْمٌ^(١)، جَسْرٌ^(٢) كَثِيرُ الشَّحْمِ. عَلَيْهِ عِمَامَةٌ
كَالْبُرْجِ، وَلَهُ أَكْمَامٌ كَالْخُرْجِ^(٣). فَاسْتَوَى^(٤) إِلَى هَضْبَةٍ^(٥)
بِرُشَاءٍ^(٦)، بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ. وَحَوْلَهُ أَتْبَاعُهُ، وَمُرِيدُوهُ وَأَشْيَاعُهُ.
وَقَدْ لَبَسُوا السَّوَادَ، وَجَثَّوْا بِالْوَادِ. وَأَلْقَوْا السَّمْعَ، وَأَخْرَجُوا
مَنَادِيلَ الدَّمْعِ.

فَقَامَ الشَّيْخُ الْقَحْرَمُ^(٧)، فَحَيًّا وَسَلَّمْ، ثُمَّ صَمَتَ وَصَلَقَمُ^(٨).
وَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ، وَأُخْرَى فِي الْمَرْقُومِ^(٩). فَلَمَّا رَأَى

(١) مسنّ.

(٢) طويلٌ ضخّم.

(٣) وعاء.

(٤) قصد.

(٥) مكان مرتفع.

(٦) كثيرة النبات.

(٧) الطاعن في السنّ.

(٨) قرع بعض أنيابه ببعض.

(٩) الكتاب.

المَجْلِسَ قد طابُ، شرَعَ في الخطابِ. حَمَدَ الكبيرَ المتعالِ،
وصَلَّى على النَّبِيِّ والآلِ. ثم أخذَ يُساقطُ^(١) الكلامَ، في أحسنِ
نظامٍ.

ومكثَ على هذه الطَّرِيقَةِ، أربَعينَ دَقِيقَةً. ثُمَّ جَنَحَ بالحديثِ
إلى فَضْلِ اللَّيْلِ الغالبِ، واللَّهَبِ الدَّالِّبِ^(٢). هازِمٍ مَرَحَبٍ^(٣)،
وقاهرٍ كُلِّ قَعُضْبٍ^(٤) وَقَعْنَبٍ^(٥). الفاتِكِ الوالِبِ^(٦)، عليَّ بنِ أبي
طالبٍ. سيِّدِ الأصْحَابِ بَعْدَ العُمَرَيْنِ، وبعْدَ عُثْمَانَ في أَشْهَرِ
القَوَلَيْنِ. رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ جَمِيعًا، إِنَّهُ كانَ سَمِيعًا.

وَإِذَا بالشَّيْخِ ذِي الحِصَافَةِ، يَخْرُجُ إلى المَوْقِ^(٧) والسَّخَافَةِ.
يَخْوَرُ كما تَخْوَرُ أُمُّ رِيَّانٍ^(٨)، وَيَبْكِي بُكَاءَ الصَّبِيَّانِ. وَيَلْطِمُ بِيَدَيْهِ
الْخَدَيْنِ، وَيُنَادِي أبا الوَلَدَيْنِ. وَرَاحَ يَرُوي أَعْلُوطَاتِ التَّدْلِيسِ،
وَزَخَارِفَ التَّلْبِيسِ. المُرْصَعَةَ مِنْ إِبْلِيسَ، بِتَزْيِينٍ وَتَسْلِيسٍ^(٩). وَمَعَ

(١) أي: يطرح الحديث شيئاً بعد شيء.

(٢) الذي لا ينطفئ.

(٣) مرحب الذي نازله عليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فغلبه، وكان ذلك في خير.

(٤) الجريء الشديد الضخم.

(٥) الشديد الصلب.

(٦) الذي يلجُ الحربَ وغيرها سريعاً.

(٧) الحمق.

(٨) أم ريّان: كنية البقرة.

(٩) تسليس: ترصيع.

ذلك الزويل والعويل، لم أرَ عبْرَةً تَسِيلُ. وإِنَّمَا كَانَ يَسْتَمْطِرُ
الْمَاقِي، وَيَسْتَدِرُّ حَشْرَجَةَ التَّرَاقِي. وَيَسْتَوَكِفُ^(١) عَبْرَاتِ
الْحُضُورِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ.

وكان في القوم أبو الحسن الحشكطي، فانتصب أمامه، وقال:
يا ذا العِمَامَةِ. إِنَّ أَبَا ثَرَابٍ، فِي غَنَى عَنْ هَذَا الْكِذَابِ^(٢). وَفَضَائِلُهُ
عُظْمَى، وَمَقَامُهُ أَسْمَى. وَهُوَ فَوْقَ مَا فِي نَفُوسِ الْمُمُخْرِقِينَ^(٣)،
وَإِنَّهُ لَمَوْلَى الْمُتَّقِينَ. وَانْظُرْ إِلَى سِيرَتِهِ الْعَادِلَةِ، وَطَرِيقَتِهِ الْفَاضِلَةِ.
وَمَوَاعِظِهِ الْفَاصِلَةِ، وَخُطْبِهِ الْكَامِلَةِ، وَحِكْمِهِ الْوَاصِلَةِ. فِي كِتَابِ
«الْبَدَايَةِ وَالنَّهَايَةِ»، فَمُصَنَّفُهُ مِنْ أَهْلِ الثَّقَةِ وَالرَّوَايَةِ، وَالْإِثْقَانِ
وَالدِّرَايَةِ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَأَيَةً.

وَأَذْكُرُ لَكَ شَاهِدًا عَلَى الْمَيْنِ^(٤)، وَدَلِيلًا عَلَى تَلْبِيسِ الرَّيْنِ. فِي
بَعْضِ مَا رَوَيْتَهُ، وَصِحَّتْ بِهِ وَحِكْمَتُهُ. مِنْ بَعْضِ فَضَائِلِهِ الْمَائِدَةِ،
فِي سُورَةِ «الْمَائِدَةِ». وَفِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
رَاكِعُونَ﴾^(٥)، فَلَعَلَّ هَؤُلَاءِ يَرْجِعُونَ. أَوَّلُهَا: أَنَّ الْآيَةَ فِي سِيَاقِ
الْجَمْعِ، يَا مَعْشَرَ الْجَمْعِ. وَثَانِيهَا: أَنَّ الْوَاوَ لَيْسَتْ لِلْحَالِ،

(١) يستمطرها.

(٢) مصدر كَذَبَ يَكْذِبُ كِذْبًا وَكِذَابًا.

(٣) الذين يخلقون الإفك.

(٤) الكذب.

(٥) المائدة (٥٥).

بلا جدال. وثالثها : لو كان الإيتاء في الصلاة حسناً، لكان في كل أحوال الصلاة مستحسنًا. ورابعها : أن الإيتاء في الصلاة غير مستحب، وخامسها : أن إخراجها على الفور أحب. وسادسها : أن علياً لم تجب عليه زكاة في عهد النبي، صلى الله عليه ورضي عن علي. وسابعها : أن علماء العالم، لا يرون أجزاء الزكاة بالخاتم. وثامنها : أن أدائها في القيام والقعود، أمكن من أدائها في الركوع والسجود. وناسعها : أن سياق الآية، في النهي عن مؤالة أهل الغواية. وعاشرها : أن الرواية موضوعة، ليست صحيحة ولا مرفوعة. وأنتم لا تحجبون بحجة، إلا كانت عليكم شجة^(١)، وفي لقمكم^(٢) دلجة^(٣). وكبت الأوائل، بارتفاع الأسافل. فما لكم كيف تحكمون؟! ما لكم لا تنطقون؟

فلما قال الحشكطي قولته، وصال بهم صولته. قالوا: من أنت أيها اللائم، والهادف^(٤) القائم. ما نظنك إلا واحداً من النواصب، الذين لهم غمر^(٥) واصب^(٦)!! تريد أن تحجب بكفك ذكاً^(٧)، وأن تفضل علينا درجة وزكا!!

(١) جرحه.

(٢) طريقكم.

(٣) ظلة.

(٤) الهداف: الغريب.

(٥) حقد.

(٦) دائم.

(٧) الشمس.

قال: ما أنا إلا ناصحٌ أمينٌ، ونذيرٌ مُبينٌ. وإنَّ شَيْخَكُمْ الضَّلِيلَ، مِمَّنْ ضَلَّ عَنِ السَّبِيلِ. فلا تَتَّخِذُوهُ وَنُظَرَاءَهُ أَرْبَابًا، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ أَلْبَابًا. فاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ، وَسَلُّدُوا عَلَى أَطْمَاعِهِمُ الْبَابَ. واللهُ المستعانُ وَخُدَه! وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مَنْ لَا مَعْصُومَ بَعْدَهُ^(١).

(١) ما ذكرته من حجج في شأن آية المائدة هو خلاصة ما ذكره ابن تيمية في كتابه «منهاج السنة».

العَقَامَةُ الْبِنْزِيَّةُ

قال أبو العيين:

السَّيَّارَةُ دَابَّةٌ مِنْ صُنْعِ الْعَجَمِ، أَشْبَهُ بِذَوَاتِ الْأَرْبَعِ، أَجْوَدُهَا الْبِنْزُ، وَقِيلَ: الْحِمْسُ، ثَالِثُهَا الْجَيْبُ. وَاسْتُحْسِنَ الْأَبْيَضُ مِنْهَا، وَمَا اتَّقَدَّ بِالْدِّيزِلِ؛ لِرُخْصِهِ خِلَافًا لِقَوْمٍ، وَوَجِبَ رُكُوبُهَا خَوْفَ فَوَاتِ مَصْلَحَةٍ أَرْجَحَ.

وَتُمْنَعُ الْمَرْأَةُ مِنْ قِيَادَتِهَا عِنْدَ قَوْمٍ شَرْعًا، وَقَوْمٍ عُرْفًا، وَابْنِ مَفْجُوعٍ^(١) فِي غَيْرِ الْحَضَرِ، وَأَبِي قَابِسٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ، وَآخَرِينَ إِنْ كَانَتْ خَالِيَةً، أَوْ فِي الْبَادِيَةِ. وَقِيلَ: إِنْ خَافَتْ أَوْ خِيفَ عَلَيْهَا.

وَيَحْظَرُ قِيَادَتُهَا لغير ذِي رُخْصَةٍ، وَقَطْعُ إِشَارَةٍ غَيْرِ خَضْرَاءَ، وَوُقُوفٌ أَمَامَ لَوْحَةٍ فِيهَا عَلَامَةٌ ضَرْبٍ، وَكَائِنْتَظَارِهِ وَوُقُوفِهِ عَرْضًا فِي مَوْقِفٍ طُولٍ، وَسُرْعَةٌ فَوْقَ فِيلٍ^(٢)، وَتَفْحِيطٍ وَسَبَاقٍ فِي غَيْرِ مِيدَانِهِ، وَاسْتِعْمَالٍ مُنْبِهِ لِغَيْرِ حَاجَةٍ، وَتَجَاوُزٍ فِي مَكَانٍ ضَيِّقٍ أَوْ

(١) يستعمل في المجهول، فيقال: مَفْجُوعٌ بَن مَفْجُوعٍ.

(٢) فيل: أي: مئة وعشرون، بحساب الجَمَلِ.

مُنَحْن. وَمَنْ اسْتَدَارَ بِسَيَّارَتِهِ لِرَسْمِ دَائِرَةٍ فَخَارًا لَزِمَ تَأْدِيبُهُ، فَإِنْ عَادَ مُنَعَ وَغُرِّمَ وَصُودِرَتْ عَجَلَتُهُ.

وَيُنْدَبُ الْحَمْلُ عَلَيْهَا بِلا أَجْرَةٍ، وَالْإِعَانَةُ فِي نَتْعِهَا^(١) إِنْ وَقَفَتْ لِبُرُودَةٍ أَوْ حَرَارَةٍ أَوْ سِوَاهُمَا، فَإِنْ كَانَ لَهُ اشْتِرَاكٌ وَجَبَ بِذَلِكَ، وَوَضَعَ^(٢) أَحْمَرَهُ فِي مُوَجَبٍ، وَأَسْوَدَهُ فِي سَالِبٍ. وَمَنْ انْفَجَرَ إِطَارُ مَرْكَبَتِهِ رَفَعَ رِجْلَهُ، وَأَحْكَمَ الْقَبْضَ وَتَمَهَّلَ.

وَاسْتُحِبَّ رِبْطُ حِزَامٍ مُطْلَقًا، وَالْمَشْيُ بَيْنَ سِتِّينَ وَثَمَانِينَ فِي الْحَاضِرَةِ، وَمَسْحُ زُجَاجِهَا، وَانْتِظَارُ دَقَائِقٍ، وَالْمَشْيُ ذَاتَ الْيَمِينِ، وَإِيقَافُهَا مُعْتَدَلَةً، وَإِخْرَاجُ يَدِهِ عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَكَرْهُهُ قَوْمٌ، وَالْأَصَحُّ لَا كَرَاهَةٍ. وَمَنْ رَهَنَهَا لَمْ يَنْتَفِعْ بِهَا الْمُرْتَهَنُ إِجْمَاعًا^(٣).

فصل

يُنْدَبُ اقْتِنَاؤُهَا لِمُعِيلٍ^(٤)، وَلَوْ نَسِيئَةً بَيْعَةً وَاحِدَةً، أَوْ تَمَلُّكًا عَنْ إِيجَارٍ، خِلَافًا لِقَوْمٍ^(٥)، فَإِنْ ابْتَاعَ (بَنْزًا) فَبَايَتْ (جَيًّا) وَجَبَ الرَّدُّ.

(١) دفعها لإعادة تشغيل محركها.

(٢) أي: ووضع أحمره.

(٣) اجماع محلي، منتقض بالخلاف والنص.

(٤) صاحب عيال.

(٥) أي: إيجاراً ينتهي بالتملك.

وَمَنْ انْتَهَتْ رُحْصَتُهُ جَدَّدَهَا وَلَثَرًا مِنْ دَمِهِ إِنْ قَدَرَ^(١)، كَاسْتِمَارَةِ سَيَّارَتِهِ بِلَا دَمٍ، فَإِنْ لَزِمَتْهُ مُخَالَفَةُ سَدِّدَهَا، وَالْفَحْصُ وَتَصْدِيقُهُ بِوَضْعِهِ عَلَى زُجَاجِهَا مَطْلُوبٌ.

وَمُقَدِّمُ رِجْلِهِ الْيُمْنَى مِنْ جِهَةِ الْيَمِينِ - حِينَ رُكُوبِهِ - مُتَكَلِّفٌ، كَمُقَدِّمِهَا مِنْ جِهَةِ الْيَسَارِ خُرُوجًا. وَمَنْ صُدِمَ مِنْ وَرَائِهِ فَالْعَارِمُ الصَّادِمُ مَطْلَقًا، كَقَاطِعِ حَمَرَاءَ وَلَوْ مَصْدُومًا، فَإِنْ اصْطَدَمَا فِي فَرْعِيٍّ فَضَّلَ الْقَادِمُ مِنْ شَارِعِ رَيْسٍ، وَيُصْلَحُ بَيْنَهُمَا، وَفِي الْعَفْوِ عَنِ مُسْتَهْزِئٍ تَرَدُّدٌ، وَالصَّحِيحُ: الْعَفْوُ أَفْضَلُ مُطْلَقًا؛ لِأَنَّ أَثَرَ الْإِحْسَانِ عَلَى النَّفْسِ الشَّرِيفَةِ أَبْلَغُ، وَعَلَى الْخَبِيثَةِ أحيانًا.

وَيَحْسُنُ الْإِسْفَارُ فِي الْأَسْفَارِ^(٢)، وَتَفَقُّدُ أَسْيَارٍ وَبَوَاجٍ وَذَاخِرَةٍ^(٣)، وَزَيْتٍ وَمَاءٍ وَوِعَائِهِ، وَكَابِحٍ^(٤) وَصِنُويَةٍ^(٥)، وَمَاسِحَةٍ وَإِطَارٍ، وَكَلْبٍ أَبْتَرٍ^(٦)، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ خِلَافٌ، وَيُنْدَبُ الدُّعَاءُ. وَهَلْ يُنْدَبُ مُرَافِقٌ أَوْ يَجِبُ؟ تَأْوِيلَاتٌ.

(١) بفتح الدال، ويجوز الكسر.

(٢) جمع سَفَرٍ.

(٣) بطارية.

(٤) مَا يُسَمَّى بِالْفَرَامِلِ.

(٥) أي: رفيقه، وهما: الكلتش والبنزين.

(٦) الكمبيوتر في تعريب بعض الظرفاء رحمه الله.

وفي أجزاءٍ صَبِيٍّ تَرَدُّدٌ، وَمَنْ عَلَا مُؤَشِّرُ الْحَرَارَةِ عِنْدَهُ
وَلَا مُوجِبَ لَهَا ظَاهِرًا، كَفَّ حَتَّى يَتَبَيَّنَ. وَمَنْ رَأَى عُضْرُوطًا^(١)
فَرَبَطَ حِزَامَهُ كُرَهُ فَسَحَّه مِنْ بَعْدِهِ. وَتُكْرَهُ عَارِيَّتُهَا إِلَّا لِمَنْ أَمِنَ،
فَإِذَا وَقَفَ لَمْ يُطْفِئْهَا إِلَّا بَعْدَ مُهْلَةٍ إِنْ كَانَتْ ذَاتَ دِيزَلٍ، وَالْعَكْسُ
بِالْعَكْسِ. وَيَحْمَدُ اللَّهُ وَيَشْكُرُهُ، وَيُذَكِّرُهُ سَفَرَهُ إِلَى الْآخِرَةِ،
وَانْقِلَابَهُ إِلَى رَبِّهِ.

(١) العُضْرُوط والجُلُواز: العسكريّ.

المَقَامَةُ الجَوَابِيَّةُ

(هي رسالة أنشأتها لواحد من أصحابي)

قال العينين :

تَنَازَعَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَثْبَاتِ، فِيمَا مَضَى وَفَاتَ، فِي وَاحِدَةٍ مِنْ
الْخَلِيفَاتِ^(١). أَخْبَرَ أَحَدُ الْأَكْيَاسِ^(٢)، بَلَا إِبَاسٍ. بِأَنَّهَا رُفِعَتْ إِلَى
عُرَاعِرِ^(٣) الْقُلُلِ^(٤)، وَبَاتَتْ فِي سَطُوحِ^(٥) إِحْدَى (الْفُلُلِ)^(٦).
فَضَحِكَ بَعْضُ الْقَوْمِ مِنْ هَذِهِ الْمُبَالَغَةِ، وَبَلَغُوا حَدَّ الْمُبَالَغَةِ^(٧).

وَلَمَّا اشْتَدَّ بِهِمُ الْحِوَارُ^(٨)، فِي أَمِّ الْحِوَارِ^(٩). أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ
وَقَضَوْا إِلَيْهِ، وَرَمَوْا تَحَاكُمَهُمْ عَلَيَّ. وَاسْتَحْكُمُونِي بِالْإِرَاعَةِ^(١٠)،

(١) جمع خَلِيفَة: الناقَة الحامل.

(٢) جمع كَيْس: العقلاء.

(٣) رؤوس الجبال، جمع عُرْعُرَة.

(٤) جمع قَلَّة: أعلى الجبل.

(٥) جمع سطح.

(٦) جمع قِلَّة، معرَّب فيلاً.

(٧) أقصى ما يبلغه الضاحك من الضحك.

(٨) المحاورة.

(٩) الناقَة.

(١٠) بالقلم.

في تلك السَّاعَةِ. فَاتْلَابٌ^(١) صَدْرِي لِلْجَوَابِ، وَاشْرَابٌ^(٢) عُنْقِي
لِنُصْرَةِ الصَّوَابِ. وَكَشَفْتُ عَنْ سَاقٍ^(٣)، وَنَادَيْتُ بِالْأُورَاقِ. وَإِذَا
بِالْقَلَمِ تَسَابَقَ مِنْهُ الْكَلِمَاتُ وَتَوَاشَجَ^(٤)، وَتَتَهَافَتَ وَتَتَعَاسَجَ^(٥).
وَيَخْرُجُ مِنْهُ مَا يُشْبِهُ الْعَسَلَ، وَيَخْزُ وَخَزَ الْأَسْلَ^(٦). وَكَانَ مَعْشَرَ
الْأَصْحَابِ، هَذَا الْجَوَابِ. الَّذِي كُتِبَ عَلَى سَبِيلِ التَّظَرُّفِ،
لَا التَّظَرُّفِ. وَكَانَ قَدْ سَبَقَهُ خِطَابٌ، هُوَ هَذَا الْكِتَابِ: تَحِيَّاتُ
أَرْحِيَّةِ التَّسْلِيمِ، وَتَسْلِيمَاتُ أَرْقٍ مِنَ النَّسِيمِ. وَثَنَاءُ أَعْطَرُ مِنْ
رَحِيقِ مَخْتُومٍ، فِي كِتَابٍ مَرْقُومٍ، يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ.

وَرَدَنِي الْمُشَرَّفَ الْكَرِيمَ، وَتَلَقَّيْتُهُ بِالْقَبُولِ وَالتَّكْرِيمِ. وَحِينَ
رَمَقْتُ عَيْنَايَ مَبْنَاهُ، وَتَأَمَّلْتُ حِجْرِي^(٧) بِمَعْنَاهُ. وَثَبْتُ وَثْبَةً
السَّمْعِ^(٨) الْأَزَلَ^(٩)، لَأُرَدَّ عَلَى الْكِتَابِ الْأَجَلَ. وَاتَّخَذْتُ اللَّيْلَ

(١) اتْلَاب الشيء: استقام، وقيل: انتصب، وقيل: امتد واستوى.

(٢) ارتفع وعلا.

(٣) كناية عن شدة الأمر. وهو أحد المعاني في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾. غير أن معناه ورد حديث صحيح، وإذا جاء نَهْرُ اللَّهِ بطل نهر معقل.

(٤) تتزاحم.

(٥) من عَسَجَ بمعنى: مدَّ عنقه.

(٦) الأسْل: الرماح، ونوع من الشوك.

(٧) عقلي.

(٨) السَّمْع: ولد الذئب من الضبع.

(٩) ذئب أَرْسَح - خفيف الوركين - يتولد بين الذئب والضبع.

جَمَلِي^(١)، لَأَسْطَرَّ جُمَلِي. في شأنِ تلكِ اليعْمَلَّة، التي كَثُرَتْ فيها
البَلْبَلَةُ. ونالتُ مِنَ الخطابِ والرُّدُودِ، ما لم تَنْلُهُ ناقةٌ ثَمُودُ.
فما أَحَقَّهَا بِمِثْلِ قُدَّارِ بْنِ سَالِفٍ^(٢)، لِيَجْزُرَ^(٣) عَشُونَهَا^(٤) وَيَجْجِبَ
الشَّارِفَ^(٥). قَاتِلْهَا اللَّهُ! كَمْ ضَيَّعْتُ لِي وَقْتًا، وَلَا لَعَا لَهَا^(٦) كَمْ
أَكْسَبَتْنِي مَقْتًا.

أَمَّا النَّصِيحَةُ فمُسْتَوْدَعَةٌ فِي حُمَاةِ الْجُلْجُلَانِ^(٧) كَيْفَ لَا،
وَالنَّصِيحُ فُلَانُ ابْنُ فُلَانٍ، غَيْرَ أَنِّي - أَيُّهَا الْأَدِيبُ -، لَمْ آتِ
بِكَلَامٍ غَرِيبٍ. لَمْ أَقُلْ: إِنِّي رَأَيْتُ نَاقَةً مِنْ تَيْرٍ^(٨)، تَسْبَحُ فِي بَحْرِ
مِنْ حَبْرٍ. تَقْرَأُ عَلَى الْجَالِسِينَ، سُورَةَ يَس. بِصَوْتٍ مَلِيحٍ، وَلِسَانٍ
فَصِيحٍ. ثُمَّ طَارَتْ فِي الْهَوَاءِ، وَهِيَ تَقُولُ: وَاءُ وَاءُ. أَيُّ تَعْجِيبٍ،
أَيُّهَا الْأَرِيبُ. فِي إِصْعَادِ نَاقَةٍ عَلَى ظَهْرِ الدَّارِ، وَقَدْ سَارَ عَلَى

(١) يقال: اتخذ الليلَ جملة: إذا جعله وقتًا لقضاء شغله، كأنه جعله مطيته
للارتحال.

(٢) عاقر الناقة الذي قال الله - عزَّ وجلَّ - فيه: ﴿فَادَاوَا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾
[القمر]، وقوله: ﴿إِذْ أُنَبِّئْتُ أَشَقَّهَا﴾ [الشمس: ١٣].

(٣) ليقطع.

(٤) شعيرات تحت عنق البعير، وفيه تعبيرٌ بالحال، والمراد: المحلُّ.

(٥) السَّام.

(٦) لا أقال الله عثرتها.

(٧) حُمَاةُ الْجُلْجُلَانِ: وسط القلب.

(٨) من ذهب.

الزُّبْرَقَانِ^(١) مَنْ سَارَ. وَهَلْ قُلْتُ ذَلِكَ الْكَلَامَ بَيْنَ أَظْهَرِ الْعَوَامِ،
بَيْنَ الْحِجْرِ^(٢) وَالْمَقَامِ.

وَأَمَّا أَبُو عُمَيْرٍ^(٣) فَقَدْ لُفَّ فِي ثَوْبِ الْكِنَايَةِ، وَهِيَ آيَةُ الْأَدَبِ
وَأَيُّ آيَةٍ. وَجَاءَ عَمَّنْ هُوَ أَجَلٌّ، مَا هُوَ أَصْرَحُ وَأَدَلُّ. وَغَيْرُ خَافٍ
عَلَى النَّبِيِّ، فَأَعْضُوهُ بِهِنِ^(٤) آيَةٍ. وَثَبَّتَ فِي تَفْسِيرِ مَنْ سَبَقَ، بِأَنَّهُ
(الْغَاسِقُ) فِي سُورَةِ «الْفَلَقِ»^(٥). وَذُكِرَ فِي الْمَجَامِعِ^(٦)، مَا هُوَ أَبْيَنُ
لِلْسَّامِعِ. وَالْمُخْبِرُونَ أَرْبَعَةٌ يَا قَوْمُ، أَنْسَيْتُمْ صَاحِبَهَا وَعَجَلْتُمْ
بِاللُّومِ! وَأَمَّا أَمْرُ الشُّهُودِ وَالْإِشْهَادِ، فَقَدْ ذَكَرْتُمُوهُ عَلَى رُؤُوسِ
الْأَشْهَادِ. ثُمَّ ثَنَيْتُمْ بِالنَّوَالِ، إِذَا ثَبَّتَ الْمَقَالَ. فَكَيْفَ أُدْعَى
لِلدُّخُولِ، وَيُسَدُّ عَنِّي بَابُ الْقَبُولِ. وَقَدْ كَانَ طَلَبِي قَلَمًا بِرَأْسَيْنِ،
وَكَبْشًا بِقَرْنَيْنِ. وَأَنْتُمْ - أَبْقَاكُمْ اللَّهُ - أَزْكَنُ مِنْ إِيَّاسٍ^(٧)، لَدَى
أَذْكَاءِ النَّاسِ. وَهَهُنَا عَتَبٌ عَلَى الْكِرَامِ الْكَتَبَةِ، قَبْلَ مُجَاوَزَةِ

(١) القمر.

(٢) بكسر الحاء: حِجْرُ إِسْمَاعِيلَ.

(٣) كنية الذِّكْرِ، وَقَدْ وَرَدَ ذِكْرُهُ فِي رِسَالَةٍ سَابِقَةٍ.

(٤) الْهَنْ: الْفَرْجُ. وَالْمَعْنَى: قُولُوا لَهُ: اعْضُضْ هُنَّ أَبْيَكِ.

(٥) أَوْرَدَهُ السِّيُوطِيُّ فِي «الْإِكْلِيلِ» فِي سُورَةِ «الْفَلَقِ».

(٦) الْمَرَادُ: الْمَعَاجِمُ.

(٧) إِيَّاسُ بْنُ مَعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ الْمَزْنِيِّ، قَاضِي الْبَصْرَةِ (ت ١٢٢هـ)، يَضْرِبُ بِهِ

الْمَثَلَ فِي الذِّكَاءِ.

العتبة^(١). ألا تدرون أيُّها الكاتبون، مَنْ تُكاتبون؟ أخبروني كيف تُعاشِر الألباب، يا أولي الألباب؟^(٢) وكيف يُكتب ما بعدَ طال وقل^(٣)، أهو سهو أم القلم زل؟^(٤) وكتبتم بعدَ كلمة (رابضة)، لفظ (وابضة). في أيِّ مُعْجَمٍ أجِدُ هذه الكلمة المَظْلُومَة، وفي أيِّ سِفَرٍ أظفرُ بأمِّ أبيها مَرْقُومَة؟ نَبِّئوني يا بني آدم، نَبِّئوني يا بني آدم! ألا تعلمون أيُّها الخابطون، مَنْ تُخاطِبُونَ؟ فالله يغفر لكم يا قوم، ولا تثرِبَ عليكم اليوم!

(١) عتبة الباب، والمراد هنا: مقدمة الخطاب.

(٢) وكان قد وردهم في كتابهم لفظ «معاشرة الألباب».

(٣) لأنه جاء في كلامهم: «طال ما .. وقل ما»، هكذا مفصولة، والصواب الوصل.

(٤) لأن في خطابهم أغلاطاً في الإملاء واللغة، وجاء في كلامهم: من تعاشر الألباب.

المَقَامَةُ العَجُوزِيَّةُ (وفيها خروجٌ عما يلزم)

قال العينين :

خرجت عَجُوزٌ^(١) التَّاجِرُ، في يَمَناها إِبْرَة، ودارَةُ الشَّمْسِ
تتوسطُ السَّمَاءَ، في أَلْفِ فَرَسٍ، وفي ثَوْرٍ وَبَقَرَةٍ وَرَمَكَةٍ وَنَاقَةٍ،

(١) قال الفيروزآبادي: العجوز: الإبرة، والأرض، والأرنب، والأسد،
والألف من كل شيء، والبئر، والبحر، والبطل، والبقرة، والتاجر،
والترس، والتوبة، والثور، والجائع، والجعبة، والجفنة، والجوع،
وجهنم، والحرب، والحربة، والحمى، والخلافة، والخمر، والخيمة،
ودارة الشمس، والداهية، والدرع للمرأة، والدنيا، والذئب، والذئبة،
والراية، والرخم، والرعدة، والرمكة، ورملة م، والسفينة، والسماء،
والسمن، والسموم، والسنة وشجر م، والشمس، والشيخ، والشيخة
- ولا تقل عجوزة أو هي لغية رديئة، ج عجائز وعجز -، والصحيفة،
والصنجة، والصومعة، وضرب من الطيب، والضبع، والطريق، وطعام
يتخذ من نبات بحري، والعاجز، والعافية، وعانة الوحش، والعقرب،
والفرس، والفضة، والقبلة، والقدر، والقرية، والقوس، والقيامة،
والكتيبة، والكعبة، والكلب، والمرأة شابة كانت أو عجوزاً،
والمسافر، والمسك، ومسمار في قبضة السيف، والملك، ومناصب
القدر، والنار، والناقعة، والنخلة، ونصل السيف، والولاية، واليد
اليمنى.

يتقدّمها بطلٌ كالأسد، يحمل رايةً كراية حرب، في حربَةٍ كأنها
نخلةٌ بل صومعة، ومعه سيفٌ مسماره كالإبرة، ونصله من
فضة، وقوسٌ من ذهبٍ وئرسٌ. وحين انتهت إلى شجرٍ ونبات
ورملة، نفخت ريشةً في كفّها، وجعلت تخطب في الكتية كمن
يريد الخلافة والولاية في الأرض، وهي تتهادى في ثوبها، تُشد
وتقول:

إني أنا الدنيا وتلك خيمتي

وصاخفتي وقدرها وجفنتي

ودونها كلبي وألف عقرب

في بئرها تسعى وجرو الكلبة

والنار حولها وكل جائع

أطعمه من رخمي وضبعتي

أنا السفينة على بحر هوت

بعاجز ذي خصلة ذميمة

أمحضني الحب ومدّ كفّه

لجذب درعي وانتشى بخمرتي

واشتَمَ من مِسْكِ وطِيبٍ آخِرٍ
 يُعَدُّ إنْ سُمِّيَ كالتَّمِيمَةِ
 يَرْكُضُ في أَرْضِي ارْتِكَاضَ ثَعْلَبٍ
 يَتَّبِعُهُ سِرْحَانُ فَوْقَ ذُبُوبَةٍ
 حَتَّى إِذَا جَاءَ الْمُنُونُ وَانْتَهَى
 مُسَافِرًا إِلَى طَرِيقِ ضَرَّتِي
 عَضَّ الْيَدَ الْيُمْنَى وَعَادَ عَاجِزًا
 مَبَالِغًا إِذْ لَمْ يَجِئْ بِتَوْبَةٍ
 قَدْ كَانَ فِيَّ أَسَدًا لَا يَرَعَاوِي
 فَعَادَ أَرْثَابًا بِلَا عَافِيَةٍ
 وَأَبْصَرَ الْجَحِيمَ حِينَ مَسَّه
 سَمُومُهَا فِي سَاعَةِ الْقِيَامَةِ^(١)

(١) وللقصيدة تنمة في ديواني، وانتقيتُ منها أحسنها، ولكيلا نخرج بالمقامات عن منهجها.

قال أبو العيين:

تلك بعضُ معاني العَجُوزِ، لمن أراد أن يَفُوزَ. ببعض معانيها العَجِيَّةُ، وإطلاقاتها الغَرِيبةُ. ورام أن يترشَّفَ مَنْ فيها، رَشَفَاتٍ مِنْ فِيهَا.

وقال أبو يوسف بن عمران^(١)، في أبياتٍ حِسان:

عَلَى كُلِّ الْقُلُوبِ لَهُ عَجُوزٌ

كَذَا الْأَحْبَابُ تَحْلُو بِالْعَجُوزِ^(٢)

وَكَمْ خَبَلٍ شَفَاهُ اللَّهُ مِنْهُ

كَذَا جِلْدُ الْعَجُوزِ^(٣) شِفَا الْعَجُوزِ^(٤)

رَشَفْتُ مِنَ الْمَرَاشِفِ مِنْهُ ظَلَمًا

أَلَذَّ جَنَى وَأَحْلَى مِنْ عَجُوزِ^(٥)

(١) يوسف بن عمران الحلبي، ذكره الزبيدي في «التاج»، وذكر قصيدته التي جمعت أكثر معاني «العجوز»، والأبيات التي سأذكرها مختارة منها، وفي بعضها تكلفٌ كما قال الزبيدي في (التاج: عجز).

(٢) العجوز في البيت بمعنى التحكم.

(٣) الضبع.

(٤) الكلب.

(٥) أراد نوعًا من التمر حلواً، والظلم: ماء الأسنان.

دُمُوعِي فِي هَوَاهُ كَنِيلٍ مِصْرٍ
وَأَنْفَاسِي كَأَنْفَاسِ الْعَجُوزِ^(١)
فَقُرْبُكَ دُونَ وَصْلِكَ لِي مُضِرٌّ
كَذَا أَكَلُ الْعَجُوزِ^(٢) بِلَا عَجُوزِ^(٣)
وَكَمْ وَضَعَ الْعَجُوزُ^(٤) عَلَى عَجُوزِ^(٥)
وَكَمْ هَيَّا عَجُوزًا^(٦) فِي عَجُوزِ^(٧)
رَكِبْتَ إِلَى الْمَعَالِي طِرْفَ عَزَمٍ
حَمَاهُ اللَّهُ مِنْ شَيْنِ الْعَجُوزِ^(٨)
وَقَالَ عَالَمٌ أَبْلَغُ، يُقَالُ لَهُ ابْنُ أَصْبَغٍ^(٩):

-
- (١) النَّار.
(٢) النَّبْتُ.
(٣) السَّمْنُ.
(٤) الْقَدْرُ.
(٥) مَنْصِبُ الْقَدْرِ.
(٦) النَّاقَةُ.
(٧) الصَّحْفَةُ.
(٨) الْعَرَجُ.
(٩) جمال الدين محمد بن عيسى بن أصبغ الأزدي اللّغوي، ذكره أيضًا الزّبيدي في (التاج)، وذكر أن له قصيدة منها البيتان المذكوران.

أَلَا تُبْ عَن مُعَاطَاةِ الْعَجُوزِ^(١)

وَنَهْنَهَ عَن مُوَاطَاةِ الْعَجُوزِ^(٢)

وَلَا تَرْكَبْ عَجُوزًا^(٣) فِي عَجُوزِ^(٤)

وَلَا رَوْعٍ وَلَا تَأْكُ بِالْعَجُوزِ^(٥)

قال أبو العيين:

سبحان مَنْ جَعَلَ فِي الضَّعْفِ قُوَّةً، وَبَصْنَةً وَفُتُوَّةً!! كَيْفَ حَازَ الْعَجُزُ هَذِهِ الْمَعَانِي، وَشَمَلَ الْجَحَامِرَ^(٦) وَالْغَوَانِي، وَاکْتَسَى بَرِيَاضَ الْمَغَانِي؟! لَقَدْ جَمَعَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، وَالْمَسْمِيَّاتِ الدُّنْيَا وَالْفَاخِرَةَ. وَأَدَاةَ حَيَاةِ الْإِنْسَانِ، وَأَسْمَاءَ طَائِفَةٍ مِنَ الْحَيَوَانِ. وَنَبَاتِ الْأَرْضِ وَالْجَمَادِ، وَكَثِيرًا مِنْ أَحْوَالِ الْعِبَادِ. وَلَا عَجَبَ مِنْ لُغَةِ الضَّادِ، التِّيَاهَةِ فِي كُلِّ نَادٍ. الصَّادِحَةِ بَيْنَ الْعِبَادِ، بِقَوْلِ مَوْلَانَا فِي سُورَةِ (صَادُ)، ﴿إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَمْ مِنْ نَفَادٍ﴾.

(١) الخمر.

(٢) المرأة المسنة.

(٣) الخصلة الذميمة.

(٤) الحب.

(٥) العاجز.

(٦) جمع جحمرش، وهي المرأة المسنة، ولبعضهم ناظماً:

وللعجوز قد أتى جحمرش وهي التي من كبر ترتعش

المَقَامَةُ الهَرَوِيَّةُ

قال العينين:

أَصْبَحَ أَحَدُ الصَّالِحِينَ، يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ مِنَ الصَّائِمِينَ. قَالَ:
لَأَجْمَعَنَّ الْيَوْمَ مَا اسْتَطَعْتُ مِنْ شُعْبِ الْإِيمَانِ، وَخِصَالِ
الْإِحْسَانِ، وَالْخِلَالِ الْحِسَانِ. وَلَأَصْنَعَنَّ الْيَوْمَ مَا يَسْعُنِي مِنْ فِعْلِ
الْخَيْرَاتِ، وَإِنْكَارِ الْمُنْكَرَاتِ. وَلَأَجْهَدَنَّ طَاقَتِي فِي دَرْءِ السُّوءِ،
وَاجْتِنَابِ مَا يَسُوءُ. وَلَأَجْعَلَنَّ يَوْمِي هَذَا كَأَخْرِ أَيَّامِي، وَخَاتِمَةَ
مَثْوَايَ وَمَقَامِي. وَلَأُصَلِّينَ صَلَاةَ مُودِّعٍ رَاحِلٍ، وَلَأَتَيْنَ إِلَى بَحْرِ
الْبِرِّ مِنْ كُلِّ سَاحِلٍ. وَبِاللَّهِ حَوْلِي وَاعْتِصَامِي، وَقَعْدَتِي وَقِيَامِي.
وهُوَ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ.

قال أبو العينين:

فَقَامَ لِرُؤُوسِهِ وَتَشَهَّدَ، وَسَمِعَ الْمُؤَذِّنَ فَرَدَّدَ. ثُمَّ صَلَّى الرَّغِيَّةَ
وَالطَّجَعَ^(١)، ثُمَّ قَامَ وَهَبَعَ^(٢). وَكَانَ مِنَ الْمَشَائِنِ إِلَى الْمَسَاجِدِ فِي
الظُّلَمِ، وَمَنْ يُشَابِهَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ فَمَا ظَلَمَ. فَرَكَعَ رُكْعَتِي الْمَسْجِدِ،
وَأَخَذَ يَتْلُو وَيَسْجُدُ. فَلَمَّا أَقِيمَتْ وَفَرَّغَ مِنَ الْفَرِيضَةِ، قَامَ إِلَى

(١) لغة في اضطجع.

(٢) هَبَعَ هُبُوعًا: مَشَى وَمَدَّ عُنُقَهُ.

سارية عريضة. فحمد الله وأثنى، وثنى بالنبي الأسنى. وثلاث
بوعظٍ لاهب^(١)، وكلامٍ يُبدد ظلمات الغياهب. فخر الحاضرون،
للأذقان يَكُون. وإن قلوبهم لخافقة وجلّة، ودُموعهم سائحة
عجلة. ثم جنح إلى ذات العجوز^(٢)، ليلقي درساً فيما يجوز وما
لا يجوز. وبيّن حرام البيع وحلاله، إلى أن بدت الغزاة. فصلّى
ركعتي الإشراق، ثم أطلق الساق. وحمد الله وخرج، وركب
راحلته ونأج^(٣).

ولما ورد الجامعة، في الساعة التاسعة. وجد فيها رجلين
يختصمان، أحدهما على مذهب النعمان. فحكم بينهما بالحق،
ورتق الفتق^(٤). فقال بعض من حضر، أيها الفقيه الأبر. أتحللك
الساعة، من غيبة وإشاعة. قال: لا تثريب عليك ولا لوم، وأنت
في حل اليوم. ولم يزل على كرسية في عمله، يسعى مع المضطرّ
في أمله. يُغيث ملهوفاً، ويريش متئوفاً^(٥). ويصنع لأخرق^(٦)،
ويطمئن من يفرق^(٧). ويفرج كرباً، ويقضي إرباً^(٨)، ويستغفر رباً.

(١) مؤثر.

(٢) اليمين.

(٣) ذهب.

(٤) ضم الخرق.

(٥) يعطيه ريشاً، أي: مالاً، ويكسوه.

(٦) الذي لا يحسن التصرف.

(٧) يخاف.

(٨) حاجة.

ثم قام للظُّهْر، وهو على طُهْر. فصَلَّى عشراً ثم انصرف^(١)،
يُسَلِّمُ في طريقه على مَنْ جَهَلَ ومن عَرَفَ. فلمَّا قضى أَجَلَهُ،
غادرَ عملَهُ. وسارَ إلى أهْلِهِ، وقد أَرْدَفَ نَفْراً على رَحْلِهِ.
فأطعمهم وأنسهم، وأكرمهم ونعمهم. ثم عرّته نَعْسَةً ونامَ، فلمَّا
أَذَّنَ قامَ. فصَلَّى العصرَ إماماً، ووَاعَظَ الحاضرينَ لِمَاماً. وصَلَّى
على الجنّازة، وشيَّعَ إلى المفازة^(٢). وعزَّى أهلَ الميْتِ ووَاسَى،
ومَسَحَ برأسِ اليتيمِ كي لا يَأْسَى^(٣). وعادَ مريضاً في المَشْفَى،
ودعا له أَنْ يُشْفَى. وكان من فضله ونُبْلِهِ، أَنْ يَدْتُوْا بعدَ العَصْرِ إلى
أهْلِهِ. ثُمَّ يَصِلُ رَحْمَةً، ومن أَلْفِهِ ورِثْمَةً^(٤).

فلَمَّا تَضَيَّفَتْ^(٥) الشمسُ للغروبِ، وحنَّ وقتُ الوجوبِ^(٦).
نظرَ نظرةً في السَّمَاءِ، وأفطرَ على تمراتٍ وماءٍ. صَلَّى المغربَ
وسُتِّتَهُ، ثم سَبَّحَ سُبْحَتَهُ. ليكونَ من عُرفاءِ الأَوَّابِينَ، ورُفقاءِ
التَّوَابِينَ. ثم عَقَدَ حَلْقَةً عِلْمٍ وذِكْرٍ، ومدارسةً وفِكْرٍ، في القرآنِ
ذِي الذِّكْرِ. ليفوزَ بأربعِ العطايا، من ربِّ البرايا^(٧). فلمَّا صَلَّى

(١) أي: صلاة الظهر، وأربع قبلها، وركعتان بعدها.

(٢) الصحراء.

(٣) لا يحزن.

(٤) رثم الشيء: أحبه.

(٥) قرب وقت غروبها.

(٦) سقوطها وغروبها.

(٧) وهي ما اشتمل عليها حديث: «وما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم

العشاء الآخرة، وثني بسنتها العاطرة. جرّ راحلته نحو أمّه وأبيه، ثم إلى صاحبتة وبنية. ونظر إلى حاجة كلّ، وحمل كلّ كلّ^(١). ثم آوى إلى محراب داره؛ ليتلو ما بقي من حزبه وأذكاره. ولم يبت ذلك المساء، إلّا وقد عفا عمّن أساء. في أعمال تُجاوز الهنيءة^(٢)، تذكّر بها أدهم العمل بل جنيءة^(٣): من صلاة وصيام، وصدقة وقيام. وتلاوة وذكر، وثناء وشكر. وكظم للغيط، ورفع بالفظ والكظ^(٤). وعفو وإحسان، وحفظ حقوق الإنسان. والدّرع بالحسنى وزيادة، وإجابة الدّعوة والعبادة. وأعمال من دون ذلك، وسلوك خير المسالك. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ اقْتَدِ﴾، ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾^(٥).

= الرّحمة، وحفّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده». أخرجه مسلم بتمامه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (٤/٢٠٧٤؛ ح ٢٦٩٩) في العلم، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

- (١) المُنْقَلُّ بالأعباء.
- (٢) تطلق العرب «الهنيءة» على المئة من كل شيء.
- (٣) المراد بذلك: إبراهيم بن أدهم والجنيّد، يضرب بهما المثل في العبادة والنسك.
- (٤) هو الذي يضيق بالأمور.
- (٥) بحذف الياء، وبحذف الهاء في الآية التي قبلها، وكلّه ممّا قرئ به.

الختام

نسأل الله حسنه

اللَّهُمَّ إِنَّا نَحْمَدُكَ بِقُلُوبٍ خَاشِعَةٍ، وَأَعْنَاقٍ خَاضِعَةٍ. وَنَضْرَعُ
إِلَيْكَ بِخُدُودٍ مَنْطِرِحَةٍ عَلَى أَعْتَابِكَ، وَأَجْفَانٍ بَاكِئَةٍ عِنْدَ بَابِكَ.
وَنَتُوبُ إِلَيْكَ بِقُلُوبٍ مَنكُسِرَةٍ، وَأَكْبَادٍ مُنْقَطِرَةٍ، وَجَوَارِحَ مُعْتَذِرَةٍ.

نَسْتَغْفِرُكَ اللَّهُمَّ .. مِمَّا طَغَتْ بِهِ الْأَقْلَامُ، وَنَعْتَذِرُ إِلَيْكَ .. مِمَّا
زَلَّتْ بِهِ الْأَقْدَامُ. اللَّهُمَّ مَا أَصَبْنَا فِيهِ فَهُوَ بِفَضْلِكَ، وَقَوَّتِكَ
وَحَوْلِكَ. وَمَا لَمْ نُصِيبْ فِيهِ فَقَدْ عَلِمْتَهُ، وَرَأَيْتَ عِوَجَهُ وَأَمْتَهُ. تَعْلَمُ
مَا نَخْفِي وَمَا نُعْلِنُ. وَمَا نُظْهِرُ وَمَا نُبْطِنُ.

نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعِلْمِكَ وَرَحْمَتِكَ، وَنَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ وَصِفَتِكَ. أَنْ
تُذْهِبَ مَا أَسَأْنَا، بِمَا أَحْسَنَّا وَأَصْبَنَّا. وَأَنْ لَا تَجْعَلَ فِي مَقَاصِدِنَا
قَدْرًا لِأَحَدٍ، يَا مَنْ ﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ اللَّهُ الصَّكَمَدُ ② لَمْ
يَكِلْهُ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ④.

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، نَسْتَغْفِرُكَ
وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.

العناوينُ

| | |
|----|-----------|
| ٥ | الإهداء |
| ٧ | مقدمة |
| ١٣ | الفارانية |
| ١٩ | الحرفية |
| ٢٥ | التأويلية |
| ٣٣ | التفسيرية |
| ٤٥ | التجويدية |
| ٥٥ | الحديثية |
| ٦٣ | النحوية |
| ٧٣ | الرمضانية |
| ٧٩ | التعريفية |

| | |
|-----|-----------|
| ٨٧ | العشرية |
| ٩٥ | الحكمية |
| ١٠٥ | المطبخية |
| ١١٣ | الكلدية |
| ١١٩ | الأبطحية |
| ١٢٥ | المكية |
| ١٢٩ | الجرولية |
| ١٣٩ | المدنية |
| ١٤٥ | اللّسانية |
| ١٥١ | الحرمية |
| ١٥٩ | الحزمية |
| ١٦٧ | الفخرية |
| ١٧٥ | الأعرابية |

| | |
|-----|-----------|
| ١٨٣ | التمهذلية |
| ١٩٣ | الدّريدية |
| ١٩٩ | الصّداعية |
| ٢٠٧ | الدّوائية |
| ٢١٣ | المسيارية |
| ٢٢١ | العقارية |
| ٢٢٩ | التخيلية |
| ٢٣٧ | السهادية |
| ٢٤٥ | الإعدادية |
| ٢٥٣ | المنطقية |
| ٢٥٩ | السكاكية |
| ٢٦٥ | السبكية |
| ٢٦٩ | الفرضية |

| | |
|-----|----------|
| ٢٧٥ | الحرانية |
| ٢٨١ | البنزية |
| ٢٨٥ | الجوابية |
| ٢٨١ | العجوزية |
| ٢٩٧ | الهروية |
| ٣٠١ | الختام |
| ٣٠٣ | العناوين |

المقامات فنٌّ من فنون الأدب .. وكتاب (ذات الأكمام) نخل
باسقات لها طلع نضيد، ومن طلعتها قنوان دانية قدمها منشئها على
صحافٍ من جواهر البيان .. وضع فيها للمكيين مقامات عن معالم مكة
وأعلامها، وللقرءاء والمجوّدين وأهل التأويل مقامات، ولعلوم الفقه
والأصول ومصطلح الأثر والمنطق والفرائض والنحو والبلاغة والجدل
والغريب والشعر والطبّ ومنافع الأغذية مقامات، وفيها للعقاريين مقامة
ولذوي المسير مقامة ، ولاستنساخ ذكرى ما مضى من حياة المؤلف،
وتخيّل المستقبل وتصور الدّوات مقامات، وغير ذلك من التعاجيب
المحاكية المستمدّة وحيّها من واقع العصر ومرآته .. ولقد قال بعض
الضّالّعين في الأدب حين قرأها : إنها تفوق ما عرف من كتب
المقامات !!

ومنشئها لا يرى ذلك لنفسه ، ويرأها كقمر منير، ولكنه يستمد
نوره من ضوء الشمس، وكالصّيام لا يتم إلا بالصلوات الخمس، ومعاذ
الحق أن يُنقص اليوم ما تم بالأمس ، وإنه لمن جهل الجاهلين أن يبني
المرء مجده ، بهدم ما بناه من سبقه ، وأن يمدح ذاته وعمله بدم غيره
وعمله .. على أنني كافر بقولهم : (ما ترك الأول للآخر شيئا) مؤمنٌ
بقوله سبحانه : ﴿ قُلْ إِنْ أَلْفَضَلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمْ ﴾
[آل عمران : ٧٣] .